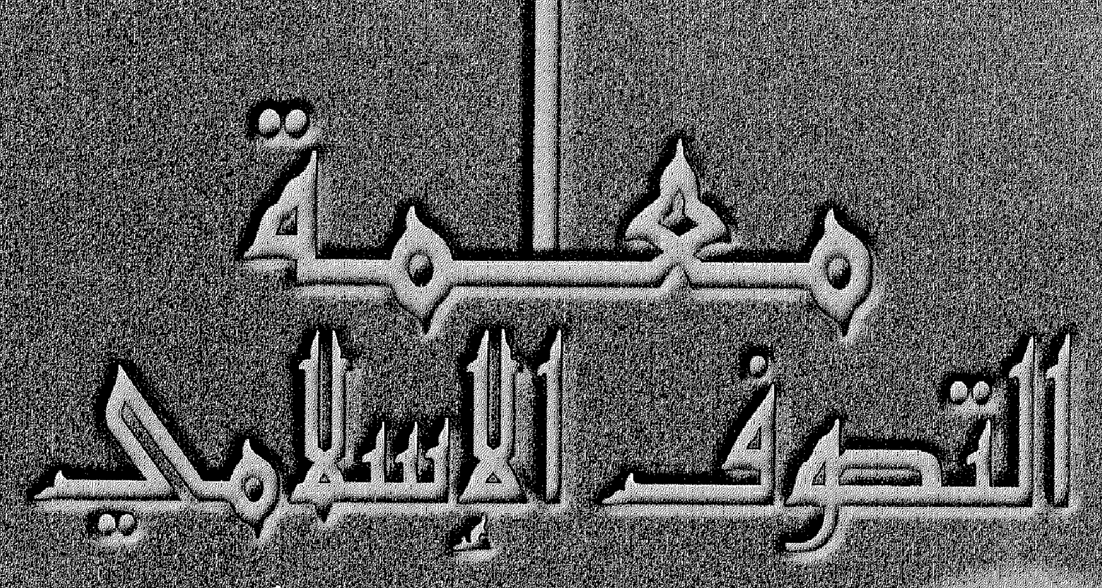
عبد العزيز بنعبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية
والمجامع العربية والمجمع الهندي



الجزء الأول
(التصوف المغربي : خواص ومميزات)



عبد العزيز بنعبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية
والمجامع العربية والمجمع الهندي

معلمة التصوف الإسلامي

الجزء الأول

(التصوف المغربي: خواص ومميزات)



10، شارع الفضيلة - الحي الصناعي
يعقوب المنصور - الرباط
الهاتف : 38/14 69 79 037 - 02 57 79 037
64/63 79 79 037 - الفاكس : 43 03 79 037

■ معلمة التصوف الإسلامي (الجزء الأول)

■ تأليف: عبد العزيز بنعبد الله

■ التوزيع : دار نشر المعرفة - رقم 10. شارع الفضيلة - الحي الصناعي

■ الهاتف : 02 57 79 (037) / 14 69 79 (037)

■ الفاكس : 43 03 79 (037) / الرباط - المغرب

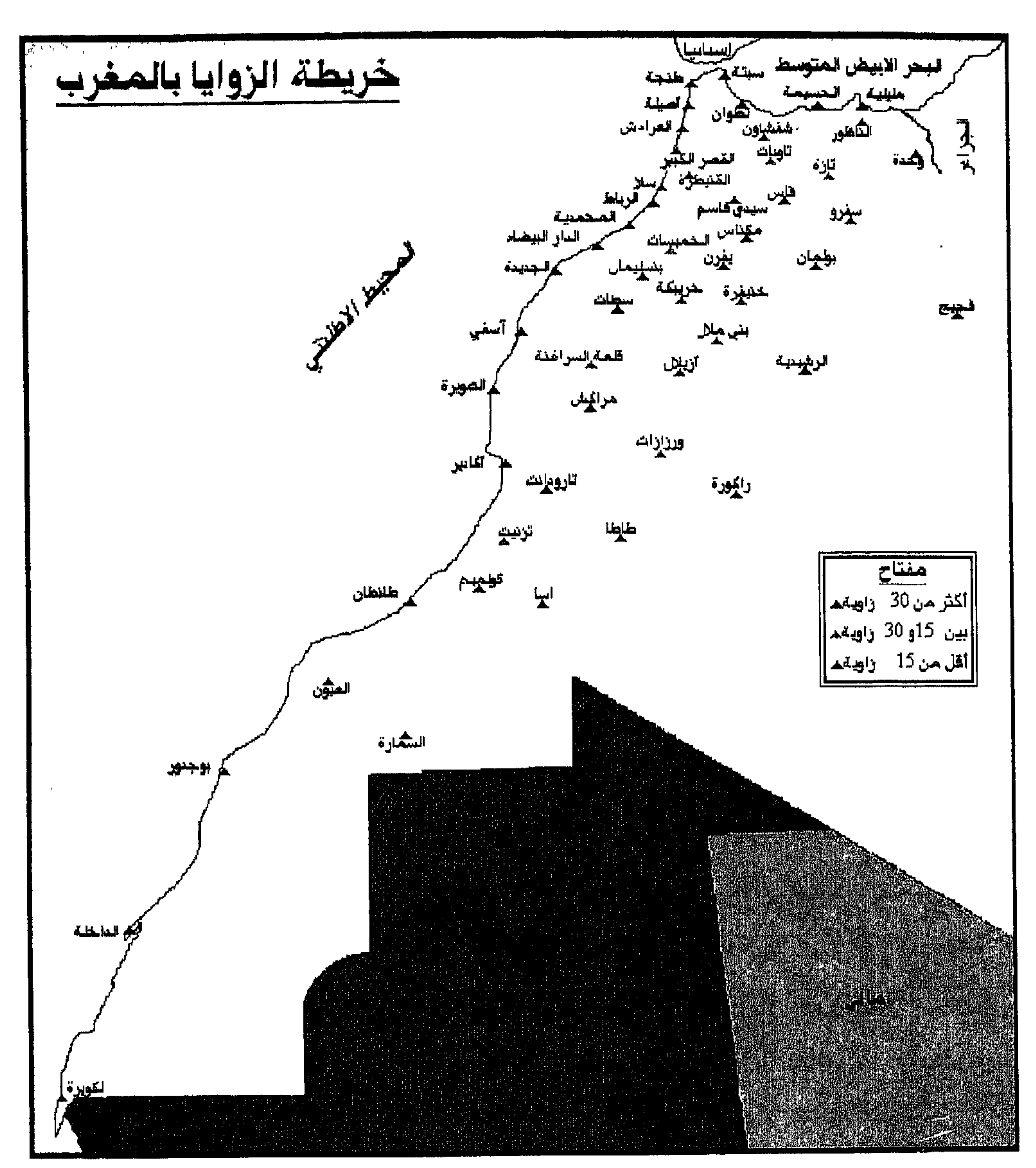
■ الإيداع القانوني : 1104 / 2001

■ ردمك : 9981-808-71-7

■ حقوق : © جميع الحقوق محفوظة

■ الطبعة الأولى : 2001

■ السحب : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - المغرب



إعداد عبد العزيز بنعبد الله



مقدمة

التصوف المغربي قطعة حية من التصوف الإسلامي العربي لما تركته نظريات الصوفية المغاربة من آثار عميقة في الفكرة الصوفية الشرقية.

وقبل أن نحاول رسم صورة عن تاريخ الحركة الصوفية بالمغرب نلخص بعض النقط العامة التي تتصل بأساس النظرية الصوفية في مجموعها.

(التصوف) لفظة اختلف في مصدرها فقيل من الصوف أو الصفاء أو الصفة وكل هذه الاشتقاقات محتملة ولكن الغريب هو ما ذكره مسيو كينون في مجلة Cahiers du Sud (ص39) في مقال تحت عنوان l'esotérisme islamique من أن كلمة (صوفية) ليست سوى مجموعة من أحرف جفرية معناها الحكمة الالهية والصوفي هو الحكيم الالهي ونقل ميشوبيلير في (محاضراته) حول الطرقية بالمغرب (ص 5) أن بعض الناس يعتقدون أن كلمة صوفي منحدرة من لفظة يونانية وهي: sophos وزعم بعضهم أنها مشتقة من (آيا صوفيا).

ولعل قضية الاشتقاق تتصل في ذهنية هؤلاء بالمحاولة الهادفة إلى ربط الفكرة الصوفية الإسلامية بالتصوف الهندي أو الأفلاطوني أو المسيحي فقد حاول الدكتور طه حسين في (ذكرى أبي العلاء) أن يرجع التصوف الإسلامي إلى أصل هندي وكذلك (الأستاذ كولدزيهر في كتابه) le Dogme et la loi de l'Islam (العقيدة وقانون الإسلام) حيث أكد (ص 134) أن الأفكار الصوفية اكتسبت تحت التأثير الهندي كثيرا من القوة لأن فكرة وحدة الوجود تتجاوز في الإسلام الشكل الذي اتسمت به في الأفلاطونية الجديدة ويغلب على الظن أن طه حسين تأثر بما لاحظه (الفريدفون كريمر) من وجود عناصر هندوسية في نظريات المعري الدينية و الاجتماعية بل حتى في بعض نواحي سيرته وشعره الفلسفي غير أننا نرى مستشرقين يرجعون التصوف إلى أصل إسلامي صرف هو القرآن ولكن نيكولسن يقول :

(صواب أن بعض المتصوفة كانوا بين خواص دارسي القرآن ولكن لا يصح - فيما أظن - أن نعتبر التصوف مجرد نتيجة للدراسات القرآنية (ص 112) (Legacy of islam) ونزعة فصل التصوف عن الروح العربية نزعة شبيهة بما حاوله بعضهم أمثال (رونان) الذي قرر في كتابه (ابن رشد ومذهبه Averroès et l'Averroïsme)أن (ما يسمونه فلسفة عربية ليس إلا مجرد محاكاة أو تقليد لأرسطو وضربا من التكرار لآراء وأفكار اليونانيين كتب باللغة العربية (ص 7) ولكنه تناقض مع نفسه فيما بعد (ص89) حيث اعترف (بأن العرب مثل اللاتين - مع تظاهرهم بشرح أرسطو عرفوا كيف يخلقون لأنفسهم فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة ومخالفة جد المخالفة لما كان يدرس في الليسيوم) ولم يخف هذا التناقض على أحد معاصري (رونان) وهو (دوكا) الذي ذكر في مقدمة كتابه (تاريخ الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين) Histoire des philosophes et théoriciens musulmans أنه لا يمكن لعقلية كعقلية ابن سينا إلا أن تنتج جديدا.

وقد ضربت مثلا بالفلسفة[1] نظرا لما بينها وبين التصوف من وثيق الصلة حتى قيل إن التصوف قطعة من مذهب الفارابي الفلسفي لا ظاهرة عرضية فيه كما يزعم (كارادوفو) صاحب (مفكرو الإسلام) وقد تأثر الفيلسوف المغربي ابن طفيل بالنزعة الصوفية في (رسالة حي بن يقظان) حيث وصف بطل القصة (114) بأنه (لما فني عن ذاته وعن جميع الذوات ولم ير في الوجود إلا الواحد القيوم وشاهد ما شاهد عاد إلى ملاحظة الأغيار عندما أفاق من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله أنه لا ذات له يغاير بها ذات الحق وأن حقيقة ذاته هي ذات الحق... بل ليس ثمة شيء إلا ذات الحق) وقد ذهب الناس مذاهب شتى في تعريف التصوف حتى ساق ابن السبكي في طبقاته (ج 3 ص 239) ألف تعريف للتصوف سهر على التقاطها من مختلف المصادر أبو منصور عبد القادر البغدادي ورتبها تبعا لأصحابها على حسب الحروف الهجائية.

ويلذ لي أن أنقل لهؤلاء الذين يزعمون أن التصوف المغربي تأثر بالنزعة الصوفية

(1) أحمد بن عبد الله بن محمد الدزوم المراكشي نزيل القاهرة جنح إلى التصوف الفلسفي ونسخ (الفتوحات المكية) و(التنازلات الموصلية) فكان أبو حيان لذلك يرميه بالزندقة وصار هو يصف أبا حيان بأنه ظاهري حتى في النحو.
أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صفوان : مشارك في الفلسفة و التصوف كلف بالعلوم الإلاهية تلميذ ابن عبد الملك المؤرخ وشيخ ابن الخطيب

المسيحية ـ لا سيما ماسينيون الذي زعم أن الشيخ ابن عربي الحاتمي استمد من نظريات الكنيسة أما قرره المستشرق الإسباني (أسين بلاسيوس) من أن نزعات دانتي Dante الإيطالي وأوصافه لعالم الغيب مستمدة من كتب محيي الدين الحاتمي دون كبير تصرف وكذلك (اكهارت) الألماني أول الفلاسفة الصوفية الغربيين الذي نشأ في القرن التالي لعصر ابن عربي ودرس في جامعة باريس وهي الجامعة التي كانت تعتمد على الثقافة الأندلسية في الحكمة والعلوم وقد اقتبس (ريموند) من ابن عربي خاصة في كتابه (أسماء الله الحسنى) لأنه كان يحسن العربية وعاش بعد ابن عربي بقرن واحد وجعل (أسماء الله الحسنى) مائة وهي لم تعرف بهذا العدد في الديانة المسيحية قبل ذلك.

و(سبينوزا) اليهودي البرتغالي كان كلامه عن الذات والصفات نسخة من فلسفة المتصوفة المسلمين مع قليل من التحوير والمسيحية تكاد تكون فارغة من الفكرة الصوفية كما اعترف بذلك ميشوبيلير في محاضراته (ص 29) حيث ذكر أنه إذا استثنينا ما في بعض الأساطير من ذكر الكرامات وكذلك سيرة القديسة (تيريز) والقديس (فرانسوا داسيز) فإنه لا يبقى شيء بالمرة.

واتحاد الشعوب في الاتجاه الصوفي لايعد دليلا على أي اقتباس لأن وقوع الحافر على الحافر شديد الاحتمال لاسيما إذا اعتبرنا وحدة الوجدان البشري الذي هو في الحقيقة ينبوع الذوق الصوفي وقديما قال بعض صوفية الإسلام بأن التصوف ليس علما يكتسب وإنما هو نور ينقدح في سريرة المومن ويدل على وحدة الفكرة الصوفية عند الهنود والمسلمين التي هي وحدة طبيعية كما قلنا ـ ما ساقه الشهرستاني في (الملل والنحل) (على هامش الفصل لابن حزم ج 4 ص 130 - 142)

وقد قرر (ريتشارد هارتمان) و(ماكس دورتن) (في مقالين كتبهما عام 1927) أن التصوف هندي الأصل وذكر (نيكولسن) أن التصوف مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه عن طريق (مثرا) و(مانى) من جهة والقبالة la cabale اليهودية والرهبنة المسيحية والغنوصية والأفلاطونية من جهة أخرى ثم أكد أن الذي جمع هذه العناصر ومزجها هو (الجنيد).

ويقول (جامى) في(نفحات الأنس) (ص 34) بأن أول من تسمى صوفيا هو(أبو الهاشم الكوفي) المعاصر لسفيان الثوري ويرى(السراج) في(اللمع) (ص 22) أن اهل بغداد هم الذين اخترعوا هذه الكلمة.

وأول من تكلم في بغداد في الحقائق الإلاهية والتوحيد سري السقطي (تذكرة الأولياء ج 1 ص 274) وأول من حاضر الناس في التصوف يحيى بن معاذ الرازي المتوفى سنة 258 هـ (التذكرة ج 1 ص 299).

ويزعم (نيكولسن) في دراساته الصوفية التي جمعها أبو العلاء عفيفي وعربها (ص 9) أن ذا النون المصري كان له أكبر الأثر في تشكيل الفكرة الصوفية هذا بينما يؤكد (هو تفليد) في ترجمة «المثنوي» أن مؤسس التصوف هو أبو يزيد البسطامي

وأول مؤلف عربي استعمل كلمة التصوف ـ على ما يظهر ـ هو الجاحظ البصري في حديثه عن النساك (نيكولسن ص 68) وأكد الدكتور زكي مبارك (التصوف الإسلامي ج 2 ص 77) أن التوحيدي جارى في كتابه «الإشارات الإلاهية» سلفه الجاحظ الذي حرص على تعطير كتبه برواية أقوال النساك والزهاد.

وقد أصبح التصوف مذهبا منظما أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث (نيكولسن ص 28) ويلوح من ثنايا (الرسالة القشيرية) و(التذكرة) و(نفحات الأنس) أن صوفية هذا القرن اتخذوا القرآن والسنة ميزانا لجميع ما يخوضون فيه من بحوث نظرية وما يحسونه من حالات وجدانية.

ولكن منذ ذلك العصر تسربت شوائب مريبة إلى الفكرة الصوفية التي بدأت نقية طاهرة وقد ذكر عبد الله الأنصاري الهروى (المتوفى سنة 481 هـ) أن كثيرا من الأكاذيب انتحلت باسم أبي يزيد البسطامى مثل قوله «صعدت إلى السماء وضربت قبتي بازاء العرش» (نفحات الأنس ص 63) وهو القول الذي بنوا عليه قضية معراج أبي يزيد التي يقصها (فريد الدين العطار) في تذكرته بتفصيل.

وانتظام هذا المذهب ليس معناه اتحاد وجهات نظر من دان به لأن تعاريف التصوف

بلغت كما قلنا الألف ورد منها مائتان في الرسالة والتذكرة والنفحات وهذه التعريفات العديدة تدل على تعددوجوه النظر في تصور الفكرة الصوفية (مجلة الجمعية الأسيوية سنة 1905 ص 330) فقد عرف (الكرخي) التصوف بأنه الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق (الرسالة القشيرية ص 149) ووصفه أبوحفص الحداد بأنه تمام الأدب (التذكرة ج 1 ص 331) وذكر أبو الحسين النوري أن التصوف برقة محرقة (الرسالة ص 149) وقرر أبو سعيد بن العربي أن التصوف ترك الفضول (نفحات الأنس ص 248) وقال أبو الحسن اليوشنجي: «التصوف ضعف الأمل ومداومة العمل».

أما الخانقاهات والرباطات الصوفية فقد بدأت تظهر قبل نهاية القرن الثاني الهجري وأول خانقاه أسس لمتصوفة المسلمين (على ما في النفحات ص 34) كان بالرملة في فلسطين وذكر المقريزي في خططه (ج 2 ص 414) أن الخانقاهات ـ أو الخانقاوات كما يسميها ـ وجدت في الإسلام في القرن الخامس الهجري.

والخانقاه أعمق في التزمت والرهبنة مما عرف بعد بالزوايا لأن هذه الخانقاهات كانت مبنية في معظمها على نظام صارم من التبتل والرهبنة في التصوف وقد ذكر القزويني أن أبا سعيد بن أبي الخير هو مؤسس نظام الرهبنة في التصوف الإسلامي وأول واضع لقانونه.

وقد تأثر المغرب بفكرة الرباطات في نفس العصر تقريبا فقد أشار صاحب (الأنيس المطرب) (ج 2 ص 13 طبعة سلا) إلى دخول عبد الله بن ياسين إلى جزيرة قرب الساحل مع سبعة نفر من كدالة ويحيى بن ابراهيم أمير صنهاجة حيث ابتنى رباطا وأقام به مع أصحابه يعبدون الله مدة ثلاثة أشهر فتوارد عليهم الناس حتى بلغ تلاميذه ألف رجل من أشراف صنهاجة فسماهم المرابطين ويقال بأن (واكاك اللمطي) هو الذي أسس (دار المرابطين) في بلاد نفيس وهو الذي وجه تلميذه عبد الله بن ياسين ثم توالى بناء الرباطات خلال القرنين الخامس والسادس كرباط أولاد أمغار في تيط ورباط مولاي بوشعيب قرب أزمور ورباط أبي محمد صالح في أسفي ورباط شاكر ورباط تينمل دار الموحدين وقد أطلقت لفظة الزاوية على بعض هذه الرباطات لاسيما في الأوساط الحضرية فبدأنا نسمع عن زاوية أبي النور المشترائي وزاوية تلميذه أبى شعيب أيوب بن سعيد وزاوية صالح بن حرزهم تلميذ أبى حامد الغزالي.

وكان لقيام هذه الرباطات في بعض الأوساط انفعال سيء فهبت هيآت وشخصيات لمعارضتها و الظاهر أن الحركة الصوفية ـ سواء بالمغرب أم الشرق ـ بدأت تتسم بشيء من الفوضى أدى إلى انسلال عناصر مغرضة تهلهل تحت تأثيرها السيء جانب مهم من النظرية الصوفية البريئة حتى رأينا أبا سليمان الداراني يصف المتصوفة بأنهم (بأعراض الدنيا موشحون عظمت الدنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا وصغر الحق في أعينهم فأعجلوا منه هربا حافظوا على السجدات و المرقعات المشهرات والعكاكيز والسبحات المزينة كالعجائز طغام صبيان الأحلام لا علم عن الحرام يردهم ولا ورع عن الشبهات يصدهم ولا زهد عن الرغبة في الدنيا يصرفهم اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ولازموا الخوانق والرباطات رغبة فيما يوتى إليها من حلال وحرام وسعوا (كذا أردانهم)

وأنشد الجنيد : القصيدة التي نسبها إلى علي بن عبد الرحيم (العلامة الحجوي في الفكر السامي ج 3 ص 165)

أهل التصوف قد مضوا ... صار التصوف مخرقة
صار التصوف ركوة ... وسجادة ومذلقة
صار التصوف سبحة ... وتواجدا ومطبقة
كذبتك نفسك ليس ذا ... سنن الطريق الملحقة

وقد ساق الشيخ زروق جملة من الصور عن هذا الانحلال سنعرج عليها لدى تحليل كتاب «عدة المريد» الذي فد يكون أحسن كتاب في هذا الباب لاسيما وأنه من وضع رجل يلقب بمحتسب الصوفية.

وبالجملة فقد أثار انبثاق الفكرة الصوفية منذ القديم موجات متعاكسة من الإنكار والتأييد وكان في كلا الموقفين نوع من الشذوذ اتسمت به كتابات الكثير ممن خاضوا في هذا الموضوع وظلت الحركة تتأرجح إلى يومنا هذا بين طعنات الخصوم ودفاع الأنصار.

والواقع أن الإنسان ـ مهما بلغ به تقديسه للأبرار من رجال التصوف تأخذه الحيرة أحيانا عندما يصطدم بعبارات يخيل إليه أنها تشذ عن ظاهر الشرع.

وإذا كان البعض من المتصوفة قد انحرف فالتصوف في أساس فكرته لا يزال سامي الغاية وقد رأينا الدكتور (زكي مبارك) الذي حمل حملة شعواء على التصوف يغالى عندما ينفحه الوجدان بانعكاسة من نوره الباطني فيقول: (التصوف ج 2 ص 6) «إن كان في العالم قصيدة خالدة فهي التصوف؛ هو وحده الأنشودة الباقية يوم تبيد الأناشيد ؛ ولو فنيت الدنيا دفعة واحدة وبقي إنسان واحد يفتش عما حق فيها من الكلمات لما وجد أصدق من كلمة الصوفية «ويقول (ص 24) : «هل الباطن وجودهم ضروري لأنهم يعطرون الشريعة بعبير الروح ويسكبون عليها أسرار الخيال «ويقول (ص 205) «الصوفية هم الناس ومن عداهم أشباح بلا أرواح».



الجزء الأول

التصوف المغربي :
خواص ومميزات



الإسلام وانطلاقة التصوف بالمغرب

نجح الإسلام في بسط سيادته على الأقاليم التي خضعت لحد الآن لتأثيرات الحضارة الهيلينية لإفريقيا وأصبح الأسطول العربي سائدا في البحار التي اكتسحتها القطع الرومانية أجيالا متطاولة.

ولكن نشر الدين الجديد كان يتطلب دائما مزيدا من التوسع التمديني الذي لم يتسم بطابع الفتوح الاستعمارية، وهكذا لم تكد تمر عشرون سنة على استقرار البعثة المحمدية حتى انبرت الجيوش العربية تخرق الصحراء الليبية. وهنا بدأ (عقبة) الزحف عبر أقاليم المغرب الأقصى أعقبه موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى سبتة حيث انصاع (يوليان الغماري) الذي كان واليا على إقليم الريف باسم قسطنطين الرابع امبراطور بيزانس وقدم للقائد العربي هدايا وأطلعه على عورات إسبانيا والبربر فأقره في ولايته باسم الخليفة ثم فتح طنجة عنوة بعد استعصاء أهلها وتقدم نحو وليلي بجبل زرهون (قصر فرعون) فاحتلها ثم الأطلس فقاتل المصامدة في حروب عنيفة لم يخلصه فيها سوى (زناتة) التي كان المغراويون منها قد أسلموا منذ الحملة الأولى، وعرج على (الحوز) فدخل مدينة (نفيس) التي ظلت مع (أغمات) أكبر مدن الجنوب (إلى القرن الخامس حيث أسست مراكش) ثم درعة و السوس وبعد احتلال (إيجلى) انعطف مثقلا بالسبايا نحو (أسفي) فأدخل قوائم فرسه في البحر رامزا إلى رغبته في مواصلة الزحف لإعلاء كلمة الله لولا هذا الحاجز وهنا اصطدم بملثمى صنهاجة ثم مسوفة وراء السوس فأثخن فيهم وعاد أدراجه بعد أن جالت جيوشه في المغرب من الشمال إلى الجنوب الأقصى.

قفل عقبة راجعا بعد الفتوح الأولى الخاطفة إلى القيروان ولا ندري هل تم ذلك عن طريق ممر تازة أو عبر واحات منحدر الأطلس الصحراوي ويظهر أن عقبة ارتكب غلطتين باستفزاز (كسيلة) الذي صحبه أثناء زحفه إلى المغرب وبتشتيت جيوشه في طريق العودة مما شجع حاميات (تهودة) وبادس على الإيقاع به مع زهاء ثلاثمائة من الصحابة و التابعين استشهدوا جميعهم وزحف كسيلة في القيروان فاحتلها (عام 64 هـ).

ولكن لم يكد عبد الملك بن مروان يستبد بالملك حتى جهز (زهير البلوى) بجيش عتيد فزحف نحو القيروان (عام 69 هـ) وقتل (كسيلة) وانهزم البربر فطاردهم العرب إلى (وادي ملوية)حيث لجأت أوربة إلى وليلي.

وكانت الفتوح لحد الآن عارضة حيث لم يحتفظ العرب بغير (إفريقية) أمامهم مفازات عبرتها الجيوش الأموية دون أن تستتب حامياتها وكان ذلك من حظ موسى بن نصير الذي توغل في المغرب ففتح طنجة ثم انحدر إلى سهول الأطلنطيك بعد أن عرج على سبتة فاستولى على مدينة سكومة الأوربية قرب فاس ثم زحف نحو (درعة) وتافلالت في حين توجه ابنه إلى السوس وقد اتخذ طنجة مقر قيادته فولى عليه طارقا بن زياد وأنزل معه رهائن المصامدة واثني عشر ألفا من البربر وسبعة وعشرين عربيا لتعليم القرآن والفقه وبذلك انضم برابرة عن بكرة أبيهم باستثناء جزء من الأطلس ـ إلى الفاتح العربي واعتنقوا الإسلام وكونوا أطر القيادة والولاية في البلاد.

أصبح المغرب جزءا من دار الخلافة الأموية، وتعاقب عليه الولاة المقيمون بالقيروان والذين لم يكونوا معززين بأكثر من مائة وخمسين ألفا من العرب والمشارقة. والواقع أن نسبة العرب الذين استقروا بشمال المغرب الأقصى كانت ضئيلة نزح معظمهم إلى الأندلس. ثم جاء دور عبيد الله بن الحبحاب[2] فعين بدوره على طنجة والمغرب الأقصى عمر بن عبيد الله المرادي وعلى الجنوب ولده اسماعيل وبالأندلس عبد الرحمن الغافقي بطل بلاط الشهداء وقد عمد عامل طنجة إلى تخميس البربر[3] حيث فرض عليهم خمس اموالهم بدعوى أنهم فيء للمسلمين متعديا في ذلك الأعشار والزكوات الشرعية، وقد انتشر في المغرب الإباضية والصفرية عن طريق العراقيين نزحوا إلى المغرب للدعوة إلى إقامة دولة إسلامية على أساس نظريتهم في الخلافة وقد صادفت هذه النظرية قبولا عند الكثير من البربر الذين رأوا في هذا الفهم للإسلام استجابة لميولهم التحررية وأيدهم البرغواطيون، فانتقضوا على ابن الحبحاب الجائر وقد قاد الثورة في أحواز طنجة أحد قادة الصفرية وهو ميسرة المضغرى[4]

---

(2) ابن الحبحاب هو الذي بعث حفيد عقبة بن نافع وهو حبيب بن أبي عبيدة إلى السوس الأقصى فاحتله وبلغ تخوم السودان وغنم كثيرا من الذهب و الفضة (الاستقصا) ج 1 ص 48)

(3) (البيان المغرب في أخبار المغرب) لابن عذارى، طبعة بيروت عام 1950 ج 1 ص 52).

(4) المدغرى حسب ابن عذارى (المغرب 1 ص 52) أو المضغرى (الاستقصا ج 1 ص 48).

(عام 122هـ) الذي قتل عامل طنجة عمر بن عبيد الله المرادي وولى مكانه (عبد الأعلى بن جريج الإفريقي الرومي) أحد أيمة الصفرية.

وانتهى الخبر إلى هشام فعزل (ابن الحبحاب) وولى مكانه (كلثوم بن عياض) (عام 123 هـ) فانفسح المجال في المغرب أمام الخوارج وانفصل البربر عن الخلفاء الأمويين وحذا حذوهم برابرة الأندلس، فوطد (صالح بن طريف) دعايته بتامسنا بين سلا وأسفي، وقد كان والده (طريف) من قواد ميسرة الصفرى فارتأى بعد وفاة رئيسه المضغرى أن يدعي النبوة فانتحل مذهبا جديدا فنسب إلى برغواطة[5] وألغى بعض أركان الإسلام وشوه باقيها ووضع قرآنا من ثمانين سورة زعم أنه وحي من الله.

لم يكد ينتصف القرن الثاني حتى كانت افريقيا الشمالية موزعة بين عدة دويلات أسسها مهاجرون عرب وصالح في نكور وعبد الرحمن الداخل في الأندلس علاوة على الإمارات الخارجية في تلمسان وسجلماسة وتامسنا (البرغواطيون).

واستمرت المناوشات (عام 169 هـ) فشبت (وقعة الفخ) على ثلاثة أميال من مكة بين موسى الهادي بن محمد المهدي ابن المنصور والحسين بن علي ابن الحسن المثلث فقتل وفر المولى إدريس إلى مصر ومنها إلى (المغرب الأقصى) بمساعدة بعض الشيعة[6] صحبة مولاه (راشد) فنزل بمدينة وليلي (عام 172 هـ)[7] ضيفا على رئيسها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي البربري بايعه وانخلع من طاعة العباسيين.

اتجه المولى إدريس خاصة إلى غزو تامسنا ومنها شالة فأسلم من كان بها من يهود ونصارى ووثنيين ثم خرج (173 هـ) لاستكمال دعوته في تازة وجنوبي فاس وفازاز ثم تلمسان[8] فاستسلم له زعيم مغراوة محمد بن خزر الذي جعل حدا قبل بضع سنوات لإمارة أبي قرة الصفرية وكان سليمان أخو المولى إدريس قد سبقه إلى تلمسان حسب ابن خلدون[9]

(5) هي بطن من المصامدة حسب بن خلدون.

(6) وهو واضح المسكين القائم على البريد العباسي بمصر (ابن خلدون).

(7) حكى صاحب القرطاس قصة رحلة المولى إدريس من مصر إلى وليلي عن طريق برقة ثم القيروان في زي التجار ثم توجه إلى طنجة عبر وادي ملوية.

(8) في هذه السنة أي (عام 174 هـ) بنى المولى إدريس مسجد تلمسان وأسس منبره وخط اسمه في صفحته وشاهده ابن خلدون في القرن الثامن وقد بقيت منارته قائمة إلى عام 1937 في جنان بحي أكادير وقد بنيت مكان المسجد.

(9) يتناقض ابن خلدون حيث أكد في أخبار بني العباس أن سليمان مات في وقعة الفخ وكذا أبو الفداء.

وبذلك امتدت منطقة نفوذ المولى إدريس إلى شمال المغرب (عدا ددلكة نكور في سواحل الريف) وناحية تازة وسهول المحيط الأطلسي إلى مصب أبي قرة وجنوبي مكناس وفاس إلى تادلة وسبو علاوة على تلمسان.

وكانت (كنزة) سرية الإمام الراحل حاملة فجمع راشد رؤساء البربر وقرر انتظار المولود وحين بلغ المولى إدريس الثاني نحوا من إحدى عشرة سنة بايعه البربر (188 هـ) في جامع مدينة وليلي بعد أن توالت بيعتهم في مراحل صباه وورد على الأمير الفتي خمسمائة فارس عربي من إفريقية والأندلس فجعل منهم حرسه الرسمي.

اتخذ المولى إدريس المدينة الجديدة دار ملكه أقام بها إلى عام (197 هـ) حيث غزا بلاد المصامدة واحتل مدينتي نفيس وأغمات وبعد سنتين توجه إلى تلمسان حيث أقام ثلاث سنوات.

ووجود فاس بين الريف والأطلس يجعل منها مركزا اقتصاديا ممتازا يزداد أهمية بإشرافه على ممر تازة الواصل الشرق بالمغرب ففاس هي مفترق الطرق الكبرى بين الجزائر وسهول الأطلنطيك وسواحل الريف وصحراء الجنوب.

وقد توفي المولى إدريس في سن مبكرة عام 213 [10] حيث ترك عدة أولاد عهد من بينهم لمحمد الذي قسم المغرب بين إخوته استجابة لجدته كنزة غير أن هذه التجزئة ما لبثت أن فتت في عضد الوحدة حيث ثار (عيسى) على أخيه (محمد) الذي أمر (القاسم) بقمع الثورة فامتنع وتصدى لذلك (عمر) وضم إلى إمارته الأقاليم الخاصة لأخويه عيسى والقاسم فجمع بين مراكز تمتد من الريف إلى نهر أم الربيع وقد اتسمت هذه المقطعات بمناعة عسكرية.

وفي عام (292 هـ) انتصب يحيى بن إدريس بن عمر الذي استصفى جميع الإمارات الإدريسية الموحدة.

وفي (310 هـ) ثار بفاس (الحسن الحجام) حفيد القاسم بن ادريس واستعاد نفوذ

(10) وقد أكد البرنسي (الاستقصا 1 ص 75) أنه توفي بوليلي ودفن إلى جنب أبيه.

الأدارسة من فاس إلى البصرة وظل المغرب يتأرجح بين الشيعة والأمويين في معارك موصولة.

وكان رد فعل المعز الفاطمي ضد انضواء المغرب تحت راية الأمويين توجيه قائده (جوهر الصقلي) في عشرين ألف فارس من كتامة وصنهاجة عام (347 هـ)، وكان الحسن كنون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب حيث استمر حكمهم زهاء مائتي سنة.

وقد عرف المغرب بين انهيار حكم الأدارسة بفاس وقيام المرابطين فترة استمرت نحوا من مائة وأربعين سنة اتسمت بشيء غير قليل من اللبس والغموض إذا قورنت بالعصور التاريخية[11] الأخرى نظرا لتوالي التقلبات تحت تأثير الغارات المتلاحقة من طرف الفاطميين والأمويين وتجاذب الأدارسة والمغراويين والزناتيين في خضم من الفوضى العارمة التي جعلت المغرب أحوج ما يكون إلى زعيم صالح يوحد البلاد وينشر الأمن والرخاء مثل ابن تاشفين.

وقد بلغ الأمير أبا بكر بن عمر اللمثوني اضطراب شؤون الصحراء فاستخلف يوسف ابن تاشفين بالمغرب الأقصى بينما اتجه هو لاستكمال غزو السودان (إلى أن مات بأدرار (عام 480 هـ)) [12].

ولم يكد المرابطي الأول يستقل بالأمر حتى رتب جيوشه في فرق أربع[13] جعل منها طلائع لتمهيد البلاد وما لبث أن نقل خاصة ملكه إلى مدينة جديدة أشرف على تخطيطها هي مراكش (454 هـ) واختيار هذا الموقع ينم عن روح صحراوية وعن حاسة استراتيجية لأنه مفترق طرق الأطلس والصحراء.

وكانت في البداية معسكرا بسيطا ولكنها استحالت تدريجيا إلى حاضرة بمساجدها وقصرها (دار الحجر) وقد عزز الزعيم الصحراوي هذا الجهاز الحضاري بعمال نصبهم في الأقاليم ومظاهر جديدة كالأعلام والطبول العسكرية.

---

(11) هذه الفترة هي التي عناها (كوتيي) في كتابه «العصور الغامضة بالمغرب».

(12) عاد أبو بكر مرة ثانية إلى المغرب فاقتبله يوسف بالجيش والهدايا مشعرا إياه باستقلاله فلم يسع الأمير الصحراوي إلا أن عاد أدراجه بعد توليه ابن عمه نهائيا على المغرب.

(13) جعل على كل منها قائدا من بين القواد الأربعة وهم سير بن أبي بكر اللمتوني ومحمد بن تميم الكدالي وعمر بن سليمان المسوفي ومدرك التلكاني وعدد جنود الفرقة خمسة آلاف واحتفظ هو بقيادة نصف المجموع وهو عشرون ألفا ومالبث هذا العدد أن ارتفع إلى مائة ألف في ضمنهم الأغزاز المشارقة.

وفي عام (473 هـ)فتح ابن تاشفين اكرسيف ومليلية واستكمل احتلال الريف فهدم (نكور) واتجه نحو المغرب الشرقي فاقتحم (وجدة) وإقليم بني يزناسن وتلمسان مستأصلا شأفة المغراويين وقد أحال هذه العاصمة الزناتية إلى ثغر محصن واختط بأعلاها مدينة تاكرارت (أي المحلة) وهي تلمسان الحالية. وكان (الفنش) قد دوخ عام (475 هـ) معظم الأقاليم بالأندلس فكان الاستنجاد إجماعيا من طرف الأمراء والعلماء والشعب بالبطل المرابطي الذي هب لإنقاذ الإسلام بالأندلس.

خف ابن عباد لمقابلة [14] ابن تاشفين بالمغرب جاعلا رهن إشارته الجزيرة الخضراء ليتخذها مقرا ترابط فيه جيوشه وكانت (سبتة) قد انصاعت فعزز الأمير المرابطي جهازها وتوافدت عليه فيها كتائب المجاهدين فأجاز بها إلى الأندلس (سنة 479 هـ).

وانبرى القائد اللمتوني (داود بن عائشة) في عشرة آلاف فارس يتقدمهم المعتمد وابن صمادح (المرية) وابن حبوس (غرناطة) وابن مسلمة (الثغر الأعلى) وابن ذي النون وابن الأفطس وغيرهم يتولى الجند على المراحل والمنازل حتى حلوا بعد استراحة في طرطوشة أمام بطليوس بالزلاقة (تعرف اليوم بسكراجة) فانقض أنجاد صنهاجة الذين اقتحموا محلة الأذفونش وقتلوا حاميتها وعمد (ابن تاشفين) إلى خطة العرب في العراك فوالى الكر في حرب باردة ما لبث أوارها أن اشتعل عندما تدخلت آلاف الصحراويين بالدرق اللمطية والمزارق والسيوف تدأدأ من ضرباتها فرسان الإفرنج في ساعة كان أذان الجمعة يدوي في العدوتين داعيا بالنصر للمجاهدين. وعاد يوسف إلى العدوة على إثر وفاة ولي عهده أبي بكر - بعد أن عرج على ظاهر إشبيلية معززا جانب المسلمين بحاميات قوامها ثلاثة آلاف جندي صدا لعدوان محتمل من العصابات المنكسرة، فعاد أمير المسلمين أدراجه إلى المغرب بعد أن قام سير اللمتوني واليا على الأندلس.

وقد واصل سير زحفه (عام 489 هـ) واستولى على معظم بلاد الأندلس بإعانة الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف (493 هـ) وبعد أربع سنوات قام ابن تاشفين بالجواز الرابع (497 هـ) إلى الأندلس[15] وكان صيته قد ذاع في العالم الإسلامي حتى هم الغزالي بالرحلة إليه ومات يوسف أوائل (500 هـ) فقام علي بعهد من والده وعمره ثلاث وعشرون سنة.

(14) هذه المقابلة تمت حسب ابن خلدون في فاس وحسب غيره في طنجة وهو المرجح.
(15) حسب ابن خلدون الذي تختلف روايته عن رواية ابن أبي زرع.

وما لبث (علي بن يوسف) أن جاز إلى الأندلس عن طريق سبتة (503 هـ) في جيش كثيف احتل في إقليم قشتالة الجديدة (27) حصنا ثم مجريط وجاز أمير المسلمين للمرة الثانية (513 هـ) حيث مهد غرب الأندلس في حركة استكمل بها وحدة المملكة المرابطية تحت إمارة (تميم) الذي ما لبث أن توفي وظلت الجزر الشرقية (الباليار) المحررة غربى الأندلس تحت إمرة محمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية ووالى تاشفين فتح الحصون ثم عاد إلى مراكش حيث نصب وليا للعهد ولم تكد تمر أربع سنوات حتى بايعه الناس أميرا لدى وفاة والده (7 رجب 537 هـ) وكان الموحدون قد بدأوا يقضون مضاجع الدولة المرابطية.

وفي هذا العهد ظهر جيش نظامي جديد تعزز بالأغزاز[16] المشارقة علاوة على فرسان القبائل البربرية وقد درب على الحياة العسكرية غير أن أغلبيته كانت من القبائل المستنفرة عند الحاجة وقد استعرض يوسف جيشه العتيد في حصن (لرقة) خلال جوازه الأول للأندلس[17] كما استعرض حفيده تاشفين قواته في تلمسان (عام 538 هـ)[18].

وقد أدخل المرابطيون عنصرا جديدا في الفن البربري وعززوا الحصون والقلاع التي استمدت من الهندسة الأطلسية، ومن الحصون المرابطية قلعتا بني تودة بفاس وأمركو لمراقبة بدو الريف.

ودارت معركة عام (516 هـ) مني فيها اللمتونيون بأول هزيمة فاتسع نفوذ ابن تومرت الذي أقام (عام 519 هـ) بتينمل دارا ومسجدا، وتينمل حوض خصب على وادي نفيس طويل دقيق في شعبة الأطلس الكبير وكانت مناعة الجبل خير حمى من سطوة اللمتونيين. وكان مجلس العشرة يشكل مستشاري الإمام وأركان حربه والتحق بالعشرة أربعون ممثلا للقبائل الكبرى لتكوين آيت الخمسين في شكل مجلس للشيوخ الموحدين وتجهيز جيش من عشرة آلاف زحف على مراكش عام (523 هـ) فهزم اللمتونيين وطاردهم إلى مراكش فحاصرها اربعين يوما ولكن نجدات المرابطين فكت هذا الخناق في معركة عنيفة بالبحيرة وصمدت الكتلة الموحدية فأمضت في تحصين حاضرتها حيث استعرض ابن تومرت جيشه للمرة

(16) الأنيس المطرب ج 2 ص 4.
(17) المعجب ص 77.
(18) الحلل الموشية ص 108.

الأخيرة ولم تمر أربعة أشهر على وقعة البحيرة حتى توفي المهدي (بين 13 و 29 رمضان عام 524 هـ).

وانبرى عبد المومن في غزوة استمرت سبع سنين (534 - 541 هـ) لفتح المغرب الأوسط بعد تمهيد المغرب الأقصى، وطفق يعزز قواته بانضمام سكان الجبل والواحات والعناصر الفارة من المرابطين فاصطدم مع فلول المرابطين المنظمة والمعززة بالميليشية المسيحية التي كان يقودها الروبرتير القطلاني بجهازه العتيد وفنه العسكري المحكم غير أن وفاة هذا القائد الأسباني (539 هـ ـ 1145 م) فسح مجال السهول أمام الموحدين وكللت حملات الموحدين بالنصر والسيادة على مجموع المغرب وانتقل جهاز الدولة الجديدة إلى مراكش التي اختارها الخليفة ووافقه العلماء بعد تهديم مآثر المرابطين بها حيث أقيمت الكتبية فوق أنقاض دار الحجر.

وما إن انتهى عبد المومن من تمهيد المغرب الأقصى حتى اتجه نحو الأندلس وكان عهد جديد للملوك الطوائف قد انبثق باستقلال إمارات قديمة وبروز رؤساء جدد وزحزح المرابطون عن قلاع ومدن كإشبيلية وغرناطة ثم الجزر الشرقية، غير أن انبعاث الدولة على يد عبد المومن ما لبث أن تمخض عن انضمام الأميرال المرابطي علي بن ميمون إلى الموحدين وفي عام (545 هـ) زحف عبد المومن إلى سبتة عن طريق سلا فاستقدم إلى الضفة الجنوبية للبحر المتوسط أعيان الأندلس للاستعلام والاستحثاث إلى الوحدة وكانت إفريقية قد نكبت بالسيل العارم الذي انحدر إليها من بني هلال وبني سليم فوصل عبد المومن إلى عاصمة الجزائر في مائتي ألف جندي، وقد استصرخت به وفود إفريقية حين نكبتها الجنود الصقلية فهب عام (554 هـ) يغذ السير نحو المغرب الأدنى في حركة متئدة تصون المحاصيل ضاربا المثال الصالح في إقامة شعائر الدين واحتذاء سنن السلف فوصل إلى (تونس)معززا بسبعين قطعة بحرية فانصاع أهلها مستأمنين بينما اتجهت الجيوش الموحدية لفتح طرابلس ومرابض نفوسة وصفاقس وسوسة وقابس والحصون الإفريقية وهب أسطول صقلية في هذه الآونة في مائة وخمسين سفينة وطرادة لإنجاد الرعايا النورمانديين المحاصرين فصده الأسطول الموحدي في مطاردة أسفرت عن أسر سبعة مراكب.

وفي عام (555 هـ) ـ سنة الأخماس ـ اكتملت وحدة القسم الشرقي للامبراطورية الموحدية من برقة إلى تلمسان حيث أقرت الحاميات، وهكذا انشغل الخليفة طوال خمس عشرة سنة في توطيد الشق الإفريقي من الأمبراطورية فزحف في نفس العام نحو العدوة الشمالية بعد أن أصدر الأمر وهو في غمرة الجهاد بتحصين جبل الفتح (جبل طارق)، وكان الأسطول قد نما جهازه عام (557 هـ) باربعمائة قطعة رابطت في الثغور الكبرى منها مائة وعشرون في المعمورة (وهي المهدية بمصب نهر سبو) ومائة موزعة على طنجة وسبتة وبادس وموانئ الريف ومائة أخرى في مراسي إفريقية والجزائر وثمانون بسواحل الأندلس كما تعزز العتاد والسلاح وديوان الجيش بأربعين ألف فارس (كومي) وانتظم الحشد عام (558 هـ) فتوافد الجنود من كل الأنحاء استعدادا للجواز الثاني إلى الأندلس وكان العرب الهلاليون في صف واحد مع زناتة والموحدين وباقي البربر في ثلاثمائة ألف فارس انتشروا بين مصبي سبو وأبي رقراق إلا أن المنية عاجلت الخليفة بسلا (18 جمادى الثانية 558 هـ).

وبعد وفاة عبد المومن بايع الموحدون أبا يعقوب يوسف (558 هـ ـ 580 هـ).

ومرت ثماني سنوات (571 هـ ـ 579 هـ) مهد الخليفة خلالها إفريقية فأعاد الكرة على الأندلس في جوازين واستنفر حشود البربر والعرب والأغزاز فعبر بهم عام (580 هـ) إلى غرب الأندلس ومات الأمير قرب الجزيرة الخضراء (10 ربيع الثاني 580 هـ) فنقل إلى تينمل حيث دفن إلى جانب قبر والده.

وتلقى ولي العهد أبو يوسف يعقوب البيعة الأولى بإشبيلية عام (580 هـ) وواصل السير خلال ثلاث سنوات فتوجه للجزائر وطرابلس وانضمت إلى الخليفة أفواج من الأغزاز الأكراد الذين كانوا في جيش (قراقوش) فاندرجوا في سلك الجيش الموحدي وتفككت أوصال العرب المشغبين وزج بهم في خضم القبائل البربرية بالمغرب الأقصى كرصيد للجهاد في الأندلس وهكذا نزل بنو هلال وجشم والخلط في تامسنا بينما استقر بنو رياح في المغرب.

وعاد المنصور من إفريقية فنهض من جديد إلى الأندلس في جوازه الثاني (591 هـ)، وما كاد يطأ أرض الأندلس حتى اتجه صوب جنوب قشتالة فعسكر قرب (قلعة رباح) واستعرض الجيش ثم نزل (حصن الأرك) فرتب قواته في وجه العدو وعلى ميمنته الأندلسيون

وبميسرته العرب والبربر وأمامه المتطوعون والأغزاز والرماة وهو يتوسط القلب بقيادة ابن أبي حفص الهنتاني فانبرت الخيالة البربرية واقتحمت الأوعار التي تحصنت فيها عشرات الآلاف من الأسبان فانكسرت طليعة العدو وقرعت طبول النصر وظهر الخلل في صفوف (الفونس) بعد توالي النجدات الموحدية التي أطبقت على حصن (الأرك) وطاردت الفلول المتعثرة وأسرت آلافا من الجنود ما لبث المنصور أن حررهم محتفظا بكتل من الأسلاب والعتاد والخيول. وعاد المنصور إلى مراكش (594 هـ) وتلقب بالمنصور ثم ما لبث أن توفي في (ربيع الأول عام 595 هـ).

وكان القرنان الخامس والسادس أبرز العصور العلمية في المغرب حيث أصبح بلاط مراكش ملتقى الفلاسفة والأطباء والشعراء وتحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثيل[19]، وبذلك أمكن للموحدين تحقيق وحدة الإسلام السياسية من قشتالة إلى طرابلس إلى السودان وقد شيدت القلاع و الأسوار في مختلف الحواضر ومدت القنوات منذ ظهور الدولة.

وكان للموحدين جيش عتيد اقتلع جذور (النورمانديين) من إفريقية بفضل أسطول قوي ساد البحار فكان أول أسطول في المتوسط (حسب أندري جوليان) وأسست في هذا العهد كتابة لديوان الجيش النظامي الذي كانت نواته الأولى هي ثلاثة آلاف الطلبة الذين تم تدريبهم بالإضافة إلى العلوم التقليدية على ركوب الخيل والسباحة والرماية والتجديف في بحيرة المسرة (المنارة) وتضخم هذا الجيش بانضمام الأغزاز والأكراد والعرب إلى أن بلغ نصف مليون.

وبعد وفاة المنصور خلفه ولي عهده محمد الناصر لدين الله وتجددت بيعته عام (595 هـ) وكان رجلا شجاعا واستعاد مجموع إفريقية وانتصب الهنتاني جد الحفصيين واليا عليها فركز الخليفة بذلك سلطة الحفصيين في تونس قبل أن يعود إلى حاضرة ملكه (604 هـ) وانفسح بانهيار بني الغانية مجال تحرير جزيرة ميروقة التي استعصت على المنصور فنازلها الأسطول الموحدي بإمرة أبي العلاء وأبي سعيد بن أبي حفص وقتل واليها عبد الله أخا ابن غانية وولى عليها عبد الله الكومي الذي أسندت إليه بعد ذلك أميرالية

(19) عبد الواحد المراكشي في (المعجب ص 176).

الأسطول وتوالى على ميروقة ومنورقة بعد أبي زيد عم الخليفة عاملان نيفا وعشرين سنة إلى أن احتل (ميروقة) ملك أركون عام (627 هـ ـ 1230م)، واقتحم ألفونس (قلعة رباح) التي كانت أمنع الحصون واصطدم بالناصر فهزمه في (حصن العقاب) (15 صفر 609 هـ / 1212 م)، وكانت ضربة قاسية انهارت بها مقومات الأمبراطورية الموحدية.

إن قواد (الفردوس) المتخاذلين لم يستطيعوا تحقيق الانتفاضة اللازمة لتدارك الأمر فظل الخلاف ينخر كيان الأمبراطورية الموحدية طوال نصف قرن وهي متماسكة وقد أسفر انحلال المقومات العسكرية والروح السياسية عند مشيخة الموحدين عن انبثاق معسكرات في البلاط مما شجع الحفصيين على الاستقلال بتونس وزناتة وبني عبد الواد وبني زيان بالجزائر وبني مرين على الزحف على الشمال وتمردت القبائل العربية في سهول المحيط الأطلنطيقي وبنو معقل في واحات الصحراء.

والواقع أن الزمان كان يخدم المسيحية إذ تمزقت وحدة الأندلس المسلمة بقيام إمارات مستقلة بقيادة ولاة موحدين أو أمراء أندلسيين تجددت بها دويلات ملوك الطوائف للمرة الثالثة وبذلك تفتتت هذه الدويلات واحدة تحت ضربات (فرديناند الثالث) ملك قشتالة و(جيم الأول) أمير (أركون) اللذين تكتلا لاقتسام النفوذ، وهكذا لم تكد تمر ثلاثون سنة حتى كان نصف الأندلس في قبضة المسيحيين وظلت المملكة النصرية وحدها قائمة في تبعيتها لقشتالة ولم يكن في وسع الموحدين نجدة الأندلس المتفككة لما غمرهم من انهيار تدريجي وكان صيت المغرب قد بدأ ينهار في الخارج مما شجع أسطولا جنويا على محاصرة سبتة وفرض غرامة أربعمائة ألف في مقابل الإفراج عنها وكان العهد قد بعد بين المغرب وهذه الغارات الإفرنجية على ثغوره لأن أدعياء الملك كانوا في شغل شاغل بتطاحنهم غير أن بني مرين توالت انتصاراتهم فاكتمل انقراض الدولة المومنية التي أقامت حول مراكش إمبراطورية شملت الأندلس وإفريقية والصحراء إلى السودان.

وكان يعقوب بن عبد الحق (657 - 685 هـ) ـ (1269 - 1286 م) بحق أبرز أمراء بني مرين، لم تنكس له راية ولم يهزم له جيش فحرر سلا من الإفرنج المتواطئين مع يعقوب بن أخيه عبد الله (658 هـ) حيث انتقل من تازة إلى مصب أبي رقراق في ظرف أربع وعشرين ساعة.

واستعرض يعقوب حشوده العربية (سفيان والخلط وذوي حسان والشبانات ورياح والهبط) في طريقه إلى تلمسان.

واستكملت وحدة البلاد من جديد في حدودها الإفريقية ووجد المرينيون في المغرب الجديد ثروة من الرجال والسكان واستقر العمران وانتشر الرغد وازدهر الاقتصاد في الحواضر وتمخض استيطان البدو والأعراب في السهول والواحات عن اتجاه اجتماعي جديد في المجتمعات البربرية عدا الأطلس الذي احتفظ بأصالته واستقلاله الذاتي بالرغم عن بربرية الدولة، وملأت العناصر العربية الجديدة أزيد من نصف البلاد والتف معظمها حول يعقوب الذي أمسى أقوى ملك في المغرب الإسلامي حيث ارتكز على العرب وزناتة معا في قيادة جيوشه وتوطيدها.

وكانت مطامح (ألفونس العاشر) في غزو الثغور الإفريقية لم تتبلور بعد لأن غاراته لم تكن تعدو جولات لنهب السواحل المغربية مع تضييق الخناق على المملكة النصرية.

وقد استنفر الخليفة المتطوعين من جميع القبائل واتجه أوائل عام (676 هـ) من جديد نحو قصر المجاز (القصر الصغير) من حيث أبحر إلى (طريف).

ولم تسفر حركات الجهاد المتوالية ضد قشتالة عن أي تعديل في التخوم القائمة بين الإسلام والمسيحية إذ تمخضت الانتصارات عن اختضاد شوكة قشتالة وتوطيد مملكة غرناطة التي واصلت الاضطلاع برسالة خالدة في الفردوس المفقود.

وكان الناصر أبو يعقوب يوسف (68 - 706 هـ / 1286 - 1307 م)، جوادا شهما مهيبا قام بتحرير الرعية من الضيافة الإجبارية ورعاية أمن الطرق.

وقد نقض (سانجة) عقود السلام فأبحر يوسف إلى العدوة بعد أن مهد قائد الحاميات المرينية الطريق بغارات هوجاء ضد قشتالة فالتحم الأسطولان في بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) ونزل الجيش المريني بعد انهزام القطع القشتالية لمواصلة الغارات على إشبيلية وشريش والعودة إلى المغرب (691 هـ).

وزحف يوسف لحصار تلمسان وأدار عليها سورا ثانيا وخندقا سحيقا وأحاطها

بالمجانيق واستمر التطويق الخانق مائة شهر وفي عام (692 هـ) اختط يوسف بجانب السور قصرا ومسجدا وانتظم عمران هذه المدينة الجديدة (المنصورة) وكانت قوات يوسف تغزو النواحي الشرقية (وهران ومستغانم وتنس وشرشال وونشريس ومليانة والمدية والجزائر) وتنافس الحفصيون في خطب ود سلطان المغرب الظافر الذي ورد عليه يوسف شريف مكة وأوفد ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون أحد مماليك الأيوبيين بالهدايا والتهاني مع بيعة شرفاء الحرم المكي وقرر الخليفة الإشراف شخصيا على العمليات إلى الريف والجبل فاقتحم حصن (علودان)وانتقل إلى طنجة (708 هـ) وقد اختطت (تطوان) من جديد كمركز لتنسيق الغارات وكان قد مر على بناء قصبتها في عهد يوسف نحو ربع قرن (685 هـ) وخف السلطان إلى الرباط لتفقد الحال وتعزيز الأسطول ببناء قطع جديدة في دار الصناعة بسلا.

ولعل أعظم ملوك بني مرين وأوسعهم نفوذا هو أبو الحسن الذي أقر في حصن (تاوريرت) حامية عسكرية لمراقبة حدود المغرب الشرقية ثم أعاد الكرة على المغرب الشرقي فاحتل وجدة وحواضر المغرب الأوسط وتكتلت زناتة كلها تحت لواء أبي الحسن الذي ذاع صيته في العالم الإسلامي وتواردت عليه برد سلطان مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد ابن قلاوون وتبودلت (738 هـ) الخطابات والهدايا الثمينة من الأحجار الكريمة والحلل المذهبة والمرصعات والدرق اللمطية والخيول والصحف واستونفت العلائق بعد وفاة الناصر (741 هـ) مع نجله أبي الفداء إسماعيل حيث وصل الوفد المغربي إلى مصر بعد أربع سنوات (745 هـ) وقد وصلت كذلك تهاني السودان عن طريق سفارة وجهها سلطان مالي (منسى موسى) إلى أبي الحسن فبعث سلطان المغرب وفد الرد على التهنئة مع هدايا فاخرة وهكذا حقق أبو الحسن ما طمع إليه أسلافه فرضخ إليه ملوك عصره واكتمل بعقدهم انصياع ملك غرناطة محد الرابع (نجل السلطان أبي الوليد بن أبي سعيد فرج بن الأحمر) الذي وفد على أبي الحسن بفاس عام (732 هـ) للاستنجاد به ضد القشتاليين حيث كانوا قد احتلوا (جبل الفتح) (جبل طارق) منذ ربع قرن (709 هـ) فاسترد الأمير أبو مالك نجل السلطان المريني هذا الحصن (733 هـ) بخمسة آلاف من الأجناد البواسل غير أن هذه الأمبراطورية الجديدة كانت منهارة من أساسها وهيأ أبو الحسن الأساطيل لغزو العدوة فتواردت على سبتة ست عشرة قطعة بحرية بإمرة ابن فرحون قائد أسطول بجاية تعزز بها الجهاز الملاحي المريني

فتجمعت مائة سفينة هزمت الأسطول المسيحي وقتلت قائدة (الملند) واستاقت السفن المسلوبة إلى الثغور الإسلامية (شوال 740 هـ) ثم أجاز أبو الحسن فعسكر حول طريف وطوق المدينة واستنجد (ألفونس) بأساطيل البرتغال وجنوة فحالت في الزقاق دون وصول المؤن إلى السلطان ونضب الزاد في الجيش المريني بينما تعزز القشتاليون بفيلق برتغالي ولم يكد يمضي نصف عام على حصار (طريف) حتى دخلها القشتاليون ليلا واستمر العراك في الصباح وفوجئ المسلمون فتراجعوا امام زحف الحامية التي استولت على ذخائر الفسطاط الملكي وأضرمت النيران في المعسكر والتجأ أبو الحسن إلى جبل الفتح وعبر الزقاق (7 جمادى الثانية 741 هـ / 28 نونبر 1340 م) وبذلك مني الخليفة المريني بأكبر هزيمة في (وقعة طريف) قطعت الأمل في استيناف الجهاد بالأندلس فواجهت المملكة النصرية مصيرها بوسائل خاصة.

ومع ذلك بقي (جبل الفتح) تحت الحكم الإسلامي أزيد من قرن (1462 م).

وبويع أبو عنان (749 - 759 هـ) فمهد المغربين ولكن دواعي الانهيار كانت تنخر كيان الدولة المرينية وتجددت تلك الظاهرة المستديمة في تاريخ المغرب منذ عهد (ماسينيسة) وهي الصراع الموصول بين القبائل الرحالة والأفواج القارة في القرى والحواضر، نعم إن ثورات الأعراب الجامحة انضافت إلى هلهلة الجهاز العسكري المريني الذي عجلت انقساماته بالانهيار.

وقد خلف بنو مرين الموحدين فأعطوا للفن اتجاها جديدا تبلورت فيه الازدواجية المغربية الأندلسية وانكبوا على إقامة المدن المحصنة ونقش المساجد والمدارس.

أما القوة العسكرية فإنها لم تقل مناعة عنها في عهد الموحدين وقد شاركت قبائل زناتة والعرب المستقرون في المغرب فكون هؤلاء كتائب الفرسان بينما اختص الأندلسيون في حمل الأقواس والمرتزقة كنبالين ورماة واستعملت الجيوش المرينية لأول مرة البارود في محاصرة سجلماسة عام (671 هـ) [20] تعزز الجيش بمرتزقة من الأغزاز هم من بقايا العهد الموحدي ووحدة الزي عند زناتة والعرب والمسيحيين (عمائم منسدلة على الأكتاف ومناطق

(20) حسب ابن خلدون وصاحب الذخيرة السنية (ص 158) ويؤكد صاحب (الحلل الموشية) استعمال ابن عباد للمطاردات والرعادات في الجواز الثاني لابن تاشفين إلى الأندلس 481 هـ (ص 55).

مبهرجة ورماح) وقد اعتنى المرينيون بالصوفية فجعلوا منهم روادا في طلائع الجهاد بالأندلس غير أن هذا الإطار الفخم ما لبث أن تهلهل بانبثاق معسكرات داخل البلاط وتدخل المرتزقة والمليشية المسيحية حيث فتك الوزير عمر الفودودى بالسلطان أبي سالم بتواطؤ مع قائد غرسية بن أنطول (21 ذي القعدة 762 هـ).

وظهرت في الجنوب والصحراء إمارات إقطاعية ونكل الفودودى بأنطول وجنده لتآمرهم مع بعض الوزراء المعتقلين وكانت ملحمة عنيفة مات في غمرتها معظم الأجناد المسيحيين وفكر الوزير الثائر في اقتسام المغرب مع الزعيم الهنتاتي وبذلك انفصمت عرى الوحدة المغربية بظهور مملكتي مراكش وفاس تحت سلطة الأميرين.

وكان عهد الحجابة قد أصبح بداية عصر جديد في المغرب فتغيرت كثير من الاتجاهات والعوائد والأوضاع الاجتماعية بسبب طغيان القبائل العربية التي أمست تتحكم في مصير الدولة في المغارب الثلاثة مما أحنق أمثال ابن خلدون على عصابتها المهرجة وتساوقت شتى العناصر في هذه الوجهة الاستئصالية فشاعت الأوبئة وخربت الأمصار واندرست كثير من معالم الحضارة وأطل الاستعمار الأوربي الناشئ مكشرا عن أنيابه في الشرق الأقصى وإفريقيا وسواحل المغرب فاحتل البرتغاليون سبتة (818) وبقي أبو سعيد على العرش خمس سنوات إلى أن توفي عام (823 هـ) واحتلالهم لها عام (869 هـ) والاستيلاء على القصر الصغير (قصر المجاز أو قصر مصمودة) عام (863 هـ).

وهكذا بدأت مظاهر أزمة عصيبة تلوح في أفق قاتم بسبب تطاحن بني وطاس وبني مرين ثم السعديين وزحف الصليب على ثغور الأندلس وسواحل المغرب ضمن حركة استعمارية عارمة في نطاق ما يسمى (Reconquista) برزت مراكز الهند الاقتصادية وانتقلت أوروبا من العصور الوسطى إلى فترة ما قبل النهضة ومحت معالم (الفردوس المفقود) وزحف الإسلام من الشرق على أوروبا تحت راية العثمانيين وأصبح المغرب نظرا لوضعه الجغرافي موزعا بين مطامع الأتراك في حدوده الشرقية و الأسبان شمالا والعالم الجديد غربا وكانت سواحله بالبحر الأبيض المتوسط مسرحا لعراك عنيف بين الهلال والصليب تبلور في سقوط الأستانة (856 هـ / 1453 م).

وأبرز سمة طبعت الفورة الشعبية في هذا العصر الذهبي هي ثورة العلماء والصوفية ضد تدخل الصليب في شؤون الإسلام واحتلال المسيحية لثغور المسلمين وبدأت نقطة هذا الانطلاق في حركة الجهاد المنبثقة في ربض سبتة التي كانت أول معقل مغربي اقتحمته الكاثوليكية ولمس المسلمون خطرا داهما لم تنزجر قبائل العرب من جرائه عن عيثها ولا الملوك الحفصيون والزناتيون والوطاسيون عن تناحرهم.

وكان رجال التصوف يؤسسون المعاقل لدعم حركة الجهاد فاختط المجاهد أبو جمعة العلمي ثم ابن عمه علي بن موسى بن راشد في نفس السنة مدينة (شفشاون) في نقطة استراتيجية سيرتكز عليها الخطابي في حرب الريف (1920 - 1926) ثم شيد المهاجرون الأندلسيون المنحدرون إلى المغرب قبيل استيلاء الأسبان على غرناطة عام (897 هـ) مدينة تطوان بمساعدة بني راشد فأصبحت قاعدة للهجمات التي والاها المجاهدون بقيادة علي المنظري ضد الوجود الأجنبي في المغرب وكان البرتغاليون قد اكتسحوا معظم ثغور الشمال وبدأوا يزحفون نحو المراكز الساحلية بالجنوب (أنفا عام 874 والبريجة عام 907 وأكادير عام 910) فمات في غضون ذلك محمد الوطاسي (910 هـ) وخلفه ولده محمد البرتغالي الذي خاض غمرة الجهاد في الشمال بينما انبثق السعديون لمواجهة الاحتلال الأجنبي في الجنوب وقد قاوم الشعب في هذه الغضون مقاومة عنيفة رغم قلة الحاميات النظامية فكبدت الجماهير العدو خسارات فادحة في أسفي وأزمور طوال سنوات عديدة وزحف الجيش البرتغالي (912هـ ـ 914 هـ) نحو اصيلا المحتلة منذ عام (876 هـ) للاقتصاص من الذين أذاقوه مرارة الأسر سنوات فالتحم الفريقان داخل المدينة ولكن النصر حالف الأسطول البرتغالي والأسباني الذي عزز مراكزه في المتوسط والأطلنطقي بتأسيس (بادس) واحتلال وهران (914 هـ) ثم المعمورة (المهدية) (920 هـ) في نفس الفترة (922 - 923 هـ / 1515 - 1517 م) التي بدأ العملاق التركي يغزو الجناح الشرقي من البحر المتوسط فكانت بداية عصر التحجر والانحطاط في العالم العربي إذ انقلبت العصور الوسطى (395 هـ / 1453م) التي ازدهرت في فترة منها معالم الحضارة الإسلامية إلى عهد صراع بين مدينة إسلامية متحضرة وحضارة أوروبية نامية وساوق هذا الصراع في الصعيد العالمي صراع إقليمي بين السعديين والوطاسيين.

وهكذا تمخضت القسمة الصليبية عن وقوع المغرب في منطقة نفوذ البرتغاليين كرد فعل لاحتلال المغاربة للأندلس طوال ثمانمائة سنة وحملات القراصنة الذين اتخذوا من بعض المراسي المغربية ملجأ لأساطيلهم. وكانت قلعة (سانطا كروزا) بأكادير قاعدة برتغالية في المحيط الأطلنطيقي وقد استغرق البرتغاليون نحوا من ثلاثة أرباع قرن في احتلال مراسي الشمال إلى نهر سبو وما يقاربها ثم ضم مراسي الجنوب من مصب أم الربيع إلى السوس وبذلك قبضوا على زمام معظم المرافئ المغربية (عدا سلا وبادس) التي استحالت إلى حصون تحت ضغط الغارات الوطنية ولكن هذا الهيكل ما لبث أن تضعضع بسبب الانتفاضات الشعبية التي ساندت تطوان والشاون والعرائش والقصر الكبير غير ان تخاذل بعض القبائل في الجنوب فسح المجال مؤقتا لحماية برتغالية فعلية ونفوذ اقتصادي خطير من السوس إلى درعة ومن أسفي إلى (الرحامنة) وأرباض مراكش ولكن الجماهير ظلت في عراك عنيف مع المسيحيين تبلور في وقائع منها الغزوة التي أججها قرب أصيلا القائد عبد الواحد العروسي (940 هـ) وكان تهالك الأدعياء على العروش هو العامل الحاسم في تقويضها بالعدوتين فهذه مملكة غرناطة قد اعتلى عرشها السلطان أبو الحسن علي بن سعد فدفع القشتاليون أخاه محمد الزغل لمناوأته وحظي بالبيعة في مالقة فانقسمت الدولة شطرين (880 هـ). وكانت (قشتالة) قد اتحدت مع (الأراكون) بسبب زواج إيزابيلا وفرديناند وانقطعت إمدادات المغرب باحتلال مراسي الزقاق وتطويق السواحل وانتقال الهجوم البرتغالي إلى عقر الديار المغربية فاسترجعت الكاثوليكية بذلك آخر معقل عربي في الأندلس وانعقد أول اجتماع مسيحي بين ملوك الكاثوليكية في (قصر الحمراء) غداة الاحتلال ورغم الشروط السبعة والستين التي حاول الغرناطيون بها ضمانة حريتهم الدينية وأموالهم بدأت سلسلة قاسية من التعسفات دفعت الأمير المخلوع إلى الهجرة إلى فاس وتنصير المسلمين بعد بضع سنوات (904 هـ). وأسفرت ثورات المسلمين العارمة بأمصار مملكة غرناطة الشهيدة عن تشتيتهم وإدماجهم في شمال البلاد وغربها عام (1570 م) ولكن تعلق الكثير منهم بالإسلام حدا (فيليب الثالث) إلى نفيهم نهائيا (1609 -1612 م) ففسح المغرب صدره للمهاجرين وورث حضارة الأندلس اليانعة.

وكان لسقوط الأندلس وغزو البرتغاليين والأسبان لسواحل إفريقيا الشمالية رد فعل

قوي في نفوس الجماهير التي انتفضت في الحواضر والبوادي للجهاد في معركة صليبية عنيفة اتخذت المغرب مسرحا لها وقد أذكى هذا الاعتداء الروح العسكرية وبغض الأجنبي المغير وتبطنت هذه الوجهة الساذجة باتجاه صوفي جديد نما وترعرع ضمن وحدة شعبية شاملة قاد فورتها العلماء والصوفية والأشراف وانضاف إلى ازدهار الثقافة الإسلامية إشعاع روحي جعل من الأمة الواعية كتلة متراصة في وجه العدو.

وفي هذا الخصم العارم انبرى السعديون لقيادة الثورة تحت شارة الانتساب لآل البيت وكان البرتغاليون قد نفذوا إلى السوس، واكتمل تحرير الثغور الجنوبية باحتلال (فونتي) (947 هـ) واختطاط مرساها (أكادير) ثم الدخول إلى أسفي وأزمور (998 هـ) اللتين نزح عنهما البرتغاليون.

فنقل السعديون عاصمتهم إلى مراكش وعززوا جيشهم بالأتراك الذين قدموا مع أبي حسون بقيادة الكاهية صالح باي (وهم اليكشارية أي الجيش الجديد).

وكان الشغل الشاغل لمحمد الشيخ هو مطامع الأتراك بالمغرب حيث أوفد السلطان سليمان للدعوة له على المنابر وسك النقود باسمه احتذاء بأبي حسون فشعر بالخطر الداهم ولم يكد رسول (الباب العالي) يعود إلى القسطنطينية حتى صدر الأمر بدس بعض صعالكة الأتراك لاغتيال الأمير الذي كان في نفس الوقت يسعى في التحالف مع الأسبان لطرد العثمانيين من إفريقيا الشمالية.

وكان الأتراك مشتغلين في هذه الفترة باحتلال البلقان وأوربا الوسطى فكان للقراصنة الفضل الأول في طرد الأسبان من ثغور الجزائر وتونس وإخضاع الإيالتين للحكم العثماني ضد بني عبد الواد والحفصيين وكان القراصنة قد استقلوا ببعض المراسي وأسسوا جمهوريات حرة وتزعموا حركة الجهاد في البحر المتوسط ومن هؤلاء الأخوان عروج وخير الدين الذي عمد تعزيزا لقوته إلى ضم إيالته للأتراك بالدعوة للسلطان (سليم) الذي جهزه بالجيش والمدفعية فاحتل عنابة وقسنطينة وأصبحت جزائر بني مزغانة عاصمة الجزائر التركية ثم احتل عاصمة الخضراء (تونس) (940 هـ) التي استردها الحفصيون ثم احتلها الأتراك (977 هـ) واصبح (خير الدين) قبطان باشا أي أميرالا للأسطول التركي وخضعت البلاد

للحكم العثماني عام (981 هـ) والبيلكى بإمرة أمثال حسن أغا وحسن باشا والباشا صالح وعلي العلج الذين صاروا يتدخلون في شؤون العرش المغربي. وتقول مصادر أجنبية بأن أبا حسون اتجه من فاس إلى اسبانيا لطلب النجدة من (ماكسيميليان) نظرا لتغيب والده (شارل الخامس) ثم عاد إلى اسبانيا مع ملكها المقبل (فيليب الثاني) ولكنه لم يحصل على أية إعانة أسبانية فالتجأ إلى البرتغال التي أمدته بست سفن ليرابط بها في الحصن البرتغالي بحجرة بادس وعندما كان أبو حسون متوجها نحو سواحل الريف أسره قراصنة صالح الرايس فنقل إلى الجزائر.

وقد حاول السلطان تغطية سياسته الخارجية المتنافية مع مبادئ التحرير والجهاد التي دعمت قيام الدولة السعدية بالزحف ضد البرتغاليين في البريجة (الجديدة اومنزغان) في نفس السنة (969 هـ) بقيادة محمد المسلوخ.

وكان مولاي محمد ولي العهد نائبا آنذاك بفاس فجددت له البيعة بمراكش ثم بفاس ولقب بالمتوكل (981 - 983 هـ) (1574 - 1576 م) وهو معروف بالمسلوخ وقد واجه منذ اعتلائه العرش مشكلة خطيرة هي وجود عمه عبد الملك وأحمد في القسطنطينية لاجئين عند السلطان سليم يستحثانه لإمدادهما بالجيش والعتاد لاعتلاء أريكة المغرب الأقصى فانتظمت الحملة واستسلف عبد الملك المال والعتاد وزحف نحو المغرب الأقصى في حشود تركية ففت ذلك في عضد المتوكل الذي سارع إلى النزوح ودخل أبو مروان إلى فاس (سابع ذي الحجة 983 هـ - 31 مارس 1576 م).

وقد امتاز مولاي عبد الملك (983 - 986 هـ) (1576 - 1578 م) بأصالة في الرأي نتجت عن تقلباته في الخارج واحتكاكه بشتى الحضارات التي كانت تتفاعل إذ ذاك في الإمبراطورية العثمانية حيث أجاد الأسبانية والإيطالية والتركية.

وبعد مبايعته بفاس وبذل المال والهدايا للجند التركي مع عشرة مدافع والتظاهر بالدعوة للسلطان (مراد) على المنابر رحل العثمانيون عن المغرب واتجه الأمير نحو مراكش في جيش جديد تعزز قوامه الفاسي والأندلسي بأتراك وجزائريين (زواوة) وعرب واصطدم الأميران في (وادي شراط) فانهزم المتوكل ثم استخلف أخاه بفاس وكلفه بتجهيز العرائش لمواجهة حركة البرتغاليين بأصيلا.

ولم يكن أبو مروان يهتم بأكثر من ضمان استقلال المغرب مهما تكن الوسائل وكان يتوجس خيفة من مطامع الأتراك لذلك لم ير بدا من محالفة الأسبان لاسيما وأن خصمه المتوكل يحاول الاستعانة بهم لإعادة الكرة على العرش ووازن الأسبان بين المعسكرين ففضلوا الجالس على العرش فلم يسع المتوكل آنذاك إلا الاستنجاد بالبرتغال وقد حنكت التجربة أبا مروان في (الأستانة) فأصبح يقدر فعالية الدسائس التي تحاك في الحقل الدولي فعمد إلى نهج سياسة والده في السوس بتشجيع التجار الأنجليز دون الانغمار في تحالف سري طبقا لرغبة الملكة (إليزبيت) التي أوفدت لهذه الغاية سفيرها (إيدموند هوكان) Edmond Hogan كما سعى في ربط صلات ودية بفرنسا صديقة الأتراك لضمان حيادها أو توسيطها عند الاقتضاء.

معركة وادي المخازن : (جمادى الأولى 986-4 غشت 1578 م): في هذه الغضون كان المتوكل قد وصل إلى لشبونة فتطارح على ملكها الشاب (الدون سبستيان) الذي كانت نفسه الطموح تحدثه بغزو المغرب في حملات صليبية جديدة وحسب الأمير المغرور الفرصة سانحة فاهتبلها رغم نصح رجال الدولة بالعدول عن هذه المغامرة الزائفة غير أن الحشود[21] البرتغالية كانت قد تجمعت في طنجة وأصيلا (ربيع الثاني عام 986 هـ) وبرر المتوكل هذه الحملة الصليبية على المغرب وفتح أبواب أصيلا للمسيحيين - وكانوا قد جلوا عنها أيام محمد الشيخ - بتقاعس المسلمين عن نصرته فأجابه العلماء والأجناد برسالة حملوه فيها تبعة الفرار من المسؤولية والنزو على العرش الذي عهد محمد الشيخ به للأكبر فالأكبر تبعا لتقاليد الملك العضود في صدر الإسلام وسار الأجناد البرتغاليون في حركة بطيئة بعرباتهم ومعداتهم الثقيلة فوصلوا إلى أرباض (القصر الكبير) في ظرف زهاء عشرة أيام واستنفر (أبو مروان) في هذه الأثناء جيش فاس بقيادة أخيه لمواجهة هذا الزحف الأجنبي الذي نصح (المتوكل) تعزيزه باحتلال تطوان والعرائش للاستعانة سلفا بقبائلهما ولكن أبا مروان استعجل (سبستيان) بالتحدي[22] فعبر وادي المخازن وعسكر قبالته وبادر أبو مروان غب

(21) بلغ عدد الجنود البرتغالية 125.000 حسب (نزهة الحادى) و (المنتقى المقصور) و 60.000 حسب (الذخيرة السنية) ونحو 200 مدفع أما المراجع الأجنبية فإنها تتحدث عن 14.000 راجل و 2000 فارس و36 مدفعا مقابل 50.000 راجل في الجيش المغربي و 22.000 فارس معظمهم أعراب من الخلط وغيرهم و 1.500 من الرماة و 20 مدفعا.

(22) تقول (النزهة) بأن أبا مروان كتب رسالة إلى الأمير البرتغالي يستفز نخوته للمجيء إلى (وادي المخازن) وكانت مكيدة من الخليفة السعدي.

وصوله بنسف قنطرته فانحبس البرتغاليون بين نهرين وتعذر عليهم كل تراجع إلى الخلف لانعدام المشارع في الوادي وانتظم الرجالة المسيحيون ضمن مربع قبعت في قلبه قوافل عربات المؤن والذخيرة ووقف الرماة في الطليعة والفرسان ميمنة وميسرة وواجههم المسلمون في نفس النسق في شكل هلال مسرح الأجنحة للانقضاض من الجوانب عند الاقتضاء وبدأت المعركة في الهجيرة (متم جمادى الأولى عام 986 هـ/ 4 غشت 1573 م) وأشعة الشمس تبهر عيون العدو ولهيبها يلفح وجههم وأسنة الرماح وقذائف الأنفاض تهددهم من أمام والمياه الزاخرة من خلف وسارع جيش أبي العباس إلى الهجوم فانقضت ميمنته على مؤخرة العدو بينما اتجهت الميسرة ضد الرماة فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة وانحازت الفلول الفارة فغرقت في اليم وفي ضمنها (سبستيان) والمتوكل ولفظ أبو مروان نفسه الأخير بعد استعصاء مرضه فسلخت جثة المتوكل وحشيت تبنا وطيف بها في المدن وسلمت أشلاء الأمير البرتغالي من طرف الأمير أبي العباس إلى ذويه ونقل رفاة أبي مروان الشهيد إلى مقبرة الأسرة بمراكش وبويع أحمد خليفة فخف للقبض على زمام الأمر بعد استتباب النصر وإعلان موت السلطان بينما تسارعت الفلول المهزومة لاجئة لأصيلا حيث بقي الأسطول رابضا.

وإذا كانت هذه المعركة الفاصلة فترة عارضة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والإسلام ـ كما يقول طيراس ـ فإنها كانت انتفاضة شعبية ضد الصليبيين المعتدية أنزلت الضربة الأخيرة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال دولة البرتغال لأن (الدون سبستيان) مات بدون وارث فخلفه (فليب الثاني) ملك أسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة وبانهيار البرتغاليين تقلص ظلهم في الخليج العربي الذي ما لبث أن تحرر من ربقتهم ولكن الأساطير انبثقت لتحيط هذا الجانب أو ذاك بهالة من القداسة ربما كان الكثير منها بعيدا كل البعد عن الواقع الذي لم يكن أكثر من معركة قضت على الوجود البرتغالي بالمغرب كما قضت (وقعة طريف) البسيطة العادية على الوجود المريني في الأندلس ولكن صدمتها كانت من مظاهر عناية الله بالدولة الناشئة التي خطبت ودها الدول العظمى لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالشيء الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير إعجاب العالم مهما تكن حقيقة الأوضاع والملابسات وأشع هذا الانتصار ففتح عهدا جديدا في علائق النصرانية والإسلام.

بويع أبو العباس أحمد المنصور غداة انتصاره في (معركة وادي المخازن) وتوالت عليه وفود التهنئة من تركيا والجزائر وقشتالة وفرنسا وحتى البرتغال بالهدايا والتحف الثمينة استعرضت في حفل شعبي بفاس.

وكان شغوفا بمظاهر الحضارة الأندلسية المغربية وبالطابع القومي في الفكر والتقاليد منكبا على دعم مقومات الدولة التي حاول أن يضفي عليها طابعا إفريقيا بتوسيع رقعتها في أقصى فيافي الجنوب ولعل اندحار البرتغال هو الذي حداه إلى أن يخلفه في اكتساح الصحراء والسودان حماية لهما من عودة الاستعمار إلى حدود المغرب الجنوبية.

واستشعر المنصور من مقامه في دار الخلافة العثمانية بما للمظاهر والشكليات من أثر عميق فوسم بلاطه بمعالم الفخفخة وتجلت التراتيب الطريفة في الجهاز العسكري بتنافس فاس ومراكش.

ولم يغب عن ذهن المنصور ما كان يهدد كيان المملكة من الخارج لولا النزعات الأوروبية التي وجد فيها الخليفة حاجزا موقتا وكان الصراع قائما آنذاك بين بلاد النمسا وانجلترا وفرنسا وهولندة مما قلص سياسة التوسع الإفريقي الأسبانية ومعلوم أن (شارل الخامس) ملك أسبانيا كان أمبراطورا للنمسا وألمانيا وحارب ملك فرنسا (فرانسوا الأول) طوال ثلاثين سنة وكذلك الأتراك وخلفه ولده (فليب الثاني) الذي ملك إلى جانب أسبانيا هولندا ثم البرتغال بعد مرور ثلاث سنوات على وادي المخازن (1580م) وعاش بعد ذلك زهاء العشرين سنة (1598 م) لم تمكنه الظروف خلالها من استفزاز المغرب الذي كانت ذكرى انتصاره الباهر مازالت عالقة بالأذهان كما انغمرت تركيا في الحروب الأوربية فلم تعد تهدد المغرب وكان بذخ المغرب وقصوره الفخمة وعملته القوية تحدو الدول إلى خطب وده تقديرا لسكره وابريزه وبعد أن كان (فليب الثاني) يطمح إلى احتلال العرائش اضطر إلى التنازل عن أصيلا (1592 م) لحمل السلطان على عدم تأييد (الدون أنطونيو) الطامع في عرش البرتغال.

وكان المنصور قد اقتبل ببرود وفد (مراد العثماني) الذي ورد على مراكش للتهنئة بالنصر فحنق الباب العالي وأنصت للطامعين في غزو المغرب أمثال (الباشا علي علوج)

الذي تمكن من إقناع السلطان بتوجيه حملة ضد مراكش وطرق الخبر سمع المنصور فاستعد للنزال بينما وجه إلى القسطنطينية سفارة فيها الأحمدان ابن ودة والهوزالى لقيت أسطول علوج في طريقه إلى المغرب فتم التهادن وتبادل الوفادات والهدايا وعززت أسبانيا حلفها للمغرب خوفا من وجود علوج بالقرب من مركزها بوهران ولكن علوج أقصي إلى الشرق الأدنى ومات بعد خمس عشرة سنة فتقاربت أسبانيا وتركيا بالاعتراف بالوضع القائم غربي البحر المتوسط وكان في ذلك تعزيز غير مباشر للسعديين.

أما مع انجلترا فإن المبادلات التجارية ظلت نشيطة وعرف المغرب كيف يستغل قضية (أنطونيو) الذي كانت أنجلترا تحدوه إلى مساعدته فاحتفظ المغرب بنجل هذا الداعي واضطرت البرتغال للتنازل عن أصيلا لحمل المغرب على عدم الإعانة فحاول الأسطول الأنجليزي وحده عبثا إمداد الأمير لاحتلال البرتغال ومع ذلك بقيت أنجلترا تطمع في إقناع المنصور بالتحالف ضد الأسبان والاشتراك في غزو الهند وبدأت الدبلوماسية الفرنسية منذ ذلك العهد توجه قناصلها للمغرب كما توطدت علائق طيبة مع هولندا.

وقد سبق للمنصور أن تلقى هدايا (أمير برنو) الذي استعان بالسعديين على نشر الدعوة الإسلامية وكان قد استولى عام (990 هـ) على بعض منافذ الصحراء كتوات وكورارة فاستغل وجود الوفد السوداني لدعوته إلى البيعة وأوفد رسولا إلى الأمير إسحاق للمطالبة بترتيب خراج على معدن الملح بتغازى مثقالا ذهبيا لكل حمل لتمويل الجهاد المشترك في سبيل نشر الإسلام بالسودان وكان آل سكية يستدرون من هذا المنجم أموالا طائلة طمح المنصور ألى استغلالها باسم الخلافة فكان رفض الأمير إسحاق مطية لغزو السودان الذي بادر المنصور بامتطاء أوعاره رغم معارضة حاشيته وتحرك الجيش المغربي بأجهزة جديدة قوامها آلاف الجمال[23] والأفراس وعدد من المدافع المحمولة على العجلات بقيادة (الباشا جوذر) فوصلت القافلة العسكرية عن طريق درعة إلى تنبكتو ومنها إلى (كاغو) بعد ستة أشهر (16 ذي الحجة 998 هـ / جمادى الأولى 999 هـ) فانبرى الجيش السوداني والتحم الفريقان في (تونديبي) فانهزم الزنوج واحتل جؤذر مدينة (كاغو) وانحاز الجيش إلى

(23) تقول المصادر العربية بأن هذا الجيش بلغ 22.000 من رماة وفرسان ورجالة مقابل 104.000 مقاتل سوداني مجهز بالرماح والسيوف.

(تنبكتو) بعد أن أرهقته وخامة الجو فغضب الخليفة وبعث جيشا جديدا بإمرة (محمود باشا) اخي جؤذر فاستحث القائد الجديد ركائبه ووصل أوائل السنة التالية (1000 هـ) بقواربه المفككة لشحن الجند بمياه (النيجر) وساوقه أغلب الجند برا فالتحم الفريقان وطورد إسحاق وأخوه فقتلا وظلت السودان خاضعة للقائد محمود ثم لسلسلة من الباشوات المستقلين والكاهيات الذين حكموا البلاد ودعي لهم على المنابر إلى آخر عهد الحسن الأول والاحتلال الفرنسي (1893 م).

وقد اتخذت الحضارة المغربية في هذه الفترة مظهرا جديدا تبلورت فيه الازدواجية العربية التركية في الجيش.

ولكن هذا الجهاز الضخم ما لبث أن انهار بعد أن تطاحن أبناء المنصور لاعتلاء أريكة العرش وتجدد انقسام الدولة إلى مملكتي فاس ومراكش وانبرى أمراء الطوائف لتجزئة المغرب إلى إقطاعيات وانتشرت الفوضى بتعاقب الأدعياء على العرش وظلت ضاربة أطنابها بفاس رغم محاولة مملكة مراكش السيطرة عليها إلى أن ملكها أهل الدلاء وكان (زيدان) منهمكا في تركيز سلطته بمملكة مراكش فسالم البرتغاليين في (الجديدة) واستنجد بالباب العالي[24] واستعان بالقراصين الأسبان عند استعصاء وضعه السياسي لتهريب ذخائره وخزانة كتبه إلى أكادير ولكن المنية عاجلته(1037 هـ) فخلفه ولده أبو مروان عبد الملك.

وهنا انبرى العياشي ففر من (أزمور) حيث كادت تحيط به عصابة (زيدان) بعد إثخانه ضد (الجديدة) ثم حارب أسبان (المعمورة) وانضمت إليه قبائل الإقليم الممتدة من (تامسنا) إلى فاس وتازة معززة بالفقهاء والعلماء والصوفية كسيدي العربي الفاسي وابن أبي بكر الدلائي ومحمد بن ناصر الدرعي ثم استأصل بجيش فاس معظم حماة (حلق الوادي) وكاد يحرر (المهدية) لولا توارد الإمدادات وتقاعس الجند الأندلسي على إعداد الجهاز الحربي لتسلق الأسوار ولم يقتصر جهاد (العياشي) على (المهدية) بل والى غاراته على العرائش وتوغل في مملكة مراكش للانقضاض على حماة الجديدة فاستأصل (عام 1049هـ / 1639 م) جند البرتغال ونقل أسراهم إلى سلا ثم حارب العدو في طنجة

(24) ذكر اليفرني أن زيدان أهدى إلى القسطنطينية عشرة قناطير من الذهب نأعانوه ب 12.000 جندي غرقوا في البحر.

(1050 هـ / 1640م) واستتب نفوذه في المغرب بإقرار النظام والضرب على يد المشغبين وخاصة بفاس ومطاردة المغير الأجنبي ولكن خصومه الأندلسيين كانوا قد لجأوا إلى الدلائيين الذين أسس جدهم أبو بكر زاوية بالدلاء شرقي الخنيفرة بآيت إسحاق فأصبحت مركز إشعاع علمي وخلفه نجله العالم محمد الذي التف حوله برابرة الأطلس الأوسط وعند وفاته (1046 هـ) أصبح ولده محمد الحاج زعيما سياسيا ما لبث أن زحف نحو الغرب فاحتل مكناسة (1050 هـ) ثم مدينة فاس بعد مقتل العياشي وانضمام سهول الملوية.

وقد انبرى أبو الحسن أو أبو حسون علي بن محمد بن محمد نجل الصوفي أحمد بن موسى السملالي في السوس فاستولى على (تارودانت) ولكن صوفيا آخر هو يحيى الحاحي انتزعها منه بعد عراك فمات بها (1035 هـ) وامتد نفوذ أبي حسون بودميعة بعد موت زيدان إلى درعة وسجلماسة حيث استمر حكمه إلى قيام العلويين.

وبينما كان الزيدانيون في الاحتضار محاطين بإمارات طرقية مستقلة أقرت وجودها بتزعم حركة الجهاد كانت أفواج المهاجرين تتوارد بعد أن طردت أسبانيا نصف مليون من المسلمين واليهود الذين استقروا بتطوان والشاون ومصب نهر أبي رقراق فأصبحوا حربا على قوات الصليب وقراصنة البحار وأقاموا «دويلات» كانت لها سياستها الخارجية المستقلة ضمن كيان المغرب المنهار وقد استوطن (قصبة الودايا) أول الأمر أندلسيون انحدروا تلقائيا من مدينة هورناشو الواقعة قرب ماردة بكورة البلاطة ثم التحقت بهم بعد سنة فلول من مدن الأندلس السفلى فاستقروا برباط الفتح داخل سور يقطع السور الموحدي عموديا من الجنوب إلى الوادي بأبراجه وأبوابه (شالة ـ البويبة ـ التبن) وأشرفت القصبة على المجموع في جهاز محكم يدير دفته رئيس ديوان ومقدمان والتأموا مع زيدان والعياشي كجنود مجاهدين وقراصنة أشاوس ينوب الملك السعدي من أسلابهم العشر ولكنهم ما لبثوا أن تحرروا من قيود السلطان.

وقد هاجم الأسبان مصب أبي رقراق قبل وفاة زيدان بأربع سنوات بعد أن أصبحت المرسى مأوى للقراصنة الأجانب وخاصة منهم الأنجليز بزعيمهم هنرى مانوارين وقد اقتبس السعديون من العثمانيين نظامهم العسكري وأزياءهم وكثيرا من مصطلحاتهم وأسند المنصور

إلى ضباط أتراك تدريب العلوج والأندلسيين والعبيد الذين ضخم بهم جيشه بعد احتلال السودان وأسندت قيادة قبائل الجيش (الكيش) إلى باشوات وقد بلغ عدد جنود فاس في عهد المنصور (22.000) من بينهم (4.000) مخازنية (كلهم بأكسية الملف والحرير والكتان) وفرسان مراكش اثني عشر ألفا[25] والسلطان مولاي عبد الله هو الذي أدرج الأندلسيين في (ديوان الجيش) في حين أدخل المعتصم أهل فاس.

ويلاحظ بخصوص المؤسسات العسكرية أن الانقلاب الذي طرأ على الأساليب الحربية تحت تأثير بوادر النهضة الأوربية وانبثاق عهد الآلة حدا الدولة المغربية إلى تعديل مناهج وطرق التعمير فالأسوار المحيطة بالمدن الكبرى تعززت بأبراج مجهزة بعتاد جديد لمقاومة المدفعية مثل «باسنيون» (أي حصن) تازة الحامي لمر تازة الواصل بين الشرق والغرب طول أضلاعها ستة وعشرون مترا وتطل منها على المدينة ثلاث عشرة غرفة للرماية كما تحتوي على مستودعات للعتاد وقد أقام المنصور بفاس برجين آخرين يشرفان على المدينة ومازال البرج الجنوبي على حالته بينما أدخلت تعديلات على البرج الشمالي خلال القرون الأخيرة وتجدر الإشارة هنا إلى أن السعديين أضافوا أجهزة قوية جديدة إلى المعاقل والحصون البرتغالية في المدن المحررة (أسفي وأزمور والجديدة) كما بنوا قناطر ذات طابعين إستراتيجي ونفعي - ومعابر لنقل المياه وسقايات عمومية.

أما الملوك العلويون فهم من أصل حسني انحدروا إلى المغرب من (ينبع النخل) بالحجاز وأول من دخل منهم إلى المغرب هو (حسن بن قاسم) أواخر القرن السابع.

وأول قائد سياسي من حفدة حسن بن قاسم هو مولاي علي الشريف الذي أقام بفاس وجاهد في السودان والأندلس وترك في هذه ذكرا طيبا حدا الكثير من الغرناطيين إلى الرغبة في مبايعته.

وقد كون محمد بن الشريف بن علي جيشا تزعم به حركة تحرير الإقليم الشرقي من حكم الأتراك حقق هدفه الأول وهو إثارة القبائل المغربية ضد الدخلاء الأتراك الذين شعروا لأول مرة بالخطر يهدد سلطانهم في المغرب الأوسط، فانبرى مولاي (الرشيد) يوطد دعائم

(25) تاريخ الدولة السعدية (ص 38-48-53-74).

الدولة الجديدة وكانت الظروف مواتية لأن سلطة الأمراء الإقليميين أذنت بالأفول وأصبح المغرب في حاجة إلى انتفاضة يتزعمها قائد حربي وكانت الجولة الاستطلاعية الرشيدية خير رائد للأمير العلوي في تخطيط سياسته العسكرية.

وقام أهل فاس من سكان الحوز (الحياينة والبهاليل والصفريويين) بتكوين جيش جهوي اكتتبوا لشراء خيله وعتاده وأسهمت كل دار ببندقية في هذه العدة الحربية وكانت (باب الفتوح) معرضا لهذه القوة.

وكانت للأمير خطتان رشيدتان في استئصال خصومه هما تبديد قواهم بالحملات الدورية وتجزئة هذه الحملات ضد أعدائه دون أن يترك لهم فرصة التكتل ضده فلم يكن يشرع في محاربة هذا حتى ينقلب فجأة ضد الآخر. وهكذا لم تكد تمضي سنوات معدودات على ظهور المولى الرشيد على المسرح السياسي حتى أصبح سيد البلاد غير منازع ووحد الأقاليم التي فرقت بينها إمارات جهوية جعلت من المغرب صورة لعصر ملوك الطوائف بالأندلس. وبنى القصبة المسماة بقصبة الشراردة حيث رابط جيش شراقة أي الجنود الواردون من المغرب الشرقي من عرب أشجع وبني عامر وبربر مديونة وهوارة وبني سنوس فكانت النواة الأولى لجيش وطني انضوى تحت رايته المواطنون من العرب والبربر، وكابد الأمرين من دسائس الفرنسيين والأنجليز بالشمال وكان البريطانيون قد استقروا بطنجة بعد أن زوج (اخوان السادس) أخته لكارلوس الثاني ملك الأنجيز وجهز إليه العروس بمفاتيح طنجة مما حدا فرنسا آنذاك إلى التفكير في احتلال بعض المراكز المغربية في ساحل الريف ولكنها لم تفعل حيث اقتصر بعض تجارها على طلب تأسيس شركة في (الحسيمة) فرفض الأمير هذا المقترح رغم وعود (رولان فريجوس Roland Frejus) بإمداده بالعتاد الحربي كما رفض التفاوض مع الهولنديين لأنه كان يهدف لإقصاء الأجانب مهما كلف ذلك من ثمن، وكانت اتفاقات بعض الملوك السعديين مع الدول المسيحية قد خلفت ذكريات مؤلمة لم تزل عالقة بنفوس الشعب وهذا ما حدا المولى الرشيد إلى عدم استئصال أساطيل القرصنة بمصب أبي رقراق لأنها كانت تشكل حاجزا دفاعيا ضد المغير الأوربي الذي بدأ يتعلل بأبسط الأسباب للتدخل في المغرب وكان هذا الأسطول يقض مضاجع الغربيين الذين انبثوا على الساحل : الأنجليز في طنجة والبرتغاليون في البريجة (الجديدة) والأسبان في المعمورة (مهدية) وأصيلا والعرائش بينما طفق الفرنسيون يمخرون بسفنهم الحربية على طول المراسي بين

الريف ومصب الملوية عباب البحر الأبيض المتوسط حيث حصن الرشيد مرسى الحسيمة أو المزمة وحجرة نكور (مركز أول دولة عربية بالمغرب في القرن الاول للهجرة) وصارع الأنجليز الذين كانوا يعملون من وراء (الخضر غيلان) ووضع المغرب بذلك اللبنات الأولى لتحرير الوطن بكامله من ربقة الاستعمار الغربي الناشئ.

وكان عشرات الآلاف من المتطوعين يتواردون من شرق البلاد وجنوبها الانخراط في الجيش الوطني الذي تكونت نواته الأولى من شراكة (المغرب الشرقي) والأوداية من الجنوب وأحواز الرباط والشراردة والمغافرة [26] وكذلك العبيد الذين كانوا يرابطون في مكناس وقد انضمت إلى هذه العناصر القارة فلول من سوس وهم بقايا بني معقل (الذين أدخلهم السعديون) وأولاد مطاع وجرار وزرارة والشبانات) وكذلك أهل عبدة والمنابهة والرحامنة وأولاد احمر والخلط وكان معظم هؤلاء الجنود من العرب. ولم يكن هنالك ديوان عام للجيش اللهم إلا فيما يخص العبيد[27] وأهل سوس الذين كانوا يمثلون العنصر النظامي في الجيش الوطني فكانت أسماؤهم وحياتهم تقيد في سجلات خاصة [28] وكان المولى إسماعيل يستمد جنده من القبائل أول الأمر حتى أطلعه (عصر عليليش) على دفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في جيش المنصور السعدي وكانوا منتشرين في مراكش وأحوازها وقبائل الدير فجمع منهم ثلاثة آلاف وقد سمى هؤلاء العبيد بالبخارى نسبة إلى الإمام البخاري. وحكى الرحالة (طوماس بيلو) وجود كتائب صغرى على رأسها قواد أجانب كانوا يرابطون في (القصابى) ولا يستقرون في مكناس طويلا ولعل السلطان كان يستخدم بعض العناصر منهم في المدفعية والهندسة العسكرية ولم يستعملوا قط ـ كما فعل السعديون ـ على رأس المناصب الأساسية.

---

(26) توجد بالأطلس المتوسط قبائل صنهاجية لا تحمل هذا الاسم وقد عدد أسماءها صاحب (الاستقصا ج 9 ص 199 (طبعة دار الكتاب).

(27) تقول بعض المصادر بأن (عليليش) جمع بأمر من قاضي القضاة محمد العياشي نحو 70 ألفا من العبيد ألحقها بمشرع الرملة قرب سيدي سليمان (14 ألفا حسب الناصري) وألحق بباب السلطان نحو العشرة آلاف من الذكور و20 ألفا من الإناث ويقول (الزياني) إن عدد هؤلاء وصل إلى 150 ألفا آخر أيام مولاي اسماعيل.

(28) مازال بعض هذه الدفاتر في الخزانة الزيدانية بمكناس وتوجد دفاتر أخرى تحتوي على لوائح جنود القبائل وكان في كل قبيلة بجانب السجل الجبائي سجل خاص بالخدمة العسكرية يحرر في نسختين وقد أشار الناصري في (الاستقصا ج 4 ص 42) إلى أن قضية تجنيد العبيد مفصلة في الكناش الكبير الإسماعيلي ومن بينهم أهل الديوان المجلوبون من القبائل العديدة برسم الجندية وأشار إلى الخلاف الذي قام بين السلطان والعلماء حول (ديوان الحراطين) دفاعا منهم عن حرية هؤلاء وتملكهم بدون حق وقد قتل خلال هذه الأزمة العالم عبد السلام ابن حمدون جسوس عام (1121هـ) على يد عامل فاس.

أما مسطرة التدريب العسكري فقد بدأت (عام 1100 هـ) بتوزيع أبناء العبيد على فرق اختصاصية في النجارة والبناء وباقي الحرف قبل الانخراط في الجندية والتدريب على حمل الأثقال وركوب الخيل والكر والفر والمطاعنة والمراماة ثم تزويج المتخرجين ببنات يربين في القصر وتسجيلهم في الديوان العسكري وبهذه الوسيلة بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا وزع ثمانون ألفا منهم على القلاع لحمايتها ورابط الباقي في (مشرع الرملة) أو «المحلات» المختلفة.

وقد آلى المولى (إسماعيل) على نفسه أن يحرر من ربقة البرتغاليين والأسبان جميع المراكز التي كانوا يرابطون فيها بالسواحل المغربية وهكذا حرر (المهدية) التي استمر الأسبان في احتلالها نحوا من سبعين سنة (1092 هـ) وأسر كثيرا من رجالها وأنزل بها حامية من أهل سوس وفتح في أسوار القلعة البرتغالية بابا رائعة من جهة البر مع مسجد وقصر لوالي الحامية وبعد ذلك بثلاث سنوات (1095 هـ) توجه الجيش إلى الشمال لفتح طنجة فحاصرها واضطر الأنجليز إلى الجلاء عنها بعد أن هدموا جانبا من أسوارها وأبراجها وبعد خمسة أعوام (1101 هـ) حوصرت العرائش طوال بضعة أشهر فاستسلم الأسبان تحت تأثير الألغام المغربية التي أحدثت ثغرات في الأسوار وعددهم نيف وثلاثة آلاف نقل معظمهم إلى مكناس، وقد ظل البرتغاليون مرابطين في (الجديدة) بينما استمر احتلال الأسبان لسبتة رغم محاصرة السلطان لها بجيش عتيد عدة سنوات وكذلك مليلية والحسيمة وبادس[29] لأن معظم الجيوش كانت منهمكة في توطيد دعائم الدولة وتأمين البلاد وقد قضى المولى إسماعيل نحوا من ربع قرن في هذه الحملات أصبح المغرب بعدها موحدا وامتدت رقعته إلى مجاهل الصحراء وأخصب مناطق السودان حيث لم يسبق للمنصور السعدي نفسه أن وصل واعترف الشعب عن بكرة أبيه بأن له ملكا واحدا - كما يقول أندري جوليان.

وكان المولى إسماعيل يحاول الضرب على يد الأدعياء في نفس الوقت الذي يقيم الحصون والقلاع حيث استغرق أزيد من ربع قرن (1083-1111هـ) في النضال الدائب لجمع شتات الأقاليم الموزعة بين الأدعياء وتحرير بعض المراكز المحتلة من طرف الغربيين ولولا

(29) في (المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر إسماعيل بن الشريف) للمرحوم ابن زيدان حيث ذكر في الباب السابع أن الجيش الإسماعيلي فتح (بادس) وهدم حصنها سنة (1113 هـ)

ازدواج الجبهتين الداخلية والخارجية لاستطاع أن يحرر ما بقي من مدن ساحلية في قبضة الأجانب.

وكانت مكناس كرسي الوزارة في عهد المرينيين فاختارها المولى إسماعيل حاضرة لملكه أقام فيها القصبة التي فتح في سورها عشرين بابا سامقة مقبوة تعلوها أبراج معززة بالمدافع والمهاريس وأسس بحيرة تمخرها الزوارق وأهراء واسعة لخزن المحاصيل وحصنا مستديرا تصوب مدافعه إلى الجهات الأربع وإسطبلا تمتد مرافقه بضعة كيلومترات يسع آلاف الأفراس ومسلحة مربعة لإيداع العتاد.

ولعل من العوامل التي حدت السلطان إلى اختيار هذه العاصمة موقعها الإستراتيجي المؤدي إلى الأطلس الأوسط والمشرف على المنافذ الشمالية لفازاز وتادلة الشارعتين إلى مراكش وأقصى الجنوب وأهمية هذه المناطق من الناحية العسكرية هي التي تفسر لنا تكليف ولي العهد نفسه بإدارة شؤونها.

وكان الأمير في تخطيطاته المعمارية رائعا منطقي التوزيع عرف كيف يصمم مواقع الجيش وقد نهج المولى إسماعيل مع أوربا سياسة التدافع نظرا لأطماع الغربيين وكان يهدف إلى عقد تحالف هجومي ضد المراكز الأسبانية بالمغرب، كما كان يهدف إلى غايتين هما تحرير الأسرى المغاربة المشتغلين في الزوارق الملكية بالمياه الفرنسية والحصول على إمدادات عسكرية لاستكمال تحرير البلاد وبعد جلاء أنجلترا عن طنجة واضطرارها إلى احتلال جبل طارق (1117 هـ) أصبحت أسبانيا من ألد أعدائها فساعد على توثيق روابطها مع المغرب ودعم تجارتها لاسيما وأن فرنسا كانت قد أفرغت لها المجال.

وظل المحور الجوهري للعلائق المغربية الأوربية هو ضمان التدافع بين الدول الأوربية لاستتمام تحرير الوطن.

وفي هذا العهد (1171 هـ ـ 1204 هـ) عرف المغرب شيئا غير قليل من الاستقرار وما يستتبعه من ازدهار فقد تمكنت من تركيز وحدتها وتحرير عدد من المراكز الأجنبية في ربوعها وقامت جيوشها وأساطيلها حاجزا منيعا في وجه الغزو الأجنبي على أن أوربا كانت خلال الفترة التي تقرب من ثلاثة أرباع قرن في فورة من النزاعات والحروب بين دولها زادها

اشتدادا انبثاق عهد (الاستعمار الجديد) حيث اتجهت أنظار الغربيين إلى آسيا وخيراتها. فبدأ الصراع العنيف والتسابق نحو احتلال (جزر الشرق الأقصى) وتعزيز الصناعة الأوربية بموادها الأولية وكانت الأمبراطورية العثمانية آنذاك في طريق الأفول فتقلصت بذلك المعارك الدامية بين الإسلام والنصرانية التي استقرت منذ العهود الصليبية وخلفتها قرصنة الدويلات الحرة القائمة على سواحل البحر المتوسط في الأقطار الإسلامية والنصرانية مما حدا مؤتمرات الحلف المقدس إلى التظافر ضد الأساطيل القرصنية والتركية.

وفي سنة (1173 هـ) حاول السلطان إعادة تنظيم الجيش وتعزيزه بعناصر جديدة سجلت في (ديوان الجيش) بمكناس، وقد عزز الثغور بحاميات قوامها (16.500) جندي وزع عليها عام (1200 هـ) ثلاثة ملايين مثقال كراتب مسبق لخمس عشرة سنة وأقام الأبراج في المراسي مثل العرائش وأنفا وكذلك سلا والرباط حيث بنى برج الصراط (1169 هـ) ثم برج صقالة (1190 هـ) على يد المهندس أحمد الأنجليزي واستقدم بعثة من الخبراء الأتراك لتدريب رماة الجيش كما وجه (600) جندي من آيت عطة و(400) من عبيد تافيلالت إلى طنجة لدراسة الفنون البحرية ولم يكن يانس للتقنيين المسيحيين نظرا لاعتزامه إجلاء الأجانب بقوة عن المراسي المحتلة.

وقد كون أسطولا جدد به العهد السالف ولكنه اصطدم بمصاعب في تجهيزه وإن كان قد استطاع جلب بعض المواد من انجلترا والسويد وتركيا فعزز حماية المياه الإقليمية علاوة على المراكب القرصانية بخمسين سفينة منها ثلاثون فركطة تحتوي على 60 قائدا وخمسة آلاف بحار وألفين من الرماة (الطبجية) و 15.000 من العبيد و 7.000 من الرجالة الأحرار ومثلها من الغرب و 8.000 من الحوز.

أما (الصويرة) فقد أشرف بنفسه على تخطيطها ليجعل منها مركزا تجاريا ومربضا للقراصين الجهادية والحيلولة دون حركة التهريب في الجنوب على إثر احتلال (الجديدة).

وأتقن السلطان عمرانه وشحن الجزيرتين الدائرتين به بالمدافع وشيد برجا على صخرة داخل البحر[30] وكان الاسطول القرصني يمخر عباب المحيط ويغير على الثغور الأوربية

(30) يقال بأن المهندس الذي وضع تصميم تجديد بناء الصويرة هو الفرنسي كورنوط الذي أتقن شبكة التوزيع ورسم الأحياء ثم بنى القلعة المهندس أحمد الانجليزي الذي سجل لقبه «أحمد لعلج» على باب البحر .

ويقتنص المراكب الأجنبية وقد غنم القرصان المغاربة أحد مراكب فرنسا وساقوه إلى مرسى العرائش فقبل أسطورها كلا من العرائش وسلا (1178 - 1179 هـ) وقد توغل خمسة عشر مركبا من أسطول القائد الفرنسي دوشافو في (وادي لكوس) لمطاردة السفن الملكية. وشعر الأمير باستراتيجية مرافئ الأطلنطيق فعزز تحصينها وبنى الأبراج ونقل إليها المدافع والمهاريس وعبأ جيشا وحاصر مانزغان[31] عام (1182 هـ) فانبثقت من أسوار المدينة نيران المجانيق البرتغالية أعقبها قذائف السلطان وقنابله [32] وواصلت الحامية الصمود مستنجدة بأشبونة التي أمرتها بالاستسلام ولم يجل البرتغاليون عن المدينة حتى أغرقوا أربعة زوارق وأحرقوا الأثاث والأواني والماشية ومائة مدفع ونشروا الألغام التي نفطت عند دخول الجيش.

وقد غزا الأمير مليلية عام (1185م) وطوقها ببطارياته من مدافع ومهاريس رمتها بوابل من مقذوفاتها المحرقة.

كما عمد السلطان إلى تقوية علاقاته الودية مع دول أوروبا[33] مثل الدانمارك التي التزمت بدفع إتاوة [34] للمغرب قدرها خمسة وعشرون مدفعا و6.500 ريال والسويد التي تعهدت بتقديم (20.000) ريال سنويا وقد تمت تصفية الشركة التجارية الدانماركية.

وكان المولى (يزيد) محبوبا في أول أمره لفتوته واستقامته وبطولته مما دفع والده سيدي محمد بن عبد الله إلى لحظه بعين الرعاية وترشيحه للخلافة وأسند قيادة المدفعية الطبجية والبحرية إليه فصار يتجول في الثغور للسهر على مناعة أبراجها.

ولم يكد المولى (يزيد) يعتلي أريكة العرش وتنجلي أمامه بوادر الوحدة الوطنية حتى أقام ست عشرة قلعة في نقط استراتيجية جهز كل واحدة بعشرين مدفعا ثم فكر في استئناف الجهاد ضد الأسبان وهب لمحاصرة سبتة ولكن انتقاض أهل الحوز حدته إلى رفع الحصار موقتا عن المدينة الشهيدة واستكمل السلطان مولاي سليمان في دعة وهدوء وحدة الوطن ووجه جيشا إلى المغرب الشرقي لاسترجاع وجدة من يد الأتراك.

(31) كانت الجديدة تسمى بمانزغان ، ثم البريجة ثم المهدومة قبل أن يجدد بناءها السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

(32) لاحظ محمد المراكشي في كتابه «الحلل البهجة في فتح البريجة» أن القنابل المغربية كانت تزن قنطارا وكانت مصنوعة من سبعة معادن.

(33) نشر المؤرخ كايي Caillé كتابا ضمنه مجموعة المعاهدات والوثائق التي أبرمها سيدي محمد بن عبد الله مع دول أوربا

(34) اضطرت كثير من الدول أو الحواضر إلى خطب ود المغرب والتعاقد معه أو أداء جزية سنوية له مثل هامبورغ وبريم بالمانيا علاوة على الدانمارك والسويد

وقد استغرق المولى سليمان على أريكة العرش نيفا وثلاثين سنة لم يثر خلالها أي مشكل خارجي مع أوربا وقد عزز علاقاته الودية مع الأتراك

وعقد مع الإسبان مهادنة ولكن رغم هذه الروح الطيبة تحالفت الدول الأروبية ضد الإسبان بدعوى محاربة القرصنة المغربية وقضت على القراصنة في تونس وطرابلس بينما انهزمت بالجزائر (1231 هـ) وتعهد المولى سليمان للويز الثامن عشر باستئصال القرصنة وقد ضغط عليه (نابليون) للانضمام إلى ما كان يسمى إذاك بكتلة الحصار البرى وهي الحركة التي هدف بها الفرنسي الامبراطور عام (1806هـ) إلى إقفال جميع الموانئ في وجه انجلترا وقد هدد (نابليون) ملك المغرب في رسائل شديدة اللهجة باكتساح إفريقيا بمأتي آلف جندي ولكن المولى سليمان قابل ذالك بالرفض والبرود غير أن المؤامرة الأروبية استفحلت وتمخضت في نهاية الأمر عن إجبار السلطان على التجرد من أسطوله الذي كان يحتوي إذ ذاك على (47) قطعة مجهزة بمدافع وبستة آلاف من البحارة المهرة[35] كما اضطر السلطان إلى السماح بتصدير الحبوب إلى اوربا بعد أن حارب على ذلك قبائل الريف (1227هـ).

ولم يكن المولى عبد الرحمن بن هشام يقل عن عمه المولى سليمان نزاهة وفضلا ودراية فقام بجولة استطلاعية انتقل فيها من الشمال إلى الجنوب للم شتات الشعب وتنظيم ما تبدد من قوى الأمة عقب الثورات المتلاحقة وللتأكيد من مناعة الثغور الساحلية وكان أساس الروابط الدبلوماسية مع أوربا ضمان حرية التجارة أو حل المشاكل القرصنية، وقد شعر السلطان بضعف جانبه في الحقل الملاحي فأصدر الأمر بالكف عن الجهاد في البحر لاسيما بعد استعانة الفرنسيين بالأنجليز تمهيدا لاحتلال الجزائر على تقنين الحركة الأسطولية غير أن تضامن المغرب مع الإيالة المجاورة حداه إلى خوض معركة قاسية رغم قلة الوسائل[36].

وبدأت خطة فرنسا تتجلى تدريجيا وكانت تهدف إلى وضع أسس الاستيلاء على مجموع إفريقيا الشمالية فقد قلصت الأسطول الوطني وأجبرت المغرب بعد معركة (إيسلي)

---

(35) كودار ص 156

(36) في عام 1268 هـ قنبل الفرنسيون سلا بدعوى نهب مركبين فرنسيين وكانت القطع ستا مجهزة بأزيد من ستين مدفعا فرت كلها في ظلام الليل (الاستقصا ج 4 ص 202).

على التنازل عما كان يتقاضاه من تعويضات من دول أوربية مثل السويد والدنمارك وهامبورغ وبريم وأثارت ضد المغرب حربا شعواء لمساندته للزعيم الجزائري عبد القادر بن محيي الدين واستمر العراك العنيف ست عشرة سنة، واستقرت فرنسا في عاصمة الجزائر آخر محرم 1246هـ/ (5 يوليوز 1830) واستنفر السلطان جيشا بقيادة ولده المولى محمد ثم تقدم (بوجو) فاصطدم بالجيش قرب (وادي إيسلي) صباح (منتصف شعبان عام 1260 هـ / (31 غشت 1844) فالتحم الفريقان وكان السلطان قد غير سحنته في المعمعة فحسب الجند أنه هلك وماج الناس وعمد بعضهم إلى خباء السلطان فانتهبوه وتناحروا على الأسلاب وفر الكثير فاستشعر السلطان بالهول بعد أن تشتت الجيش الذي مني بهزيمة منكرة بعد بضع ساعات بسبب سوء القيادة ورداءة التنظيم وقلة الانضباط وانعدام الجنود المحترفين وأنانية الانتهازيين ويظهر أن انجلترا ضغطت على فرنسا فلم تستغل انتصارها لاقتطاع جزء من المغرب ولكن السلطان اضطر إلى إمضاء معاهدة طنجة في نفس السنة (1260 هـ) ومرت ثلاث عشرة سنة استغرقها السلطان في تهدئة البلاد ودعم الثغور وكان آخر ما كلل به هذا التجهيز العسكري أن استقدم من أنجلترة مركبا مثقلا بالعتاد الحربي.

وعين السلطان سيدي عبد الرحمن بن هشام ولده المولى محمدا وليا للعهد كما استخلفه في حياته وفوض إليه قيادة الجيش وكان الأسبان قد بدأوا يبذرون نواة لتوسيع شبكة نفوذهم في الشمال فاحتلوا (الجزر الجعفرية) وأقاموا الأبنية في الحدود بين سبتة والأنجرة بدل الأكواخ الخشبية فهدمها الجمهور الذي واصل غاراته على سبتة وكان المولى عبد الرحمن قد توفي في غضون ذلك فقرر السلطان بعد استشارة حاشيته إشهار الحرب على أسبانيا. وقد أبرق السلطان إلى الثغور للتأهب للجهاد وأمدها بالمال والعتاد ووجه طلائع إلى أرباض تطوان قبالة سبتة لا يتجاوز عددهم ستمائة وانضاف إليهم من أنجرة والقبائل المجاورة وأطراف البلاد نحو خمسة آلاف واجهت خمسين ألف جندي أسباني[37] تحت قيادة الجنرال (أودونيل) و(بريم) واستمر العراك نصف شهر بين زحف هؤلاء في صفوف متراصة وكر أولئك وفرهم على عادة العرب ثم عزز السلطان هذه القوة بأخيه المولى العباس على رأس خمسمائة فارس وبعد خمسة وعشرين يوما كلها مناوشات قام الأسبان

(37) عشرون ألفا حسب صاحب (الاستقصا ج 4 ص 214) ثم عززت بنحو خمسين ألفا أخرى (ص 218).

بهجوم عنيف صمدت له الكتائب المغربية ولكن الجيش الأسباني الذي كان معززا بالأسطول زحف عن طريق الساحل إلى (الفنيدق) فتقهقر المولى العباس في غير ترتيب ولا انضباط إلى (مجاز الحجر) يغير بدون نظام ولا دراية عسكرية فاضطر أهل تطوان أمام هذا الخلل الصارخ إلى فتح أبواب المدينة في وجه الجنرال الأسباني الذي دخلها (يوم الإثنين 13 رجب 1276 هـ (5 يبراير 1860) وأبرمت المعاهدة في أواخر شعبان عام (1276 هـ) شريطة أن يدفع المغرب عشرين مليون ريال وتتسع منطقة نفوذ الأسبان بسبتة وظل الأسبان محتلين لتطوان مدة سنة أدى السلطان خلالها نصف الغرامة وأقيم مندوبون أسبان في المراسي لاقتضاء الباقي من موارد الديوانة فتم الجلاء عن تطوان (في ثاني ذي القعدة سنة 1278ـ مايه 1862م) بعد احتلال استمر أزيد من سبعة وعشرين شهرا وقد كانت هذه الهزيمة الشنعاء فاتحة التدخل الأسباني في الشمال وعاملا حدا السلطان إلى التفكير بجد في ترتيب النظام العسكري على أسس جديدة عززها مولاي الحسن بعد ذلك بنظم طريفة تبعا للمقتضيات المستحدثة فقد كان جيش المشاة الذي استمات في حرب تطوان غير نظامي فأصبح لكل قبيلة طابور يبلغ عدد رجاله ثلاثة آلاف أو أقل حسب أهمية القبيلة إذ كانت كل عائلة تسهم بفرد من أعضائها وربما تضخم الطابور في القبائل الكبرى فأصبح عبارة عن ءالاى أو فيلق أما معدل الطابور العادي فهو خمسمائة جندي بإمرة قائد الرحى الذي كان له مساعد أشبه بالليوتنان كولونيل وكل رحى تنقسم إلى سرايا من مائة رجل يشرف عليها قائد المائة الذي شبهه البعض بالقبطان والمائة تتوزع بدورها إلى جماعات يتركب كل لفيف منها من اثني عشر جنديا على رأسهم مقدم أو نقيب عسكري (سوزوفيسيي) ولم يمنع ذلك من الاستعانة بالمتطوعين عند الحاجة أما في الحواضر فقد اتسم الطابور بميزة خاصة إذا كان رجاله يناهزون الألف والخيالة الذين بلغوا أحيانا عشرة آلاف كانوا موزعين أيضا إلى طوابير هي عبارة عن كوكبات تتركب من ستمائة فارس وكتائب الخيالة هذه لا تتدخل في العمليات الحربية إلا عند الاقتضاء في حين أن الرجالة كانوا دوما على ساق لمواجهة الطوارئ ولم تكن كتيبة الفرسان تعدو في فترات الهدوء خيالة الدرك أو الحرس الموزعين على مختلف المراكز العسكرية (400 فارس) في كل قلعة من الاثنين وتسعين قلعة المؤسسة في عهدي المولى إسماعيل والمولى يزيد) وقد عززت المدفعية (الطبجية) بأعتدة قوية من مهاريس ومدافع ومجانيق وقذائف مختلفة.

وظل الفكر العام مع ذلك حذرا من تطوير هذه العلائق مع أوربا لأن اعتداء أسبانيا على التراب المغربي وقبلها فرنسا في قضية الجزائر أذكت حماس الجماهير ضد الوجود الأجنبي بالمغرب. وقد ارتأى السلطان قبل (معركة إيسلي) ضرورة محاربة فرنسا بسلاحها واستخدم أحدث الطرق في المناورات العسكرية والعتاد الحربي فأسس فيلقين من ثلاثة آلاف جندي نظامي بقيادة ضباط حاربوا مع عبد القادر في حرب الجزائر وقد اتصل بعلماء بلجيكيين وأسس مراصد فلكية بمراكش وفاس وكانت حاشية الملك منكبة على دراسة العلوم الرياضية وحتى بعد أن اعتلى الأمير أريكة العرش ظل منكبا على دراسة العلوم لاسيما ما يتصل منها بالفنون العسكرية حتى قال كل من (فرانسوا شارل رو) وكذلك (كايي) بأن هذا الملك اخترع مدفعا ولو لم تستمر الحروب مع فرنسا وأسبانيا لانبثق عن عهد محمد الرابع ازدهار كان من شأنه أن يغير اتجاه المغرب الحضاري ومكانته الدولية، ولما توفي محمد الرابع خلفه ولي عهده الحسن الأول فبايعه الناس في مراكش (رجب 1290 هـ) وعمد الحسن الأول صونا لحوزة البلاد ووحدتها إلى تجهيز القبائل بالعتاد العسكري وتكديس الأسلحة وكان السلطان يطوف بالثغور لتفقد أبراجها وأسوارها ويسهم شخصيا في الرماية المدفعية مراقبة منه وتشجيعا وكان السلطان يستغل فترة الشتاء للاستجمام بفاس وجمع أشتات الجيش وتجديد جهازه وقام عام (1293 هـ) بجولة تفقدية عارمة فاستصدر من معمل الحمراء (1.620 بندقية، و410.000 رصاصة) وعشرة قناطير من البارود ومائة قنطار من ملح البارود ومدفعين اثنين علاوة على الأجهزة العسكرية العادية واستكمالا لحركات التهدئة هب السلطان (عام 1298 هـ) نحو مراكش من حيث توجه في العام التالي إلى سوس ونقلت المؤن على ظهر السفن من الجديدة والدار البيضاء لإرفاق الجيش وكان قصده هذه المرة أن يقف بنفسه على جنوب المغرب حسما لمطامع الأسبان الذين كانوا يرغبون في احتلال (إيفني) بمقتضى (معاهدة تطوان) زعما منهم بأنها هي المركز التجاري الذي اغتصبوه قديما وسموه (بسانطا كروزا) وقد رتب السلطان بهذه المنطقة الحاميات والعمال وأحال مرفأ (أسكا) إلى مرسى تجارية وأقام بتزنيت قيادة جيش الجنوب واستمر ذلك إلى عام (1303هـ)، وانتهى مطاف السلطان في تسع عشرة حركة إلى تافيلالت عام (1310 هـ)، وواجهت المملكة المغربية في هذا العهد مشكلة عويصة هي مشكلة الحمايات التي كان بعض المغاربة

يتوقون إليها للتخلص من نفوذ الولاة وحاول السلطان التخفيف من حدة هذه الحمايات غير أن تضافر الدول الأوربية اضطره إلى الخضوع بمقتضى اتفاقية مدريد(1880) وملحق طنجة (1881) إلى إرادة أوربا التي خولت لألمانيا والنمسا وبلجيكا والدنمارك وأسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا وأنجلترا وإيطاليا وهولندا والبرتغال والسويد والنرويج الامتيازات التي لم تكن تتمتع بها سوى فرنسا وأنجلترا.

وهكذا بدأت القضية المغربية تتسم بطابع دولي من جراء الصراع الذي تولد عن أطماع الدول الأوربية وقد قاوم الحسن الأول كل التدخلات ودافع بين الدول وتوفي في (3 ذي الحجة عام 1311 هـ/1894) وهو في غمرة هذه المعركة وبموت الحسن الأول انفتحت ثغرة خطيرة في الكيان المغربي فتحكم الحاجب «ابا حماد» بن موسى في اختيار الأمير الجديد المولى عبد العزيز الذي لم يكن عمره يزيد على ثلاث عشرة سنة[38] وبدأت سلسلة الاتفاقيات السرية تبرز للعيان تواطؤ الدول الأوربية التي تقاسمت النفوذ في مصر وليبيا والمغرب وبذلك اعترف الأنجليز (8 أبريل 1904)ـ (22 محرم 1322 هـ) لفرنسا بنوع من الحماية على المغرب في مقابل اندراج مصر في منطقة النفوذ البريطاني وناب أسبانيا حظها من هذا الاقتطاع شمالي المغرب (3 أكتوبر 1904) وبدأت فرنسا تعزز تسربها السياسي بقروض مالية (68.500.000 فرنك) أعقبتها بمراقبة الجمارك وتنظيم مصالح البريد والبرق وإشراف ضباط فرنسيين على تدريب طوابير مغربية، وقد تعللت فرنسا بخرق عاملي وجدة وتافيلالت للإتفاقات فاحتل الجيش الفرنسي (14 صفر 1325 هـ ـ 29 مارس 1907) وجدة ودائرتها ثم استولى الجنرال ليوطي (1907-1908) على مجموع (بني يزناسن) أما في (الدار البيضاء) فإن طرادة فرنسية نزلت بالميناء (25 جمادى الثانية 1325 هـ/5 غشت 1907) وقنبلت المدينة التي هب لاحتلالها فيلق يحتوي على ألفين من جنود الجزائر بقيادة الجنرال (درود) ثم انبرى خلفه الجنرال (داماد) لاحتلال فضالة وبوزنيقة لحماية السلطان مولاي عبد العزيز واستقرت قوات الاحتلال بالشاوية تحت إمرة الجنرال (موانيي) الذي خلف الجنرال (داماد) وتابع المولى عبد الحفيظ سيره معززا من طرف ألمانيا فبايعته فاس (7 جمادى الأولى 1326/ 7 يونيه 1908) وانهزمت كتائب المولى عبد العزيز الذي خلع عن العرش

(38) ويظهر أن الحسن الأول كان قد نحى عن ولاية العرش نجله المولى محمدا وجعل مكانه المولى عبد العزيز.

والتجأ إلى الشاوية ثم طنجة واضطرت الدول الموقعة على عقد الجزيرة إزاء التفاف الشعب حول الملك الجديد إلى الاعتراف به بشرط موافقته على التزامات سلفه فتم ذلك في (5 يناير 1909). وكان العامل الأساسي هو أن ألمانيا شعرت بأن عقد الجزيرة أمسى حبرا على ورق وأن العمل الدولي بالمغرب مجرد تضليل وكانت هي أيضا تود الحصول على حظها من الغنيمة بتعويضات في إفريقيا الاستوائية فأبرمت اتفاقية بين الطرفين (4 نونبر 1911) فانهار كل حاجز أمام بسط الحماية الفرنسية التي أمضيت معاهدتها في 11 ربيع الثاني 1330 هـ ـ 30 مايه 1912 بين السلطان والممثل الفرنسي (رينيولت).

وأسفرت الدسائس الموصولة المنسقة بين بعض دول أوربا عن تشديد الضغط على المغرب بواسطة القروض الإجبارية وحركات التهدئة المتعللة بحماية الرعايا الغربيين والتخوم الشرقية عن فرض الحماية على السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي كانت انتفاضته في الجنوب تهدف إلى صون السيادة بجيوش استنفرت من الصحراء وأقصى الجنوب وتجمعت حشودها في (الساقية الحمراء) بزعامة الشيخ (ماء العينين) وولده (الهبة) وانضمام المجاهدين من الأطلس والسهول وما كاد نبأ توقيع المعاهدة بفاس يطرق الأسماع حتى انتفض السكان والقبائل المجاورة وطوقت المدينة وامتلأت الأسوار بآلاف المجاهدين بزعامة الحجام وثار الجيش السلطاني على ضباطه الفرنسيين وكانت ملحمة دامية قتل فيها عدد من الفرنسيين (17 أبريل 1912) وشارك في الحملة الجماعية ضد الوجود الفرنسي العلماء والتجار والنساء والأطفال واتسعت شبكة المقاومة المسلحة، في الأطلس والصحراء والشمال والجنوب فاستمرت في زيان وبني مكيلد إلى عام (1923) وفي وادي العبيد[39] من (1929) إلى (1931) وفي آيت يحيى وآيت إسحاق والبحيرة إلى (1923) وفي ملول وأعالي الأطلس إلى (1933).

وقد انبرى آل عبد الكريم الخطابي غب الحرب العظمى يواصلون سلسلة الغارات على الأسبان واستولى المجاهدون على عشرات المراكز الحربية وفي يوم (25 مارس 1922) تصدت المدفعية الريفية لجيش العدو حول (الحسيمة) فخسر (برانجي) ثمانية آلاف بين قتلى وأسرى ودمر المغاربة مراكز كما أغرقوا بوارج حربية بمفعول سفينتهم الوحيدة واهتاج

(39) أسر الوطنيون في بني ملال أربعة أوربيين فدتهم فرنسا بسبعة ملايين فرنك (كولبيز ص 155).

الأسبان وانصاعوا للاتفاق، فأحست فرنسا بتزايد الخطر الداهم الذي أصبح يهددها لا في المغرب وحده بل في إفريقيا فحشدت في ربيع (1926) اثنين وخمسين جنرالا ومائة وعشرين ألف رجل و 22 سربا من الطائرات وعتادا ضخما فأسفرت الحملة المنسقة عن استسلام محمد بن عبد الكريم (يوم 25 مايه 1926) وقد تبلورت هذه الموجة العارمة بتنسيق (كتلة العمل الوطني) أو الحزب الوطني الذي كان يؤجج الحماس في الشعب كما ينور الفكر العام في أوربا والشرق ودعت الكتلة منذ (1933) إلى تأسيس «عيد العرش» يوم (18 نونبر) وهو يوم جلوس جلالة الملك محمد بن يوسف على العرش واحتفلت الأمة بهذا المهرجان الوطني أمام انذهال الفرنسيين الذين لم يجرؤوا على إعلان معارضته.

وانعقد بالرباط في (11 يناير 1944) مؤتمر ضم قادة الحزب الوطني فوقع المؤتمر على ميثاق وطني أبرز مرفوضية نظام الحماية الذي قاومه الشعب بالسلاح أزيد من ربع قرن ورفع «ميثاق الاستقلال» لجلالة الملك فعقد في 13 يناير مجلسا وزاريا موسعا ضم بعض الرؤساء والأعيان والعلماء فصادق الكل على المطلب الوطني وبدأ الصراع العنيف بين العرش والحماية بخطاب طنجة عام (1947) ولكنه تبلور في الرحلة الملكية إلى فرنسا في (5 أكتوبر عام 1950).

كان جلالة الملك صارما في مواقفه بالرغم عن غلاف المرونة واللين، وكان مطلبه يهدف في غير التواء إلى ضمان سيادة البلاد وتحقيق أماني الشعب. وطالب جلالة المرحوم محمد الخامس عام (1953) باستقلال المغرب، فلم يسع فرنسا سوى اعتقال الملك ونجليه الأميرين مولاي الحسن (جلالة الملك المرحوم طيب الله ثراه) ومولاي عبد الله رحمه الله فسيق الجميع على متن طائرة فرنسية إلى جزيرة (كورسيكا) مع باقي أفراد الأسرة الملكية.

هنا انطلقت الشرارة الأولى من شعب فقد قائده وزعماءه فانبرى في اندفاعة ثورية يشق طريقه في واد من الدماء نحو التحرر وأسفرت هذه الفورة الشعبية عن انبثاق حركة فدائية طوحت بكثير من رؤوس الفتنة وبيادق الاستعمار وبثت الرعب في صفوف المستعمرين وفرضت بالحديد والنار إرادة الأمة بالرغم من الاعتقالات والإعدامات وتكديس المواطنين في المعسكرات وعقبت هذه الاندفاعة المرتجلة العنيفة معركة منظمة أجج أوارها قادة جيش

التحرير في الداخل والخارج وكان الشعب موقنا بنجاح مسعاه مومنا بقرب عودة الملك المنفي إلى عرشه لأن إرادة الشعب لا تقهر وتعاقبت الضربات والقذائف على (ابن عرفة) وأذنابه ونقل محمد الخامس إلى (سان كلود) بفرنسا وانصاعت (باريز) إلى مطامح الملك والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الظافر يوم (16 يونيه 1955) إلى الرباط ليحمل وثيقة الاستقلال في خضم من الأفراح كللت ثورة الملك والشعب.

مصادر التصوف المغربي

إن تاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب بل يتجاوزه إلى الجانب الثقافي والروحي .على أن التصوف المغربي كان له كبير أثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شذراته في مصنفات لم يكن من المنتظر ان تحفل به فإنك تجد أخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التي قامت في المغرب في وقت مبكر ـ مبعثرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات، بل حتى كتب الفقه مثل شرح ميارة على المرشد ومعيار الونشريسي الذي تحوي أجزاؤه نتفا متناثرة لو نسقت لتحصلت منها مجموعة لا باس بها في وصف التيارات المتعاكسة التي خلقها انبثاق الطرقية في المغرب.

أما كتب التاريخ المغربي فيغلب على الظن أنها تحوي من الصوفيات أكثر مما تحويه مصنفات الشرق لأن الدور الذي قام به التصوف المغربي في الميدان السياسي لا يكاد يضاهى ويكفي أن نعلم أن أسرا مالكة لم تتمكن من مسك زمام الحكم بالمغرب إلا بفضل روابطها مع الصوفية الذين بلغت سلطتهم الروحية على الشعب مبلغا اصبحوا يوجهونه الوجهة التي يرتضونها بل إن هناك حركات صوفية كالحركة الدلائية استغلت نفوذها الروحي فاحتفظت بمقاليد السلطة السياسية لنفسها -والمتتبع لحركة التأليف في المغرب يلاحظ أن كتابة التاريخ توقفت أو كادت بعد القرن الحادي عشر حيث إن أمهات المصنفات التي تعتبر أصولا للتاريخ المغربي قد صنف معظمها قبل ذلك العصر وعندما فترت كتابة التاريخ انبثق لون من التاريخ الخاص او تاريخ الأشخاص هو التراجم ويرى ليفي بروفنصال (في كتابه مؤرخو الشرفاء) ان تكاثر كتب التراجم يرجع لاستفحال الطرقية في القرن العاشر ولعل في هذا الرأي جانبا من الحق إلا أن تطور أدب التراجم في الشرق ربما كان له أثره أيضا على أن كتب التراجم عرفت من قبل وعدم كثرتها راجع إلى ضعف حركة التأليف بالمغرب قبل القرنين السابع والثامن.

أما كتب الرحلات ففيها نوعان : نوع يشمل رحلات ابن بطوطة وابن جبير وابن رشيد والتجيبي والعبدرى ومن اليهم لا يكاد يلم بالصوفيات الاعرضا وهناك طائفة من الرحلات كرحلة اليوسي (المحاضرات) والعياشي والقادري والكوهن يعثر الباحث في ثناياها على مستندات هامة في تاريخ الفكرة الصوفية والحركة الروحية.

ولنضرب أمثله موجبة ليتبين مدى إسهام كل صنف من هذه المصادر في حفظ التراث الصوفي المغربي.

فنوع المعلومات الصوفية التي نجدها في كتب التاريخ تتصل إما بأشخاص يعدون من الصوفية كانت لهم صلات ودية أو احتكاكات بملوك أو معلومات تتعلق بالملوك والقادة السياسين الذين كانوا يظهرون أحيانا بمظهر التبتل والتقشف والزهد بحيث يجر الحديث عنهم إلى الحديث عن متصوفة العصر وهنالك ضرب ثالث من المعلومات يتصل ببناء الأضرحة والزوايا والرباطات ومساهمة الملوك في ذلك.

فكتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» مثلا قد تعرض لأحمد ابن قسي المتصوف الذي سيق إلى عبد المومن وعفا عنه ولكن قتله بعد ذلك أصحابه الذين جاءوا معه من الأندلس (ص 126) وتحدث عن يعقوب المنصور فذكر أنه «أظهر بعد ذلك (أي عام 583) زهدا وتقشفا وخشونة ملبس ومأكل وانتشر في أيامه للصالحين والمتبتلين وأهل العلم والحديث صيت وقامت لهم سوق وعظمت مكانتهم منه ومن الناس ولم يزل يستدعي الصالحين من البلاد ويكتب يسأل الدعاء و يصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة » (ص 170) وذكر أيضا أن أبا يوسف كتب قبل خروجه (أي إلى الغزوة الثانية بالأندلس عام 592) إلى جميع البلاد بالبحث عن الصالحين والمنتمين إلى الخير وحملهم إليه قال فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة كان يجعلهم كلما سار بين يديه»(ص 175).

ونرى صاحب «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية» يتحدث عن عبد الحق المريني فيصفه بأنه كانت له بركة معروفة ودعاء مستجاب وأنه كان يسرد الصوم وكان كثير الأوراد والأذكار (ص 29) وإذا سمع بصالح أو عالم قصده لزيارته (ص 30) وكان أبو سعيد معظما للعلماء موقرا للصالحين يتواضع بين أيديهم (ص 37).

وأعطتنا (الذخيرة) أيضا صورة لهذه الحركة المهدوية التي لها كبير اتصال بالفكرة الصوفية والتي اتسمت في المغرب بخطورة لم تعرفها في الشرق فأشار مثلا (ص 38) إلى قيام العبيدي بجبل ورغة من أحواز فاس وادعائه أنه الفاطمي المهدي واتباع كثير من قبائل المغرب له وذلك أول عام 600 حتى قبض عليه وأحرق في باب المحروق بفاس وكان العبيدي هذا «رجلا صالحا متخشعا كثير الورع والعبادة» وتهتم الذخيرة بلون آخر من التراث الصوفي هو الشعر فنراها تنقل مثلا (ص 47) قول مصعب الخشني :

فلندع ذكر زينب وسعاد ... إن ذكر الإله أقرب رحما

وقول السجلماسي (ص 55) :

طيب بذكر الله فاك فإنه ... لأجل ما فاهت به الأفواه

إلى أن قال :

ما للفتى لا يرعوي وصباحه ... ومساؤه يعظانه بسواه

تلقاه تياها على من دونه ... ولسوف يعطشه الذي أرواه

وذكر ص97 و 104 أن العلماء وأشياخ الطرق كانوا يقومون بدور الوساطة بين أدعياء الملك وأكد (ص 100) أن أبا يوسف بنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجة ونرى صاحب (الأنيس المطرب) يتحدث عن تبتل عبد الله بن ياسين مع أمير صنهاجة يحيى بن ابراهيم في الرباط الذي بناه في إحدى الجزر (ج 2 ص 13) ويصف الأمير يحيى بن عمر بأنه كان من أهل الورع والزهد كما وصف يوسف بن تاشفين (ص 36) بأنه كان زاهدا متورعا صالحا متقشفا لباسه الصوف لم يلبس قط غيره وأنه كان «محبا في الفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم» ولابدع ان اهتم صاحب الأنيس بالجانب الصوفي ونحن نراه ينقل عن ابن الزيات صاحب «التشوف إلى رجال التصوف» وهنالك مثال ثالث في كتاب (زهرة الآس) للجزنائى الذي أخبرنا بوجود حركة رهبانية قرب فاس في القرن الثاني (ص 18) وذكر أن (حلية الأولياء) كانت تدرس بالقرويين إلى جانب التفسير.

وحتى كتب التاريخ الأندلسي تعد مصدرا هاما للتصوف المغربي مثال ذلك «اللمحة البدرية» التي ذكر فيها ابن الخطيب (ص 42) لدى حديثه عن أبي يوسف المريني أنه كان «أشبه بالشيوخ منه بالملوك».

على أننا نعثر أحيانا على مستندات هامة عن التصوف المغربي في كتب التاريخ الشرقية قد نشير إلى بعضها عندما ندخل في صلب الموضوع.

ونريد أن نحلل هنا مدى إسهام كتب التراجم والمناقب في توضيح الفكرة الصوفية المغربية.

ولعل أول مصدر من هذا النوع هو كتاب (المدارك) للقاضي عياض حيث جمع «رقائق الوعاظ ومناهج العلماء والزهاد» وقد طالعت معظم أجزاء الكتاب فوجدت نصيب المغاربة ضعيفا لأن المؤلف ترجم لطبقات المالكية ومعظم ما ذكر من المغاربة سبتيون ولعل ما يفيدنا به هذا الكتاب من الوجهة الصوفية هو أن الحالة التي اتسم بها الصوفية من زهد وتبتل كادت تكون صفة عامة لمجموع العلماء وقد أكد لنا هذا أبو يعقوب التادلي المعروف بابن الزيات في كتابه «التشوف إلى رجال التصوف» الذي صرنا نعتبره عقب دراسته[40] المصدر الثاني في هذا الباب بعد (المدارك) فقد ترجم في هذا الكتاب «لمن كان بحضرة مراكش من الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء» «واعتبر الكل من رجال التصوف» «وإن كان مشتملا ـ كما يقول في المقدمة ـ على أصناف من أفاضل العلماء والفقهاء».

إذ «إسم التصوف يصدق ـ كما يقول أيضا ـ على جميعهم عند المحققين» «وقد جرد الكتاب من علوم التصوف واقتصر على إيراد أخبار الرجال وجمع تراجم جملة من المجهولين والمجهولات» ولم يتعرض للأحياء كمعاصره أبي محمد صالح وأبي العباس السبتي واستغرق الكلام على بعض صلحاء سوس وتادلة ودكالة ولاسيما اجراجة وهناك كتاب يقل عن التشوف من حيث القيمة وهو (المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد) لمحمد ابن عبد الكريم الفندلاوى (وهو غير المستفاد في مناقب العباد للجزئانى) (زهرة الآس ص 17) إلا أن قيمة التشوف هو في اعتباره مصدرا لصوفية المغرب بينما يهتم المستفاد بصوفية

(40) اعتمدنا على مخطوط مكتبة الفقيه الحاج أحمد الزبدي وقد نشرت كلية الآداب بالرباط هذا المخطوط.

الشمال لاسيما ناحية فاس ولعل قيمة الكتابين لا تظهر بوضوح إلا عند سرد أنواع المعلومات التي يزوداننا بها وقد يتجلى لنا شيء من ذلك بعد الدخول ـ في الفصول المقبلة ـ إلى صلب الموضوع.

ويوجد كتاب آخر عنون على نفس النسق وهو «التشوف في معرفة أهل التصوف» لعبد الرحمن الصومعي الزمراني إلا أنه أقل قيمة لكونه عبارة عن لائحة أسماء خالية من نبض الحياة التي تخفق به صفحات كتاب ابن الزيات ويلاحظ أن كلا المؤلفين من تادلا التي يظهر أنها كانت منبثقا للفكرة الصوفية منذ العصور الأولى وذلك يدلنا على مبلغ إسهام البادية المغربية منذ أعرق العصور في طبع التصوف وتوجيهه ولعل لهذا الطابع صلة بالرجال الرجراجيين الذين زعم الكثير من المؤرخين أنهم صحابة وقد انغمر ابن الزيات في الحياة الصوفية بعد أن تضلع ـ كغيره من باقي الصوفية المغاربة ـ في علوم الشريعة وأسس زاوية في الصومعة وهنالك صوفي تدلاوي أجر هو أحمد بن أبي القاسم الصومعي أفرد «مولاي بوعزة» بكتاب سماه «المعزى في مناقب أبي يعزى».

ويغلب على ظننا ان الحركة الصوفية كانت أنشط في الجبل (لاسيما الريف) والقرى منها في الحواضر اللهم إلا بعض مدن الساحل التي كانت مهبطا لصوفية الأندلس كسبتة وأسفي وسلا أو مدن داخلية كمراكش وفاس نظرا لإشعاعهما الثقافي الذي تنجذب له النفوس. ومهما يكن فإن أولى التراجم الصوفية إنما حظيت بها مداشر البادية ككتاب «المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف» لعبد الحق البادسى (في القرن الثامن) و «اثمد العينين» لابن تجلات في مناقب الأخوين الهزميريين الذين عاشا ردحا طويلا في اغمات ثم حظى صوفية المدن بكتب منها «المنهاج الواضح» في ترجمة أبي محمد صالح (المتوفى عام 631) تلميذ أبي مدين الغوث (ومدينة أسفي نفسها إنما بنيت حول ضريح أبي محمد صالح كما قامت مدينة زرهون حول الضريح الإدريسي بعد بناء المولى إسماعيل لهذا الضريح عام (1110 هـ) وتأسيسه جامع الخطبة الكبير المتصل بالضريح وكذلك وزان) و «السلسل العذب الأحلى في صلحاء فاس ومكناسة وسلا» لمحمد الحضرمي الذي صنفه في القرن الثامن وكذلك «الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد».

وكتاب السلسل هذا يعطينا صورة عن مدى استقامة الصوفية في القرن الثامن وعن الروح التي كانوا متشبعين بها فقد ترجم الشيخ ابن عاشر دفين سلا كما ترجم لفئة من تلاميذه كانوا نموذجا للمثالية الكاملة لا يعبأون بالكرامات والخوارق ولا يتطلعون إلى الأغراض وقد قال سيدي أحمد ابن عاشر ـ كما في السلسل ـ «غاية الكرامة الاستقامة» وكان يقول «الغش أصل كل خلق سوء» ويقول: «لا ينبغي لأحد أن يعمل بجهل وإنما العمل بعد العلم» ومن تلاميذ ابن عاشر سيدي علي بن أيوب الرباطي الذي كان يقول: «من ظن الحق في غير القرآن ضل ومن طلب الوصول على غير طريق السنة لم يصل أبدا» ومن تلاميذه أيضا محمد الحلفاوي الإشبيلي الذي استوطن فاسا وأخذ التصوف عن أبي يعقوب الزيات وقد قام بحملة ضد المناكر والخرافات وأعانه على ذلك أبو عنان المريني ومنهم ابن أبي مدين العثماني الذي كان يقول : «روض نفسك بالآداب الشرعية تبلغك للحضرة القدسية» وابن عباد صاحب الرسائل الكبرى والصغرى ولعل أصحاب هذه التراجم قد تأثروا كما تأثر خلفهم بالمصنفات الأندلسية التي أشار ابن بشكوال إلى بعضها ككتاب «كرامات الصالحين» لعبد الرحمن بن فطيس في ثلاثين جزءا وكتاب «الحاوي الجامع بين التوحيد والتصوف والفتاوي» للمعسكري صاحب «دار السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة» وكتاب «الإفصاح عمن عرف بالأندلس بالصلاح» لأبي البركات البلفقيى و «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار» لابن الصقر المتوفى عام 559.

ولعل الفراغ الذي نصطدم به من حيث المصادر في المرحلة التاريخية التي تفصل بين عياض وابن الزيات هو تقريبا نفس الفراغ الذي نلاحظه فيما يخص القرون التالية إلى القرن العاشر حيث بدأت كتب التراجم تتضخم فكان في طليعة ما ألف كتاب «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر» الذي لخصه وير Weir في كتاب عنونه هكذا The shaikh of Morocco in The XVI Century (مشائخ المغرب في القرن السادس عشر) بعد أن جرده من كل ما يمت إلى التصوف بصلة وقد ترجم الدوحة إلى الفرنسية عام 1913 كرول Graule أما شخصية ابن عسكر فهي شخصية صوفية فقد تردد على العالم الزاهد ابن خجو وتتلمذ للصالح عبد الوارث اليصلوتي ودرس التصوف بعد زيارته لمراكش التي امتاز جوها بطابع السذاجة تتفتق في أكنافه الروح الصوفية لذلك كانت

مراكش مقصد الرواد من كبار الصوفية كابن عربي الحاتمي وعمر بن مودود الفارسي أو من الأدباء الذين انتجعوا طمأنينة الروح وسكون النفس كابن الحاج البلفيقى وابن الخطيب السلماني ـ وقد تعرض الأستاذ (ليفى بروفنصال) للدوحة في كتابه «مؤرخو الشرفاء» (ص 234) فذكر أن ابن عسكر هو أول مؤرخ للحركة الجزولية بالمغرب ومعلوم أن سند الجزولي يتصل بالإمام الشاذلي الذي أخذ عن سيدي عبد السلام بن مشيش وتفرعت عن طريقه معظم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وقد لاحظ ابن عسكر ما أكدناه أول البحث من أن «الجبل» أكثر خصبا وإنجابا للصوفية من غيره ويكفي أنه أنجب الشاذلي وشيخه ابن مشيش .

وفي القرن العاشر أيضا ألف ابن القاضي (المولود عام 960) كتاب «درة الحجال في غرة أسماء الرجال» و (جذوة الاقتباس) وتحوي كل من الجذوة والدرة معلومات شتى عن صوفية المغرب وأحوالهم ومصنفاتهم وأسانيدهم فقد حدثنا عن أحمد الملياني الذي تزعم الانتساب إليه «الطائفة اليوسفية الملعونة» (الدرة ج 1 ص 87) وتحدث عن رضوان الجنوي (ص147) فوصفه بأنه آخر المحدثين الصالحين وقد ولد (رضوان) هذا من أب مسيحي ومن يهودية أسلما فكان يقول «خرجت من بين فرث ودم» ومع ذلك طبعت فاس الوادعة روحه الطاهرة بنزعة صوفية جعلته في صف كبار العلماء الروحيين وقد أفرده أحمد المرابي بكتاب سماه «تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان» وهذا دليل على مدى تأثير البيئة الصوفية الفاضلة في تكييف النفوس. وحدثنا ابن القاضي أيضا عن الطائفة الأندلسية التي قتل مؤسسها المبتدع على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله المخلوع عام 985 وعن طائفة العكاكزة الذين يجب أن «يحذرهم المسلم ولا يغتر بخزعبلاتهم» (ص 167) ولعل أهم ما تفيدنا به الدرة والجذوة في هذا الباب هو قيمة بعض الصوفية الذين كانت لهم قدم راسخة في العلوم ومن بين هؤلاء محمد بن علي الجزولي الذي تولى القضاء والخطابة بحضرة أبي سعيد المريني وكان له التقدم في أصول الفقه ومع ذلك لبس خرقة الصوفية (ص 267).

وهنالك مصنف يضاهي (الدرة) في نسق العنوان وهو «درر الحجال في مناقب سبعة رجال» وقد طالعت نسخة منه بخط المؤلف الصغير الافراني صاحب «صفوة من انتشر من

أخبار صلحاء القرن الحادي عشر« الذي يعد كذلك مصدرا هاما في الموضوع وذلك في خزانة فضيلة قاضي مراكش العلامة السيد عباس بن ابراهيم وعلى ما في هذه النسخة من بتر فإنها تعطينا صورة عن المشاكل والاحتكاكات التي كان يثيرها في المغرب وجود الطرقية واستفحالها ومعارضة الفقهاء لها وقد تحدث عن مشروعية ما يقرب للأضرحة من ذبائح والتبرك بأتربتها وبناء المساجد على قبور الصالحين وهل يخرج من المزارات اللاجئون إليها من المجرمين وما إلى ذلك مما كان يشغل الفكر العام إذ ذاك (أي في القرن الثاني عشر). وقضية الطرقية والمشائخ والزوايا قد شغلت الرأي العام منذ القرن الثامن بصورة خاصة كما نبه على ذلك (زروق) في قواعده وقد بلغت القضية مبلغا أدى بابن خلدون نفسه إلى تصنيف كتاب في التصوف سماه «شفاء السائل لجملة المسائل» (وقد سبق لنا أن حللنا هذا الكتاب وأثبتنا نسبته لابن خلدون في سلسلة أبحاث نشرتها «رسالة المغرب».

وتوجد مجموعة من كتب التراجم والمناقب صنفها أفراد العائلة الفاسية التي قامت بدور هام في توجيه الفكرة الصوفية الجزولية ومن هذه الكتب «مرآة المحاسن» لمحمد العربي الفاسي «والمنح الصافية في الأسانيد اليوسفية« لأخيه أحمد بن أبي المحاسن أورد فيها لائحة شيوخ الصوفية الذين أخذ عنهم والده سيدي يوسف الفاسي ومنها (المنح البادية) لمحمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي المتوفى عام 1134 ذكر في قسمه الثالث الطرق المذكورة في رسالة العجيمى وزاد عليه بعض الطرق المغربية والأندلسية والكتاب موجود في نحو 10 كراسات من حجم متوسط وقد صنف أبو زيد الفاسي كتبا شتى في التصوف منها «ابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب» (والمجذوب هذا هو سيدي عبد الرحمن صاحب الملحون الذي جمعه دو كاستر عام 1896 في كتاب سماه -Gromes de Sidi Abderrahmane El Majdoub- Paris و(بستان الأزاهر) وتأليف في مناقب محمد بن عبد الله الأندلسي ووالد أبي زيد هذا هو عبد القادر بن علي الفاسي الذي كان رئيس الزاوية الجزولية وشيخ الطريقة الشاذلية في الشمال وكان يعقد دروسا في التصوف ولمحمد المهدي الفاسي أيضا كتب شتى في التصوف منها «ممتع الاسماع في أخبار الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع« و«الالماع» و «تحفة أهل الصديقية» إلخ.

وقامت العائلة القادرية كذلك بدور مهم في تاريخ الحركة الصوفية فمن أفرادها

محمد العربي بن الطيب القادري الذي ذيل (تحفة أهل الصديقية) وأخوه عبد السلام صاحب (إغاثة اللهفان باسانيد أولي العرفان) «والمقصد الاحمد» في التعريف بأحمد بن عبد الله معن الأندلسي و «معتمد الراوي» في مناقب سيدي أحمد الشاوي «و» نزهة الفكر في مناقب الشخصين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر الدلائي ومنهم أحمد القادري صاحب (نسمات الآس في حجة سيدنا أبي العباس) تزهد منذ صباه ورحل إلى مصر حيث أخذ أصول الطريقة القادرية على علماء الكنانة ومحمد بن الطيب القادري هو صاحب «الزهر الباسم» في مناقب الخصاصي «ونشر المثانى في أهل القرن الحادي عشر والثاني».

ومن العائلات التي كان لها تأثير عميق في وجهة التصوف المغربي العائلات الدلائية والناصرية والشرقاوية والوزانية سنتحدث عنها عند تطور الطرقية وموقف ملوكنا منها ويكفي أن نشير إلى مصادر مهمة تتصل بهذه العائلات (كالروض اليانع الفائح في مناقب سيدي محمد الصالح) للحسن بن رحال و (المرقي) لعبد الخالق العروسي و (يتيمة العقود) للعيدوني و(بغية الرائى في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي) لولده محمد و(البدور الضاوية) لسليمان الحوات و (الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة) وهو كما يقول (ليفى برو فنصال) أقدم تاريخ للحركة الناصرية في الجنوب و(تحفة الإخوان في مناقب شرفاء وزان) لحمدون الطاهري.

وتوجد علاوة على ما ذكرنا كتب تراجم شتى يضيق نطاق البحث عن إيراد جميعها ساق الكتاني معظمها في آخر السلوة منها «الدر النفيس» في مناقب الإمام إدريس بن إدريس لأحمد الحلبي الذي استوطن فاسا وعاش بها وترجمة ابن مشيش لمحمد بن زاكور و(مباحث الأنوار في أخبار الأخبار) لأحمد الولالى ذكر فيه من لقيه من الصلحاء و «الأنوار في ذكر طريقة السادة الصوفية الأخيار» لأحمد بن عطية السلاوي و (المقباس في محاسن سيدنا أبي العباس) للوزير الغسانى و (سلوة المحبين) لعبد الله بن يخلف و (تحفة الزائر) لابن عاشر الحافى و(إفادة المرتاد في التعريف بابن عباد) لابن السراج وطبقات الحضيكي (التي تختص بصوفية سوس) و(الارتجال في مناقب مشاهير سبعة رجال) و(مناقب المختار الكنتي) كلاهما لمحمد الأمين الصحراوي و(ترجمة الدباغ والدرقاوي) لابن القاضي ألخ.

تلك فذلكة عن كتب التراجم والمناقب وهذه الكتب لا تحوي في الغالب إلا تراجم امتاز أصحابها بالطابع الصوفي بكل ما في الكلمة من معنى. بحيث يسوغ لنا أن نستند إليها بكل اطمئنان لاستخلاص صورة عن التصوف المغربي من خلال رجاله وقد اعترف (ليفى بروفنصال) بأن كتب التراجم المغربية لا تشتمل من ناحية عامة إلا على تراجم صوفية كان أصحابها من علماء الإسلام (مؤرخو الشرفاء ص 49) ولاحظ (هنري باسي) في كتابه أدب البرابرة (Essai sur la littérature des Berbères, Alger 1920 (P 27 أن مصنفات التراجم قد أغفلت الأساطير الشعبية المنسوبة للصوفية والأولياء ولكن هذه الترهات المدسوسة على الصوفية يحتفل بها أقوام يحرصون على جمعها من أفواه العامة كما فعل بعضهم بترجمة العالم الزاهد الشيخ زروق الذي قام بنقد وتمحيص الفكرة الصوفية على نسق شرعي (راجع Légende populaire de Zarrouk, Archives Berbères Vol. I, Années 915 - 1916 P 293).

وإذا كانت صورة هذه الشخصية المشهورة بآرائها الناصعة المبثوثة في «القواعد» و«عدة المريد» قد احتفت بها هالة من الأساطير الشعبية فما بالك بغيرها ممن لهم تراجم غامضة فيجب أن لا نتقبل إلا بكامل الاحتراس ما ينسب لشخصيات صوفية من أقاويل تشذ عن الشرع.

تلك جملة كتب التراجم والمناقب التي يمكن أن نعتبرها مصدرا لتاريخ التصوف المغربيَ وهي كتب مغربية صوفية وإلا فهنالك كتب أخرى من هذا الطراز لمؤلفين مشارقة تحتوي على مستندات هامة في الموضوع لأن المغرب جزء من بلاد الشرق الإسلامي قد حظي رجاله باعتناء المؤرخين المشارقة وهنالك من الأندلسيين أيضا من زار المغرب بل عاش فيه وترجم لصوفيته كابن عربي الحاتمي وابي البركات البلفيقى وابن الخطيب.

ومنها كتب لأدباء تلمسانيين كبستان ابن مريم والنجم الثاقب لمحمد ابن أبي الفضل صعد الأنصاري الذي ترجم لابن عاشر والسبتي وغيرهما.

والنوع الثالث من المصادر هو الرحلات المغربية فهي تنقسم في نظرنا إلى قسمين: رحلات يهتم أصحابها إما بمظاهر العمران في الأمصار التي زاروها كرحلة ابن بطوطة وابن جبير والزياني وإما بالمظاهر الثقافية كرحلات ابن رشيد والتجيبى والعبدري ورحلات اهتم

أصحابها كثيرا بالحركات الصوفية في الأقطار التي زاروها وغالب هذا الطراز إما رحلات إلى الحج كرحلتي العياشي والناصري أو داخل المغرب كمحاضرات اليوسي و (روضة الأنفاس فيمن لقيته بالحضرتين مراكش وفاس) للمقري ولعل هنالك نوعا ثالثا من الرحلات التي تعد مصدرا للتصوف ولكنها أشبه بكتب مناقب (كنسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس) (وهي رحلة سيدي أحمد القادري مع شيخه سيدي أحمد بن عبد الله معن) وعدم اعتبارنا النوع الأول من الرحلات مصدرا لتاريخ التصوف المغربي إنما هو على جهة العموم وإلا فإننا نجد معلومات تتصل بالتصوف والصوفية في رحلة ابن بطوطة مثلا الذي ذكر أنه لازم الشيخ كمال الدين القارى خمسة أشهر ووهب ما عنده للقراء ثم انتقل إلى الحجاز ونزل بزاوية تنسب إلى الملك بشير ونرى ابن بطوطة يحدثنا في رحلته أيضا عن نوع جديد من الطرقية أشبه بأندية الفروسية والرياضة وهي جماعة الإخوان أو الفتيان الغرباء الذين وجدهم في الأناضول «يتعاونون على البر وإكرام الضيف والاشتراك في الطعام والغناء والرقص واللهو البريء ويتصل نظامهم بنظام الفتوة في الإسلام» غير أنك قلما تجد معلومات لها صلة مباشرة بالتصوف المغربي وكذلك رحلة الزياني التي أكد لنا فيها أن «أحسن ما في مغربنا من الزوايا الناصرية الموسومة بزاوية البركة وطائفتهم أحسن الطوائف» ومن أغرب ما ذكره ابن بطوطة وذكره من المؤرخين المشارقة ابن خلكان أن يعقوب المنصور ترهبن وانخلع من الملك ولبس المرقعة وقصد بلاد المشرق زاهدا متبتلا وأنه توفي هناك وقد فند (صعد الأنصارى) هذه المقالة في النجم الثاقب (مخطوط) وهذا الاغراق في الخيال قد نتج على ما يظهر عما تحلى به يعقوب المنصور حقيقة من زهد حتى قيل إنه تنازل عن الملك لولده.

وتوجد رحلات لمؤلفين زاروا المغرب أو عاشوا فيه كابن الخطيب الذي تطفح رحلته «نفاضة الجراب» بأخبار الأدباء والصلحاء المغاربة وكأنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ المعروف بابن الخطيب القسمطيني الذي أفاض في وصف الجو الروحي الذي خلقه في المغرب الصوفي الكبير سيدي أحمد بن عاشر دفين سلا.

أما محاضرات اليوسى فهي وصف شائق للحياة الأدبية والصوفية بالمغرب في القرن الحادي عشر ألفها خلال رحلته إلى الجنوب عام 1095 (ص37) ويرسم لنا هذا الكتاب ألوانا

شتى عن التصوف المغربي يعطينا مجموعها صورة لاباس بها عما بلغته الحركة الطرقية بالمغرب بعد القرن العاشر وسننقل للقارئ نماذج من هذه المعلومات القيمة عندما نتحدث عن أدعياء التصوف إبان الانحلال وقد أشار لرحلة أبي عبد الله بن ناصر إلى الشرق وتلقينه الطرقية الشاذلية للمصريين (ص 59) وتحدث عن الزاوية الدلائية وانهيار سلطانها السياسي عام 1079 وعرج على عادة الإطعام في الزوايا فذكر أنه شاع إطعام الطعام ولاسيما في بلادنا المغربية وخصوصا في البوادي (ص117).

والرحلة العياشية الموسومة بماء الموائد مشحونة كذلك بالمعلومات الطريفة عن التصوف الشرقي والغربي إلا أن رحلة سيدي أحمد الناصري أقصر منها نفسا في الموضوع رغم تمحض شخصية الناصري للجانب الصوفي وقد اغتنم الناصري وجوده بإفريقية والجزائر وطرابلس ومصر فأسس فروعا للطرقية الناصرية وقد قام الأستاذ بربروجير A.Berbrugger بترجمة فرنسية مختصرة للرحلتين في كتاب واحد سماه:

"Voyage dans le sud de l'Algérie" et " Des Etats barbaresques de l'Ouest et de l'Est par El- Aïachi" et "Moulay Ahmed"

على أن العياشي ناصري الطريقة أيضا أخذ أصولها عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر وقد أفادنا بمعلومات طريفة عن شيوخ الطريقة الزروقية الفاسية في طرابلس وبرقة حيث مدفن الشيخ زروق (ج 1 ص 96) وكذلك في باقي أقطار المشرق كما أشار إلى بعض خصائص الطرقية في مصر لاسيما الجامية والنقشبندية «التي قلما توجد في أرض المغرب بل لا يعرفها أهله حتى بالاسم لبعد بلاد مشايخها »(ص 213) ثم وزان بينهما وبين الشاذلية المغربية فلم يجد فرقا إلا في الاصطلاح الراجع إلى الأعمال الظاهرة ولعل هذا من أبرز الفروق بين الطرقية المغربية إذ بينما نرى الأولى مطبوعة بشكليات صارمة وتراتيب ومستويات «برتكولية» مما سنرى بعد اذا بالثانية موسومة بطابع الفطرة ومن جملة المظاهر الشكلية لبس الخرقة الذي هو عنوان الاندراج في الطريقة في الشرق هذا بينما الطرقية المغربية تكتفي بتشابك الأصابع كناية عن التعاهد بالتزام الشروط (غير أن قاسم الحلفاوي ذكر في مناقب عبد الكريم الفلاح (مخطوط) أن لأبي الحسن الشاذلي طريقتين طريقة

مشيشية فيها صحبة واقتداء من غير خرقة وأخرى فيها لبس الخرقة وتلقين الذكر ومهما يكن فإن الخرقة اندرست في القرون الأخيرة) ومن الأمور التي ابتليت بها الطرقية في الأقطار الإسلامية ما أشار إليه العياشي من شيوع المنكرات في المواسم (ج 1 ص 256) وقد تحدث عن كتاب يعزى لأبي حاند الغزالي وهو (منهاج العابدين) فنسبه (وقد سبقه إلى ذلك الحاتمي) لصوفي مغربي سبتي هو (علي المسفر) وكذلك كتاب (النفخ والتسوية) الذي ينسب للغزالي أيضا ويسميه الناس (المضنون به على غير أهله) (ج 1 ص 356) وتوجد غير هذا أشتات قيمة من المعلومات تلقى ضوءا على بعض الجوانب الغامضة في التصوف المغربي أو تؤكد لنا على الأقل ما ورد في المصادر الأخيرة.

أما الفهارس فقد كان من حقنا أن ندرجها في قسم التراجم والمناقب لأن الفهرسة عبارة عن سلسلة تراجم لشيوخ المؤلف تتخللها أحيانا معلومات ثقافية أو اجتماعية أو سياسية عن ذلك العصر.

ولعل أقدم فهرسة مغربية تتسم بطابع صوفي هي فهرسة القاضي عياض إلا أن السمة العلمية غالبة عليها ومع ذلك فإنها تعطينا صورة عن بعض من التقى المؤلف بهم من صوفية بفاس وسبتة وقد طالعتها فألفيتها لا تختلف في وجهتها عن «المدارك» وأهم ما تفيدنا به هو أن معظم علماء ذلك العصر كان فيهم نزوع طبيعي نحو العبادة والتبتل وأن الروح الصوفية كادت تكون غالبة على الجميع.

وقد فتر ما كنا نلحظه من تآليف الفهارس عند المغاربة وبالأخص السبتيين حتى استؤنفت في القرن الثامن بفهرسة يحيى السراج وأقرانه من كبار العلماء وامتد ذلك على وتيرة متوسطة إلى أن جاء القرن الحادي عشر فظهرت فيما بعده فهارس اشتملت على نتف مبعثرة من أخبار الصلحاء منها فهرسة سيدي عبد القادر الفاسي تحتوي على أسانيده الصوفية والمنح البادية لمحمد بن عبد الرحمن الفاسي الذي سبق الحديث عنها في قسم التراجم ومرآة المحاسن نفسها تحتوي على فهرسة مؤلفها سيدي العربي الفاسي وبذل المناصحة في فضل المصافحة لأحمد السوسي البوسعيدي.

وقبل أن نختم هذا البحث عن مصادر التصوف المغربي نابى إلا الإشارة إلى مجموعة

منوعة من المصنفات اهتمت بالموضوع منها المغربي ومنها الشرقي فمن ذلك طائفة من المصنفات في نقد ادعياء التصوف منها «المزايا فيما احدث في ام الزوايا« للمحدث ابن عبد السلام الناصري (حيث أشار إلى أن الشيخ سيدي أحمد الصقلي هو الذي أدخل إلى المغرب الطريقة الخلوتية بعد رجوعه من مصر)«وكشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته بدع مدينة فاس» لمحمد بن أحمد الصباغ «وعدة المريد الصادق» للشيخ زروق (وسنحلل أهم فصول هذا الكتاب في حديثنا عن الملبسين من المتصوفة).

وهنالك كتب أخرى تعتبر مصدرا هاما في الموضوع منها رسائل ابن عباد والمباحث الأصلية لابن البنا التي شرحها ابن عجيبة والتي كان الشيخ التباع يربي بها أصحابه وهنالك خارج الدائرة المغربية كتب شتى ألفت في الطريقة الشاذلية ككتب ابن عطاء الله وأخرى بعدها ككتاب للسيوطى «في تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية» و«تحقيق الصفا« في الطريقة الشاذلية لمحمد بن عبد العزيز بن فهد المكي.

وتتوافر إلى جانب ما ذكرناه فسيفساء من الرسائل والأجوبة والردود والحواشي والشروح مختلفة المنازع متباينة المشارب غير أنها صورة حية للتيارات المتعاكسة التي كانت تهز الحركة الصوفية فهنالك تآليف ككتاب ابن الفقيرة في مناقب أبي عمرو القسطلي المراكشي (شمس القلوب) وهناك خطبة للسلطان أبي الربيع مولانا سليمان العلوي في المواسم والطوائف وقد كان مولانا سليمان هذا صوفي الروح كما يتبين ذلك من إجازته التي تتصل بالجزولي على طريق التباع عن طريق الشيخ محمد الشرادي ومما يدلنا على مدى ما كان يتمتع به المغاربة إذ ذاك من حرية القول نقد أبي محمد المكي بن مريدة المراكشي دفين فاس الخطبة السليمانية في كتابه «الكواكب السيارة» وقد ألف الشيخ محمد بن كيران بأمر من مولانا سليمان ردا على رسالتين وهابيتين تنسبان لسعود بن عبد العزيز (طبع عام 1327 بهامش إظهار العقوق لمحمد بن مصطفى المشرفى الذي نقد فتوى الشيخ محمد عبده) كما نقدها مفتي فاس سيدي المهدي الوزاني في كتاب سماه النصح الخالص إلخ ويوقفنا هذا على مدى مساهمة فقهاء المغرب وصوفيته في النشاط الفكري المتولد عن مساجلات أنصار التصوف وخصومه (أو على الأقل خصوم الملبسين من المتصوفة وإلا فإن

عبده كان صوفي النزعة وكذلك الأفغاني كما سنرى) ومما صنف أيضا في هذا الباب (مقام التجلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلى) لأحمد التواتي.

أما الشروح التي يمكن الرجوع إليها لتوضيح الفكرة الصوفية حول الأخلاق والمثالية فهي شروح الحكم العطائية التي يوجد منها الشيء الكثير منها لابن عباد وزروق والقلصادى ومحمد جسوس الفاسي وللحراق ولابن عجيبة التطواني ومحمد بن عبد السلام بناني والشيخ الطيب بن كيران إلخ. ومن الرسائل جواب الشيخ الغزواني عن أسئلة الناصر اللقاني المصري وهي نموذج للتأويلات الصوفية المغربية للقرآن أما القصائد فكثيرة منها ارجوزة حدائق الأزهار في الزاوية لليازغي والمقباس للوزير الغساني وديوان الحراق الذي نحا فيه منحى ابن الفارض وابن عربي وعبد الغني النابلسي في «وحدة الوجود» والتلبس بما يسمونه الحقيقة المحمدية ويعلو نفس الحراق أحيانا فيكاد يطاول سلفه ابن الفارض في رقة الأسلوب وسمو المعنى ومما يتصل بالتصوف العام قصيدة لأحمد الشريشي السلوي الشاعر الطبيب وقد شرحها كل من أحمد الصومعي وأحمد بن أبي المحاسن الفاسي وهنالك كتاب يمكن أن يعتبر خلاصة للأدعية النبوية التي جرت على ألسنة الصوفية بعد القرن التاسع وهو (دلائل الخيرات) الذي شرحه أفراد من العائلة الفاسية وقد انتشر في العالم الإسلامي هو و(ذخيرة المحتاج) للشيخ المعطى الشرقي وقد نحا المغاربة منحى الصوفية المشارقة في مدح الأشياخ بقصائد لا تخلو من معلومات تفيد المؤرخ من ذلك (دالية اليوسى) في مدح سيدي محمد بن ناصر الدرعي وهي «مشهورة بين أهل الأدب» عارض بها دالية البوصيرى في أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وقصيدة البوصيري هذه تدل على ما كان للصوفية المغاربة من مكانة في نفوس صوفية الشرق (وقد مدح البوصيري كذلك أبا صالح)[41]

(41) كان قطب الدين القسطلاني بمدرسة الحديث بالقاهرة كثير الاعتناء بأصحاب أبي صالح الوافدين على مصر.



العلماء والمتصوفة

تبين لنا من الفصل السابق أن علماء المغرب كانوا يترصدون لأهل البدع من الأدعياء والملبسين وقد سقنا نماذج من انتقاداتهم المرة وإذا علمت أن معظم من تطرق إلى الكشف عن مخاريق المبتدعة كزروق والعياشي متشبعون بروح صوفية بليغة عرفت أن علماء الصوفية كانوا حريصين على فضح الدجاجلة الذين يندسون في حظائرهم التماسا لأعراض الدنيا وحطامها على أن دعاة السلفية أمثال الطرطوشي وابن العربي المعافرى وأبي محفوظ راشد من المغاربة وابن القيم وشيخه ابن تيمية وابن الجوزى من المشارقة قد تشبعوا هم أنفسهم بالتصوف السني وإذا رجعنا بين المتأخرين إلى سيرة محمد عبده وجدنا تلميذه مصطفى عبد الرازق يؤكد في الكتاب الذي خصصه لترجمته أن الشيخ درويش أثر بتربيته الصوفية في الأستاذ ويعلل هذا التأثير قائلا: «إذا كانت التربية الحديثة تدعو إلى تهذيب الأذواق بفنون الجمال الحسي فإن التربية الصوفية تدعو إلى تلطيف السر بأنواع من الرياضة» وقد جاء في ملخص سيرة عبده المنشور في المجلد الثامن من المنار «انه لكثرة الانهماك في الذكر والفكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في أحوال القوم ومقاماتهم يخرج (أي الأستاذ) عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقول فيناجي أرواح السالفين» وقد كان التصوف والتفسير هما «قرة عين الأستاذ» على حد تعبير مصطفى عبد الرازق غير أن جمال الدين الأفغاني «خلع محمد عبده من التصوف بمعنى الدروشة والانقطاع إلى التحنث والرياضة إلى معنى للتصوف جديد (ص 74)» وقد ترجم محمد عبده شيخه الأفغاني في صدر (رسالة الدهريين) فوصفه بأنه «حنيفي مع ميل إلى مشرب السادة الصوفية رضي الله عنهم».

وحمل زكي مبارك على الصوفية ما شاء له فكره الثائر وقلمه الجامح ولكنه عاد آخر الأمر فقال في كتابه «التصوف الإسلامي»: «الصوفية هم الناس ومن عداهم أشباح بلا أرواح» (ج 2 ص 205) وقال : «إن الصوفية أعقل من الأدباء وأشرف سيلقى الصوفية ربهم راضين مبتسمين أما نحن فسنذهب إلى النار في ركاب امرئ القيس الذي أنذره الرسول» (ج 2 ص 322).

وقد قدر للمعاني الصوفية الرقيقة ان تستهوي جميع أصناف المثقفين في مختلف العصور ولكن كل طائفة نظرت إلى أسرار التصوف من خلال مزاجها واللون الخاص الذي تكيفت به روحها في الحياة وقد لاحظ ذلك (زروق) في قواعده (القاعدة رقم 59) حيث قال: «لكل فريق طريق فللعامي تصوف حوته كتب المحاسن ومن نحا نحوه وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج في مدخله وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربى في سراجه وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في منهاجه وللمتريض تصوف نبه عليه القشيري في رسالته وللناسك تصوف حواه (القوت) والإحياء وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تآليفه وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره وللأصولى تصوف قام الشاذلي[42] بتحقيقه» ولكن زروقا أغفل تصوف الأديب الذي يريد أن ينظر إلى الكون بقلبه ليستجلي منه مظاهر الفنون والجمال ولعل أبرز شخصية مغربية بل في طليعة رجال الفكر العالميين تحتكر هذا الجانب هي ابن الخطيب الذي يقول في كتابه «روضة التعريف بالحب الشريف»(مخطوط) : «الفطن يشعر بالشيء وإن جهل أسبابه والصوفي يسمع من الكون جوابه» واستمع إليه أيضا يحلل الحب تحليل صوفي شاعر فيقول : «والحب الحقيقي حب يصعدك ويرقيك ويخلدك ويبقيك ويطعمك ويسقيك ويخلصك إلى فئة السعادة ممن يشقيك» وقد شعر مالك بضرورة التصوف للعالم فقال : «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق».

غير أن زروقا قال: «كن فقيها صوفيا ولا تكن صوفيا فقيها» وهو الذي يقول أيضا : «لزم الرجوع من التصوف إلى الفقه والاكتفاء به دونه ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح دونه ولا يجوز الرجوع منه إليه» (قاعدة 26).

وإذا استعرضنا الثقافة المغربية وجدنا أن أقطاب التصوف كانوا في نفس الوقت جهابذة الفنون وزعماء العلوم وقد ذكر صاحب (نشر المثانى) أنه لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن وهم محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة ومحمد

(42) أبو الحسن الشاذلي ادريسى من ولد ادريس بن ادريس من طريق ولده عمر خلافا لما في لطائف المنن لابن عطاء الله والدالية للبوصيري وشرح الزرقاني على المواهب (سلوة الأنفاس ج 1 ص 84) وقد ذكر ابن عطاء الله أن منشأه من المغرب الأقصى ونقله عنه السيوطي في حسن المحاضرة (ج 1 ص 247)

ابن أبي بكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء وعبد القادر الفاسي الذي تبلورت في عهده الطريقة الزروقية وغالب فقهاء إفريقيا ـ كما قيل ـ تلاميذه وقد قيل في العربي بن أبي المحاسن الفاسي إن به ختم علماء المغرب وكذلك والده وعمه أبو زيد الذي أفاض أبو العباس المقري في وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوه عن علماء المغرب فشبهه بالجنيد كما شبهه غيره بالسيوطي لوفرة علمه وقد تمحض أبو زيد لتربية المريدين وتلقين الأوراد على سعة علومه وذكر صاحب (الديباج) أن محمدا المقري تكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ودون في التصوف «اقامة المريد» و «رحلة المتبتل» و«كتاب الحقائق والرقائق» الذي شرحه زروق وجده الخامس هو عبد الرحمن صاحب أبي مدين الغوث وابن القيم استقضاه أبو عنان المريني على فاس له قصيدة نحا فيها منحى ابن الفارض في الحب سماها «لمحة العارض لتكملة الفية ابن الفارض» ومن قضاة فاس الصوفيين كذلك أيام بني مرين (ابو سعيد) الأصولي الكبير محمد بن علي الجزولي الذي لبس الخرقة.

ومن العلماء الصوفيين كذلك ابن البنا المراكشي صاحب «مواسم الطريقة في علم الحقيقة» و«عوارف المعارف في حقيقة النظر للعارف» ومحمد المرغيثي خاتمة المحدثين وإمام أهل عصره في الأدب والطب وعبد الله بن يعقوب السملالي خاتمة علماء جزولة وعبد الله ابن أبي بكر بن يحيى المغربي الجزولي نزيل الاسكندرية الذي انتهى إليه علم الفرائض في عصره ومحمد الحلفاوي الذي كان يعين أبا عنان المريني بالضرب على أيدي المعتدين (أخذ التصوف عن يعقوب الزيات الفاسي).

وقد تمخضت الحركة الصوفية عن نمو وازدهار الثقافة في ربوع المغرب لاسيما البادية ولا يخفى ما أسدته الزاويتان الناصرية والدلائية من أياد بيضاء في هذا الباب وقد كان في زاوية محمد بن وسعدن السوسي تسعمائة طالب يكسيهم ويطعمهم من ماله الخاص وظل مستمرا على مبرته هذه أربعين سنة ولا مفهوم لهذه الأمثلة فغيرها كثير فبقدر ما سمم أدعياء التصوف الروح الإسلامية بقدر ما سعى الصوفية في محو الأمية ونشر الفضيلة بين الناس وهذا ما جعل الأدباء والشعراء والنقاد والمفكرين ينحاشون في تلك العصور إلى الزوايا التي كانت محافل علم وأدب أكثر منها مجمع رياضة وتزمت فحتى ابن الخطيب لم

يفلت من هذه التأثيرات الروحية عندما لجأ إلى المغرب وقد كتب يقول بعد عودته إلى الأندلس التي كانت إذ ذاك طافحة بأسباب اللهو ودواعي الاستهتار بعيدة عما كان قد توطد فيها قبل من زهادة صوفية ورقة باطنية «وصلت من المغرب ولي ورد من الليل ووظيفة من الذكر وحظ من الخير ضايقني فضول القول والعمل فهجرت السبحة وطلقت الورد وما طلت الفرض لوقته وعمرت الزمان بما لا يغني من الله شيئا». وقد ألف ابن الخطيب في الرد على الملبسين كتبا منها «الغيرة على أهل الحيرة» و «حمل الجمهور على السنن المشهور« و«الرد على أهل الإباحة» و«سد الذريعة في تفضيل الشريعة» و« تقريب الشبه وتحرير المشبه» وقد نبغت في تلك العصور طائفة غير قليلة ممن يحق لنا أن نسميهم اليوم بالأميين المثقفين فقد تخرج من هذه الحلقات الصوفية التي كانت تنبثق منها العلوم للناس مثل عبد السلام التواتي الذي كان يتفجر علما رغم أميته (هو تلميذ مولاي التهامي الوزاني) وسيدي عبد العزيز الدباغ (الذي تتلمذ له عالم جليل هو ابن المبارك) الذي كان أعجوبة في دقائق التصوف ومولاي المهدي بن السعيد العلوي الذي ألف رغم أميته كتابا سماه «نزهة الأرواح النورانية في الصلاة على الذات المحمدية» وكانت له جولات في التوحيد الخاص وقد توفي على رأس القرن الرابع عشر وكانت كتب التصوف تدرس إلى جانب كتب الحديث والتفسير فهذا أبو المحاسن الفاسي يدرس (قوت القلوب) والإحياء والشريشية في آداب السلوك ويلتف حوله خلق كثير وفي آخر حياته نفض يده من سائر العلوم الأخرى واقتصر على التفسير والحديث والتصوف وأبو المحاسن هذا كان إذا توجه من فاس إلى القصر تعطلت الأسواق أو كادت لخروج الناس لمقابلته وقد قرأ صاحب (مرآة المحاسن) على والده أبي يوسف هذا (رسالة القشيرى) و(عوارف المعارف) للسهر وردى و(منازل السائرين) للهروى و(عيوب النفس) لأبي عبد الرحمن السلمي و (مذاهب الصوفية) لضياء الدين السهرودى و (شرح ابن عباد على الحكم العطائية). وكان يوقن كما يوقن جميع الناس على اختلاف العصور أن في القرآن والحديث الغنية والكفاية ولكنه كان يقول كما رواه عنه ولده في المرآة :«لو كان الناس على القدم الأولى وما كان عليه السلف الصالح من سلامة الدين والرسوخ في اليقين لم تر للقوم أورادا موظفة وأحزابا مكلفة وهو الذي كان في الأصل فلما قصرت المقاصد وذهبت المشارب والموارد جعل الأئمة

رضوان الله عنهم تلك الوظائف للمبتدئين ومنارا للطالبين» إلى أن قال : «وأما من قوي يقينه وانشرح صدره فهو في غنى عن ذلك كله»(ص 94).

والزقاق الفقيه انقطع هو أيضا لقراءة الحديث والفقه والتصوف ولكن من الصوفية من كان يفضل كتب السير على كتب التصوف منهم عبد الله السوسي لأن في الأولى سيرة الصحابة وفي الثانية أخبار الصوفية وشتان ما بين الاثنين.

وقد اندمج العلم في التصوف اندماجا جعل كثيرا من أصحاب التراجم يحلون كبار العلماء بلقب القطب الذي يعتبر في سلم التراتيب الصوفية من أعلى المقامات تشهد بذلك رسالة لأحمد البوسعيدي كتبها له (ميارة) عندما أتاه بشرحه على (المرشد المعين) ليقرظه له فعاب عليه كونه إذا عرف فيه بأحد من أشياخه وصفه بالقطب أو العارف بالله أو نحو ذلك.

وبالجملة فقد بلغ أقطاب العلم وأساتذة الفنون بالمغرب درجة في الزهادة جعلت جماعة منهم ينقطعون في جامع الأندلس للعبادة بعد تحصيل العلم فكان الناس يقصدونهم للاستفتاء وطلب العلم والتماس الدعاء.

وكنا نرى أقطاب العلماء يشدون الرحلة لزيارة بعض الأضرحة المشهورة بالمغرب كمزارات سيدي عبد السلام بن مشيش الذي زاره الشيخ التاودي بن سودة سبعين مرة وسيدي بوسلهام وسيدي أبو يعزى وقد ذكر صاحب (الصفوة) أن أحمد بابا السوداني زار أبا العباس السبتي أزيد من خمسمائة مرة.

تلك نبذة مختصرة عن موقف علماء المغرب من التصوف وأهله وقد رأينا كيف أنهم كانوا حربا على الشعوذة بقدر ما كانوا دعاة للروح الصوفية.



نماذج من تصوف العلماء

لعل من أبرز نماذج التصوف المغربي أي الفلسفة الروحية والخلقية المغربية رجلا تغلغلت مقالاته السيارة في قرارة النفوس فقومت اودها طوال أجيال متوالية وطبعت التصوف المغربي بميسم خاص أفرغت منه الحقيقة الصوفية في قوالب شرعية وروح التوكل في صورة السبب ولطائف الروح وأسرار النفس في أشكال مبسطة وذلك الرجل هو سيدي يوسف الفاسي الفهري. ويمكن القول بأن نظريات هذا الرجل الخلقية والنفسية والإلاهية تتركز فيها خلاصة النظريات المغربية في هذا الباب.

وأول ما يتجلى لك من احتياط هذا الرجل كعالم يمثل الشرعية في نصاعتها الفطرية تحذيره من قراءة الحاتمي وابن الفارض لأنها في نظره تسد باب الفتح نظرا لاستعصاء أسلوبها وغموضه وحضه على مطالعة حكم ابن عطاء الله وما شابهها لقربها إلى التعرف وقد برر نشاطه الصوفي من الوجهة الشرعية بأنه لو ظل الناس على القدم الأولى أي على ما كان عليه السلف من سلامة الدين والرسوخ في اليقين لما احتاجوا إلى ذلك ومع هذا فالذي قوي يقينه وانشرح صدره يكون في غنى عن خوض معامع التصوف.

ومن نظرياته الطريفة أن الرجل قد يؤخذ عن العالم الأدنى ليرقى إلى العالم الأسنى وذلك عندما يتمخض صدقه وإخلاصه وتضمحل أنانيته فتتكشف في باطنه حقائق وتختلج في سره رقائق وتعرض له أحوال وجدانية لا تنضبط ولا ترتبط بمعهود روحانية الصوفي فيتجرد عن بشريته ويتحد (أي في التوحيد) لأن الفناء هو اتحاد بلسان المجاز وتوحيد بلسان الحقيقة. وهذه الظواهر كلها ذوقية وجدانية (فمن ذاق ـ كما يقول الشيخ يوسف ـ عرف ومن لم يذق فلا حرج إذا سلم واعترف وهذه لطائف تقصر عنها العبارة ولا تلحقها الإشارة إذ لا يفهم عنك إلا من أشرق فيه ما أشرق فيك) والشيخ متفائل يريد من العبد أن تكون عبوديته وعبادته على بساط الحب لأن هذا البساط أتم من بساط الخوف. وقد نظر الشيخ من خلال تصوفه إلى كثير من مشاكل الفلسفة الإنسانية فحللها في سلاسة أسلوب

وقوة إقناع مستخدما مبادئ علم النفس في التعرف إلى كثير من الحقائق الباطنية والخلقية والاجتماعية وقد يعرج أحيانا على هيآت ما وراء المادة فيستشف أسرارها وحقائق من مزيج المنطق السليقي والميتافيزياء الفطرية التي تنبثق عن الكشف الباطني. ولم يحجم الشيخ عن إثارة مشاكل القضاء والعقل والنفس والروح والعالم العلوي وقيمة الخواطر وماهية الكمال وحقيقة المعرفة ومقياس الحس ولكنه أثارها وحللها في عبارات خاطفة يحق لها أن تسير مسرى الأمثال فاستمع إليه يقول حسبما بنقله إلينا نجله مؤلف (مرآة المحاسن) «العقول معقولة مهما رامت أو طلبت ما ليس لها طلبه زجرها زاجر الشرع واكتنفها وارد المنع فرجعت القهقرى ونكصت إلى ورا» و «الإنسان روح ثم نفس ثم جسم فالروح عالم الجبروت والنفس عالم الملكوت والجسم عالم الملك» والعوالم أربعة : عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم العزة فعالم الملك يدرك بالحس وعالم الملكوت يدرك بمبادئ العقل وعالم الجبروت يدرك بنهاية العقل ولا مجال للعقل في عالم العزة و «القدر يرجع بحسب المقدرة أي التعلق الصلاحي أزلا والقضاء إلى التعلق التنجيزى والقضاء غير القدر بل هو متأخر ناشئ عنه وبه» و«الكمال هو الرجوع إلى الخلق بالحق وعدم الإخلال بشيء من الشريعة» والمعرفة شعور بالحق لا كشف عن الحقيقة و (الاتصال - أي بالعالم العلوي هو أي أساسه - الانفصال عن لوث الصلصال» و«ليست الطريق - أي طريق الكمل - بكثرة القيل والقال ولا بكثرة الأعمال أي بكثرة الصلوات والمبرات - وإنما هي بفراغ القلب مما سوى الرب» و«قرب العبد من ربه على قدر بعده من طبعه» و «أول خاطر يخطر لك عند المهمات فهو ميزانك» والناس في مواردهم على حسب مشاربهم : مواجد مختلفات وفي توحيدهم معارج متعددات إيماني وبرهاني وإحساني فمشرب الإنسان على حسب وسعه وسلامة ذهنه» و «المال لا يذم لذاته وإنما يذم لعوارضه» ولعل في هذه الأمثلة رسم صورة مصغرة عن أسس الفلسفة الروحية والخلقية بالمغرب ولو أردنا التعليق على كل فكرة لأعوزنا المجال لأن تحت كل ذرة درة.

ملوك المغرب والطرقية

لقد قاوم ملوك المغرب أدعياء التصوف وترصد بعض السلاطين حتى للصوفية من غير الدجاجلة والملبسين وذلك لسببين اثنين أولهما صعوبة التميز بين المخلص النزيه والمدلس الدعي، وثانيهما تضخم نفوذ الصوفية والتفاف جماهير الشعب الغريرة حولهم وخوف بعض الملوك من مناورات تؤدي إلى قلب الحكم والذي يستعرض الظروف التي اعتلت عائلة السعديين مثلا بفضلها أريكة العرش يعلم مدى نفوذ الصوفية في تلك العصور.

وقد سبقت الإشارة إلى موقف أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين[43] من بعض الصوفية أمثال أبي العباس بن العريف وأبي الحكم بن برجان فقد ذكر ابن بشكوال في تاريخه أن فقهاء المرية أنكروا مذهب ابن العريف الذي كان صيته قد بعد عبادة وزهادة وكثر أتباعه على طريق الصوفية فأمر الأمير المرابطي بإشخاصه إليه مع محمد بن الحسين الميروقي من غرناطة وابن برجان من اشبيلية وكانوا نمطا واحدا في الانتحال فسيروا جميعا إلى مراكش ليراقبوا عن كثب وما لبث ابن العريف أن توفي عام 536 فتجمهر الناس للاحتفال بنعشه وكانت في جملة دواعي الإيقاع بالصوفية تضايق العمال المحليين من نفوذهم وإيغار صدر الخليفة عليهم مع إقامة المواجب تارة صدقا وتارة زورا بزندقتهم وهذا هو نفس ما وقع بين علي بن يوسف وابن العريف الذي كتب به إلى الخليفة ابن الأسود قاضي المرية تضايقا من سعة نفوذه وعندما ورد ابن العريف على حاضرة الملك وتحقق الأمير صدقه بعد امتحانه دس له ابن الأسود من يسممه فمات وهذا هو الذي دفع السلطان إلى تغريب ابن الأسود إلى السوس الأقصى حيث مات مسموما بإيعاز منه اقتصاصا من جرمه الشنيع.

ومن جملة من سجنه علي بن يوسف محمد بن خلف اللخمي بعد أن غربه من الأندلس وقد كتب اللخمي هذا في سجنه بمراكش مجموعا في التصوف فرغ منه آخر رمضان

(43) أقام فقهاء الأندلس ضجة ضد الغزالي وأحرق المرابطون أحياءه بدعوى خروجه عن المعتقد السائد في التفويض وعدم إعمال التأويل وترك الجدل وقد أخذ المهدي بن تومرت عن الغزالي مذهبه وكذلك عن أبي بكر الطرطوشي بالأسكندرية إلا أن القاضي عياضا ثار ضد الموحدين في الوقت الذي قام محمد بن هود بالأندلس بانيا ثورته هذه على المعتقدات مثل الموحدين.

عام 529 ـ وعلي اللمتوني هو الذي أمر بإحراق كتب الغزالي بإفتاء من فقهاء المغرب وكان الناس يحلفون بالأيمان المغلظة أن الأحياء ليس عندهم.

وقد ذكر صاحب (لسان الميزان) (ج 1 ص 247) أنه بعد مجيء ابن العريف وابن برجان إلى مراكش ظهر أحمد بن قسي فابتنى مسجدا ببعض قرى شلب (بالبرتغال) وتحدث بالأباطيل وتبعه كثير من الأعيان وكاتب أهل المرية يدعوهم إلى خلع الملثمين ثم استظهر بجماعة من الفرنج ليقاتل بهم المسلمين وذكر عبد الواحد المراكشي أنه أحضر إلى عبد المومن فقال له بلغني أنك ادعيت المهدوية فأجابه «أليس الفجر فجرين صادقا و كاذبا؟» قال بلى: «فأنا كنت الفجر الكاذب» فعفا عنه ولكن قتله بعض أصحابه الذين كانوا معه في الأندلس.

وقد استقدم يعقوب المنصور الشيخ أبا مدين الغوث من بجاية لامتحانه لما بلغه عن سعة نفوذه ولكنه مرض بعد وصوله إلى حوز تلمسان فمات في محل يسمى (رابطة العباد) عام 594.

ويتبين من هذا العرض أن ملوك المرابطين والموحدين إنما قاموا بامتحان بعض أهل التصوف خشية أن يكون هؤلاء من الأدعياء المغرضين واقتصار هذه الامتحانات على الصوفية الخارجين عن حدود المغرب الأقصى يدلنا على حسن نية الأمراء الذين لم يكونوا يمتحنون إلا من لم يكونوا على بنية من حاله على أن التصوف المغربي كان لا يزال إذ ذاك سنيا وكان أهله بعيدين عن روح التفلسف والانتحال التي كانت الميسم البارز لكثير من صوفية الأندلس.

وقد هدأت نوعا ما حركة الامتحان في عهد المرينيين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لأن الدولة كانت قوية الجانب قد انصرفت إلى إتمام صرح الحضارة المغربية التي بلغت في ذلك العصر ذروتها ولكنهم يرون مع ذلك أن أبا عبد الله بن محمد الشيخ المريني وهو الملقب بالبرتغالي سجن عبد الله الغزواني بفاس بتحريش الفقيه ابن عبد الكبير البادسي ثم أطلق سراحه واعتذر إليه ورجا منه السكنى بفاس فبنى زاويته داخل باب الفتوح لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض أمراء بني

وطاس من ميع وانحلال فصوفي سوس عبد الله بن عمر المدغري (وهو من أصحاب زروق) وكذلك عبد العزيز القسمطيني هما اللذان مهدا لدولة محمد الشيخ السعدي وذكر صاحب (زهرة الشماريخ) أن محمدا بن المبارك هو الذي أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانين[44] ثم انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس فعمت البلاد ملتهمة ما تبقى من نفوذ الوطاسيين[45] وأغرب ما في الأمر أن محمدا الشيخ مؤسس الدولة السعدية ما لبث أن انقلب على الصوفية فقد امتحن أرباب الزوايا منذ (سنة 958) وذلك خوفا على ملكه لما كان للعامة في أصحاب الطوائف من اعتقاد ومن جملة من امتحنه عبد الله الكوش فأخلى زاويته بمراكش وأمر بترحيله إلى فاس وقد اتخذ السلطان ذريعة للإيقاع بأرباب الزوايا اتهامهم بحفظ ودائع بني مرين وكانت الزوايا وأهلها معفاة من الضرائب ففرض محمد الشيخ عليها ضريبة النائبة.

وقد سجن المنصور الذهبي صالح سوس عليا بن أحمد بن موسى الذي ظل سجينا في ترودانت إلى أن توفى عام 1006.

وفي أيام زيدان تضعضع نفوذ السعديين واستقل المجاهد العياشي الصوفي بالأمر في كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفية إذ ذاك قوية وجانبهم منيعا وقد بلغت الزاوية الدلائية حينذاك عنفوانها فتحفظ زيدان في إثارة أرباب الزوايا من ذلك أن القاضي أبا الحسن عليا بن عمران السلاسي سعى بأبي زيد عبد الرحمن الفاسي عام 1018 واصما إياه بالانتقاد وتلقين آراء الفرق الضالة للناس ولكن بعد مثوله بين يديه تحقق للسلطان الأمر فقبض على ابن عمران وزج به في غياهب السجن حيث بقي إلى أن مات.

وقد قام ضد زيدان أحد الأدعياء المتمهدين وهو أحمد بن أبي محلي الذي توجه إلى

---

(44) كان الصوفيون يوالون هجماتهم على المدن التي يحتلها الأسبان والبرتغال في سواحل المغرب من ذلك ما ذكره (دوكاستر) (الوثائق عام 1909. ج 2 ص 30) من أن القبائل الريفية هاجمت بدعوة من أحد الصوفية ـ مدينة مليلية مرتين في شهري أبريل ويونيه 1564 م.
وأكد (دوكاستر) أنه بمجرد جلاء البرتغال عن أزمور دخلها الشيخان أبو عبد الله محمد بن ساسي وأبو محمد عبد الله الكوش مع جماعة من الأبطال المسلمين لحراستها ريثما يتمكن المسلمون من جمع الجنود (الوثائق ج 1 ص 146 عن نزهة الاخوان وكتابي ديبكا دو طوربس ومارمول

(45) لما قام السلطان أحمد الأعرج وأخوه ضد بني مرين وجه هؤلاء إلى السلطانين سيدي عمر الخطاب وسيدي أبا الروابن للصلح مع جماعة أعيان الوقت.

بلاد القبلة ودعا لنفسه فاستخف قلوب العوام وهزم والى السعديين بسجلماسة ثم احتل (درعة) وطارد السعديين إلى مراكش حاضرة الملك فأخرج منها زيدان ولكن هذا الأخير استنجد بأهل سوس فقاموا ضد ابن أبي محلى وقتلوه (محاضرات اليوسى ص 91) وقد قتل السلطان محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور الذهبي الشيخ (أبا الحسن عليا الحاج الغصاوى البقال) عندما تخوف منه أن يدعي الملك ولأنه أغلظ له في القول عند تحقق تنازله عن العرايش للنصارى وقد فر من فاس «تخلصا من استفتاء السلطان في تلك القضية العربي الفاسي وأخوه أحمد وكذلك العالم محمد الغسانى وابن عاشر وعلي البطوئى بينما تجرأ الغصاوي المذكور على مناقشة السلطان الحساب فكان مصيره القتل».

ولما استقل العلوييون بالنفوذ في المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين أهلها في (بطن الرمان) أوائل المحرم عام 1079 هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد بن محمد بن ناصر وجهز محلته للزحف إلى (زاوية درعة) ولكنه عدل عن ذلك بعد أن تحقق صدق ولاية الرجل وهذه مكرمة للرشيد حيث كانت قومته لله وتقاعسه لله عند استبانة الحق وقد سخط المولى إسماعيل كذلك على أهل الزوايا وشدد عليهم واستقدم في جملة من استقدم إلى حضرته لامتحانه مولاي التهامي الوزاني ولكنه ما لبث أن أذن له في العودة إلى وزان وتختلف الروايات في تأويل تراجع السلطان وسجن المولى اسماعيل بفاس أحمد بن عبد القادر بن محمد بن مبارك التستاوتى (الذي نظم رجال الحلية ورجال التشوف) وذلك عام 1104 ولكن ما لبث أن أطلق سراحه وقد ألف أبو الربيع مولانا سليمان (خطبة ضد المواسم والطوائف) متأثرا فيها بروح والده السنية وكان تحريره لهذه الرسالة سدا للذريعة وحماية للشريعة رغم تشبعه هو ووالده بالروح الصوفية السلفية كما يتبين ذلك من إجازته المتصلة بالسند الجزولى عن طريق التباع بواسطة شيخه محمد الشرادى ومن طرق أخرى منها طريق الشيخ التاودي بن سودة.

ويشهد التاريخ الحديث كذلك بغيرة ملوكنا على الحنيفية السمحة وخوفهم من تسرب البدع إلى الدين عن طريق أهل الدعاوي من المغرضين.

وحتى في الشرق كان موقف الملوك شديدا من أدعياء الطرقية غير أن التيار كان

يجرف حتى بالصالحين فقد ذكر أبو سالم العياشي في رحلته وكذلك الشعراني أن بني عثمان لما دخلوا مصر أمر السلطان سليم بقتل من فيها من أرباب الطوائف لأن الغوري لما خرج لقتاله أخرج معه العلماء والصلحاء يستنصر بهم فلما دخلها قتل كثيرا منهم حتى المجاذيب.

ولكن ليس معنى هذا أن ملوك المغرب كانوا حربا على التصوف وإنما قاوموا الأدعياء والدجالين أو غلاة المتصوفة الذين شذت دعاويهم عن ظاهر الشريعة ولا يخفى أن التصوف السلفي هو من صميم الدين كما تبين من أقوال صاحب المنار وشيخه محمد عبده وإذا حققنا معنى التصوف قبل أن يطرأ عليه الانحراف وجدنا أن رجال صدر الإسلام وتابعيهم كانوا كلهم صوفية وقد كان يوسف بن تاشفين زاهدا متورعا متقشفا لم يلبس غير الصوف (الانيس المطرب ج 2 ص 36) وفي دولة الموحدين أظهر يعقوب المنصور زهدا وتقشفا وخشونة ملبس ومأكل وانتشر في أيامه ـ حسب تعبير صاحب المعجب (ص 170) ـ للصالحين والمتبتلين وأهل علم الحديث صيت وقامت لهم سوق ولم يزل يستدعي الصالحين من سائر البلاد وقد كتب قبل خروجه إلى غزوة الأندلس (عام 592) يبحث عن الصالحين في جميع البلاد فاجتمعت له منهم طائفة كبيرة كانوا يسيرون بين يديه في الحروب (المعجب ص 175) وقد اشتهرت نزعة المنصور الصوفية في الشرق حتى زعم ابن بطوطة وابن خلكان أنه ترهبن وانخلع من الملك ولبس المرقعة وقصد بلاد الشرق زاهدا متبتلا فتوفي هناك ؛ وكان أبو العباس السبتي يعيش في جبل جليز فأهبطه المنصور إلى المدينة وحبس عليه مدرسة للعلم ودارا للسكنى. ولوحظت نفس الحركة في الشرق ففي أيام المنصور أنشأ صلاح الدين الأيوبي بمصر خانقاه سعيد السعداء وسماه (دويرة الصوفية) وولى عليها أعظم رجال الدولة كأولاد حمويه وذي الرياستين تاج الدين ابن بنت الأعز (خطط المقريزي ج 4 273) ثم توحدت رياسة الصوفية بمصر في القرن التاسع فجعلت في (دار محمد البكري) ولا تزال في البكريين إلى الآن (تاريخ التمدن الإسلامي ج 1 ص 202) والسلطان عبد الله بن المنصور هو الذي ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح أبي العباس السبتي وشحن خزانته بنفائس الدفاتر وقد وصف صاحب (الذخيرة السنية) (ص 9) ملوك بني مرين بالأدب والدين وإكرام العلماء وتوقير الصالحين وذكر عن الأمير أبي محمد عبد الحق أنه كثير الذكر والأوراد يسرد الصوم وتتبرك به أحياء زناتة وإذا سمع بصالح أو عالم خف لزيارته (29) وكان أبو سعيد أيضا

معظما للعلماء موقرا للصالحين يتواضع بين أيديهم (ص 37) وقد أجاز الأمير أبو يوسف إلى الأندلس ومعه جماعة من صلحاء المغرب (ص167) وبنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف لإطعام عابري سبيل وذوي الحاجات ووصفه ابن الخطيب في (اللمحة البدرية) بأنه كان أشبه بالشيوخ منه بالملوك ـ (ص 42 طبعة 1347) وكان أول الذين استنفرهم أبو القاسم العزفي لتحرير الأندلس هم الصالحين والعلماء ـ وبنى أبو الحسن المريني زاويتين بمكناس أعدهما للوارد من الغرباء أما في الدولة السعدية فإن أحمد المنصور لبس خرقة التصوف من يد شيخه العلامة الأديب أحمد المنجور حسب ما ذكره صاحب (المنتقى المقصور) وقبله أخذ السلطان عبد الله الغالب طريقة التصوف عن أحمد بن موسى الجزولي.

وفي أيام العلويين جدد المولى إسماعيل ضريح أبي القناديل سيدي يوسف وضريح أحمد الشبلي وعبد الله القصري وأسس الضريح الإدريسي عام 1110 فقامت حوله مدينة زرهون وأسس السلطان سيدي محمد بن عبد الله[46] ضريح سيدي محمد بن عيسى بمكناس وبنى قبة سيدي سعيد بن عثمان وجدد بناء الضريح الإدريسي مع أنه تزعم الحركة السنية السلفية بنشر كتب الحديث والتقليل من مصنفات الفروع وقد جدد مولاي الحسن ضريح سيدي أحمد بن يحيى في باب الجيسة عام 1307 وبنى قبته وزاد في مسجد ضريح عبد القادر العلمي لما كثر أتباعه.

غير أن هذه الأضرحة لم تكن في ذلك العهد أكثر من مساجد تقام فيها الصلوات وترتل فيها آية القرآن والأذكار والدعوات فلم ير الملوك ما يدعو إلى استنقاصها بيد أن الاستعمار وصنائع الاستعمار أفسدوا جوانب من هذه الروح الطيبة التي كانت تسري في هذه البيوت الطاهرة.

---

(46) أصدر سيدي محمد بن عبد الله مرسوما لأبي مدين الفاسي بإسناد أمر زاويتهم إليه وهو الذي جدد أضرحة أبي العباس السبتي والتباع والجزولي والغزواني وأبي صالح ومولاي علي الشريف وميمون الصحراوي وعلي بن حرزهم ودراس بن اسماعيل ومولاي عبد السلام بن علي بن ريسون الذي كان له معرفة بالعلوم الرياضية كما تدل على ذلك محادثاته مع محمد الجباص وادريس الشاوي (وهما عضوان في البعثة التي وجهها مولاي الحسن (عام 1291 موافق 1875) إلى أنجلترا لدراسة العلوم الرياضية) كان له تأثير سياسي على السلطان مولاي الحسن ونجليه مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ وبفضله استطاع سكان تطوان الوصول إلى المناصب الكبرى كعبد الكريم بريشة المبعوث المفوض في معاهدة مدريد عام 1880 ومحمد الصفار عضو الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906 وعبد الكريم الغنيمة السفير المفوض ببرلين وكان لسيدي عبد السلام بن ريسون وهو الموسيقار والعالم والصوفي أثر قوي على مولاي العباس في حرب تطوان عام 1276 هـ (1860 م) (راجع حياة ابن ريسون لعبد الرحيم جبور تطوان 1951)

التصوف المغربي كمذهب اجتماعي

كانت غاية الحركات الصوفية في نصاعتها الأولى صقل الروح وتصفية الوجدان ولكن التصوف تشعب و داخلته عناصر من غير جنسه فغلظت حواشيه واخشوشنت ديباجته وقد بدأ هذا الانقلاب الرجعي منذ القرن الثاني الهجري حيث وصف أبو سليمان الداراني المتصوفة بقوله : (عظمت الدنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا وصغر الحق في أعينهم فاعجلوا منه هربا وانشد الجنيد إمام أهل التصوف .

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة

وقد انتشرت هذه الرجعية المبتدعة في التصوف المغربي منذ عدة قرون حتى انبرى بعض العلماء يحذرون العوام السذج من غواية المشعوذين وفي مقدمة أولئك أبو بكر بن العربي المعافري و الطرطوشي والمازري والشيخ زروق صاحب كتاب (عدة المريد الصادق) الذي يمكن آن يعتبر من أول المصنفات السلفية في المغرب والونشريسي صاحب المعيار وغيرهم. و قد كان محمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي تلميذ أبي المحاسن الفاسي يحذر من المتصدرين للمشيخة.

و هذا لم يمنع المغرب من إنجاب عناصر طيبة كانت نموذجا للصوفية الوجدانية السامية التي ينعكس إشعاعها على المجتمع فيضفي عليه سربالا من الطمأنينة والاستقرار والهناء :و نحن نريد أن نتحدث هنا عن الدور الذي قام به التصوف المغربي في إقرار التسامح و السلام في المجتمع وإسعاف طبقاته المعوزة و إجراء الإمدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس فهناك مذهب صوفي مغربي بحت يرجع الفضل في وضع أسسه ونشر دعوته لرجل من أهل القرن السادس هو أبو العباس السبتي الذي كان يرى أن لباب القوانين الشرعية هو الصدقة فكان يجلس في الأسواق و الطرق ليحض الناس على البذل والجود مرددا كلماته الخالدة :

(أصل الخير الإحسان واصل الشر البخل) وقد اشتهر مذهبه ايما اشتهار حتى نعته معاصره الحاتمي في فتوحاته الملكية بصاحب الصدقة في مراكش .

وقد كان لهذه الدعوة أثرها فأسست الرباطات والزوايا و الملاجئ في مختلف أنحاء المغرب حيث كان يأوي العجزة والفقراء والطلبة فيجدون الطعام السائغ والفراش الوديع وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهرات الإحسانية فاضطر الملوك إلى المساهمة فأسسوا الزوايا في الفلوات لإيواء عابري السبيل وأوقفوا لها الأوقاف الوفيرة.

وقد كان في زاوية محمد بن وسعدن السويسي تسعمائة طالب يكسيهم ويطعمهم من ماله الخاص واستمر في هذا العمل الإنساني أربعين سنة. ويحكى عن الشيخ (أبي الرواين) أنه كان يدفع كل ما لديه للفقراء والمساكين وكان سيدي عبد الرحمن المجذوب يزاول الحراثة مواظبا على إطعام الجياع وإغاثة الملهوفين وكذلك الشيخ سيدي أحمد الشاوي الذي تكسب بالزرع والماشية وأفاد من تكسبه (اربعين مدا من الذهب) صرفها كلها في وجوه الخير والإسعاف وهو الذي بنى قنطرة ابن طاطو وكانت له خمس زوايا يطعم فيها الفقراء.

وكانت لعبد الله الكوش الذي أسره الأسبان في أصيلا عندما كان يدافع عن حوزتها في طائفة من مريديه ـ زاوية تتسم بسمة المطاعم أكثر مما تتسم بسمة الزوايا حيث كانت في مطابخها قدور تسع الثور و الثورين وتحتوي على بلاط واسع مخصص يبرد فيه الكسكس بالألواح لكثرة الوافدين من المساكين وكان له عن كل نوع من الطعام وكيل خاص وكان الإطعام عاما مجانا بدون أي مقابل . ويحكى أن نجل سيدي عبد الله بن حسين ذبح سبعمائة شاه ومائتين من البقر وعشرين من الإبل وهيأ طعاما في أحواض تغذى منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة من المساكين. وكان لمحمد بن أبي بكر الدلائي كذلك زاوية عديمة النظير اتخذ لجلب السمن إليها قواديس تتصل بقدور نحاسية ضخمة.

وكان للصوفية المغاربة ميادين أخرى يتجلى فيها عطفهم المثالي على المجتمع الإسلامي البائس فقد ندب محمد بن الحجام المكناسي الناس يوما إلى افتكاك الأسرى المغاربة الذين وقعوا في قبضة العدو فتسارع الناس إلى البذل وتراكمت أمام منبر الشيخ ثياب وهدايا كادت تحجبه عن الأبصار.

وغير خاف ما قام به الصوفي الكبير سيدي محمد العياشي تلميذ سيدي عبد الله ابن حسون من مآثر في الدفاع عن كيان المغرب ومقاومة الاستعمار الأسباني الذي كان

يهدف إلى احتلال المراسي المغربية وتطويق البلاد كما لا يخفى ما كان يقوم به الشيخ محمد بن مبارك الأقاوى في سوس حيث كان يتدخل بين القبائل لكفها عن التناحر فتطيعه في الحين لسعة نفوذه الروحي حتى جعلوا له أياما سموها أيام سيدي محمد بن مبارك لا يحمل فيها أحد سلاحا وهو الذي أمر قبائل السوس بالانقياد للسعديين وكان سيدي محمد بن يدر التغللتى كذلك لا يفتر عن التدخل لإخماد نيران الثورة التي كانت تشب ضد الملوك أو بين القبائل.

ذلك مظهر من الصفحة التي سجلها التصوف المغربي في تاريخنا الاجتماعي وهي صفحة ناصعة مشرقة أصبح أدعياء التصوف المارقون يلوثونها بشعوذتهم الأثيمة.



الرباطات معاقل الجهاد

إن من أبرز ما امتاز به الشعب المغربي منذ أعرق العصور إلى جانب روحه الاستقلالية قابليته الفطرية للتأثر بكل غريب وسرعة انفعاله وقد ينقلب بعد حين إذا لم يكن ذلك العمل الذي أثر فيه قوي المفعول في نفسه لذلك رأينا المغاربة يرتدون نحوا من اثنتي عشرة مرة ـ على ما ذكر ابن خلدون عندما كان إيمانهم بالإسلام وأمثلية مبادئه لا يزال سطحيا وكانت ذكرياتهم الوثنية لا تزال مسيطرة على تفكيرهم القصير ولاشك أن للصبغة البدائية التي كان يتسم بها المغرب إذ ذاك آثارا في هذه القابلية السهلة. ثم تغلغلت الروح الإسلامية في نفوس المغاربة وتجاذبتهم تيارات جديدة داخل الإطار الإسلامي لم يستطيعوا مغالبتها فانساق البعض مع هذا التيار والبعض مع التيار الآخر فانفعلوا للنحلة البرغواطية التي كانت صورة مشوهة للإسلام ممزوجة بالتقاليد المحلية ـ بدافع هذا الاستعداد الروحي الكامن – حتى استطاع مؤسسها صالح بن طريف أن يقيم دولة في تامسنا وأطرافها استمر وجودها أجيالا وعانى من لأوائها كل من الأدارسة والمرابطين وفي نفس الوقت كانت المذاهب المختلفة تنحدر إلى المغرب من الشرق الإسلامي الذي كان يعج بالفرق الدينية ذات الأهداف السياسية فشاهدنا فكرة الخوارج تغزو المغرب وتنتشر فيه من أوائل المائة الثانية إلى آخرها كما تسرب إليه مذهب الروافض حيث قامت في الجنوب دولة «خارجية» على يد فرقة الصفرية المدرارية التي أسست مدينة سجلماسة عام 140 هـ وكان بعض هؤلاء اباضيين كمحمد بن ميمون واستمرت دولتهم إلى عام 466 عند أول حجابة المنصور بن أبي عامر وكان للإسلام السني في شخص المولى ادريس مصادمات عنيفة مع هذه الأفكار المتطرفة التي كانت تستغل هذه الفطرة الفتية والقلوب المتفتحة وكانت الحركة الصوفية قد بدأت منذ ذلك بإفريقيا الشمالية في شكل مزارات مقدسة لأجداث الصحابة والتابعين الذين رافقوا (عقبة بن نافع) في فتوحاته وهم زهاء ثلاثمائة والذين استشهدوا في الحرب ضد كسيلة وأول مزارة من هذا النوع في الشمال الإفريقي قبور هؤلاء الشهداء التي جصصت واتخذ عليها مسجد عرف باسم عقبة أما في المغرب فلعل أول رباط من هذا النوع وقع

تأسيسه هو رباط شاكر الذي وصفه ابن الزيات في التشوف بأنه «كان مجمعا للصالحين من قديم ولاسيما في رمضان يفدون من كل أوب» وشاكر هذا من أصحاب عقبة بن نفع على ما ذكره ابن الزيات والذي بنى هذا الرباط هو يعلى بن مصلين الرجراجي وكان يقاتل كفار برغواطة. وهذا يدلنا على أن هذا الرباط كان مأوى للمجاهدين بقدر ما كان موئلا للزهاد. ولعل الفكرة الصوفية انبثقت لأول مرة في بلاد رجراجة حيث ورد سبعة من الصحابة حسب ما يقول كثير من المؤرخين ويظهر أن ناحية الشمال كانت لا تزال فيها في المائة الثانية بقايا رهبنة مسيحية إذا صدقنا ما حكاه صاحب القرطاس (ج 1 ص 49) عن ذلك الراهب الذي وجده المولى ادريس في صومعة قريبة من المكان الذي أسس فيه مدينة فاس وقد حكى له الراهب عن راهب كان قبله في تلك الجهة قبل مائة عام مما يدل ـ إن صح ـ على أن حلقات الرهبنة كانت موصولة.

ولكن بعد ماوصل إلى المغرب صدى نكبة الأشراف العلويين في الشرق إثر قيام الدولة العباسية عقب مذبحة الفخ اشتد عطف المغاربة على سلالة مؤسس هذا الدين الإسلامي الذي يدينون به وقد تجلى هذا العطف في الاستقبال الحماسي الذي حظي به المولى إدريس في شمال المغرب وسليمان بن عبد الله الكامل في تلمسان وقد دخل أكثر ولد هذا الأخير إلى بلاد لمطة والسوس الأقصى (الممتع ص 3) ولا يمكن أن نعلل تلك السرعة الخارقة التي قامت بها دولة الأدارسة في بلاد كانت تستعصي حتى على زعمائها المحليين إلا بذلك النفوذ الروحي الذي يحظى به الأشراف والذي شكل دورا مهما في تمهيد السبيل لكثير من الشيوخ الذين سيتزعمون الطرقية في العصور التالية.

ولعل من أقدم الرباطات المغربية (رباط واجاج بن زلو اللمطي السوسي) الذي كان يسمى (دار المرابطين) وقد اتخذ مجمعا لطلبة العلم وقراء القرآن حسبما ورد في (التشوف) (ص 36) الذي نجد من بين رجاله الصوفية كثيرا من «لمعلمين» المنقطعين لتعليم كتاب الله. وهذا مظهر ثان لنوع ما كان يشتغل به الصوفية إذ ذاك وسنرى فيما بعد كيف تطورت الفكرة الصوفية فانضافت إلى التعبد بالقرآن تعبدات بالأدعية والأذكار.

وكان هنالك نوعان من الرباطات : رباط من الطراز الذي أشرنا إليه وكان يشمل

المدينة بكاملها كرباط تيط ورباط زرهون ورباط من نوع آخر هو عبارة عن محلة يرابط فيها المجاهدون وقد روى أن الضفة اليسرى لمصب أبي رقراق كان يرابط فيها نحو مائة ألف من الغزاة الذين كانوا يتطوعون لمقاومة النحلة البرغواطية.

وبين هذه وتلك الرابطة التي ابتناها عبد الله بن ياسين في جزيرة قرب الساحل وتبتل فيها ثلاثة أشهر مع نفر من كدالة في مقدمتهم يحيى بن ابراهيم أمير صنهاجة وقد توارد الناس على هذا الرباط حتى بلغ عدد المرابطين ألفا من أشراف صنهاجة كانوا النواة التي قامت بتأسيس الدولة المرابطية فكانت هذه هي الدولة الثالثة التي قامت في المغرب على أساس فكرة مذهبية بعد الدولة المدرارية في سجلماسة والدولة الإدريسية في الشمال وقد فسح استعداد المغاربة الروحي المجال لدعاة المهدوية مثل محمد بن تومرت الذي أسس دولة الموحدين والعبيدي الذي قام بعده في جبل ورغة من أحواز فاس حيث تبعه كثير من قبائل المغرب أول عام 600 هـ حتى قبض عليه وأحرق في باب محروق بفاس (الذخيرة السنية ص 38) وكان العبيدي هذا » رجلا صالحا متخشعا كثير الورع والعبادة ثم ادعى المهدوية بعد ذلك أقوام منهم ابن أبي محلي الذي توجه إلى بلاد القبلة بعدما كان صديقا لمحمد بن أبي بكر الدلائي ودعا لنفسه زاعما أنه المهدي المنتظر فاستخف قلوب العوام ـ كما يقول اليوسي في المحاضرات (ص 91) وتبعوه فدخل بلد سجلماسة وهزم والي الملوك السعدية واستولى عليهم ثم أخرجهم من درعة وتبعهم إلى حضرة مراكش وفيها زيدان ابن أحمد المنصور فهزمه وأخرجه منها وذهب فاستغاث بأهل السوس الأقصى فخرجوا إلى ابن ابى محلى فقتلوه وهزموا عسكره شذر مذر» (ص 91).

وكانت نفس الحركة ملحوظة كذلك في الأندلس أيام المرابطين حيث ذكر صاحب لسان الميزان (ج 1 ص 247) أن أحمد بن قسي ابتنى مسجدا في بعض قرى سلب (بالبرتغال) وتحدث بالأباطيل وتبعه كثير من الأعيان وكاتب أهل المرية يدعوهم إلى خلع الملثمين وقد تمكن منه عبد المومن بعدما سجنه وقد ادعى النبوة كذلك في الأندلس كما ورد في الإحاطة والدرر الكامنة (ابراهيم الفزازي الساحر) فقام بالرد عليه أبو جعفر أحمد بن الزبير صاحب (صلة الصلة) حتى قتل على يده في غرناطة.

وقد قاوم المرابطون هذه الانتحالات إلا أن مقاومتهم كانت أحيانا تشمل حتى العناصر الطيبة فقد ذكر ابن بشكوال في تاريخه أن أبا العباس بن العريف بعد صيته في العبادة والزهادة وكثر أتباعه على الطريقة الصوفية حتى بلغ ذلك أمير الملثمين علي بن يوسف ابن تاشفين ويقال إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذهبه فسعوا به إلى السلطان فأمر بإشخاصه من غرناطة كما استقدم أبا الحكم بن برجان من إشبيلية وكانا نمطا واحدا في الانتحال والصلاح حتى كان أبو الحكم يلقب بغزالي المغرب. ولكن الملوك المرابطين كانوا معذورين في هذه الحملة ذلك أن الرتق بدأ يتسع نظرا لكون المقالات الصوفية كانت معقدة مستعصية على العقول التي تفهمها على غير وجهها ولأن أدعياء التصوف أصبحوا كذلك يبثون دعاويهم المسمومة في الناس والمرابطون وإن كانوا مشبعين بروح صوفية ـ لاسيما ابن تاشفين الذي كان متورعا متقشفا (القرطاس ج 2 ص 36) إلا أنها كانت سنية سلفية عليها مسحة من طابع صدر الإسلام وقد أدى الحال بعلي بن يوسف كما سنرى إلى إحراق كتب الغزالي التي كان بعضهم يسيئ فهمها ومع ذلك فقد بدأت حركة الرباطات والزوايا تنتشر في طول المغرب وعرضه وأصبح الناس يتكتلون بصورة غريبة حول دعاة المشيخة وقد أدرج صاحب التشوف في ثنايا كتابه جملة من أسماء الرباطات التي كانت بالمغرب قبل القرن السادس الهجري ومعظمها بربرية الأسماء مما يزيدنا يقينا أن هذه الحركة الطرقية انبثقت لأول مرة من الجنوب فمنها رباط تامسطت من أعمال مراكش (التشوف مخطوط رباطي ص 75) وذكر فيه أيضا باسم تاسمطت (ص 84) وتاسماط (ص 112) ولعل هذا الأخير أرجح ورباط تانوما ظهير (كذا) من دكالة (ص 107) واوجدام من ركونة (ص 108)ورابطة الغار خارج باب اغمات (ص 154 و171) و يمسين بأزمور (ص 216) ورباط عين الفطر بساحل أزمور ويقال له رباط تيط (الممتع ص 113) وهو رباط أولاد أمغار الصنهاجيين ورباط ماسة من قبائل المصامدة (الممتع ص 30) ولم تتخلف عن هذه الأسماء البربرية إلا رابطة زرهون التي أقيمت حول الضريح الإدريسي ثم تتابع بناء الزوايا والرباطات فأسس رباط حول ضريح أبي محمد صالح وازدهرت حول الضريح مدينة أسفي وهذا هو ما وقع قبل ذلك لزاوية أبي النور المشترائي وتلميذه أبي شعيب أيوب ابن سعيد بأزمور ولعل من أول زوايا المدن زاوية صالح ابن حرزهم بفاس وهو تلميذ الغزالي.

الصوفية الشعراء(*)

كان أهم موضوع اهتم به شعراء الصوفية ونظموا فيه المديح النبوي منذ عهد بني مرين ففي أعياد المولد النبوي كان الشعراء يتبارون أمام أحمد المنصور وولي عهده بعد إنشاد المديح النبوي فيتقدمون على التوالي وفي طليعتهم المفتي أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشد قصيدته يتلوه الوزير علي بن منصور الشيظمي ثم الكاتب عبد العزيز الفشتالي ثم الكاتب محمد بن علي الفشتالي ثم الأديب محمد بن علي الهوزالي النابغة ثم علي بن أحمد المسفيوي فإذا انقطعت أيام المولد الشريف برزت صلات الشعراء على أقدارهم (الاستقصا ج 3 ص 76 نقلا عن مناهل الصفا).

وذكر الحسن بن محمد الوزان وهو الأسد الإفريقي (في كتابه الذي نشره شيفر Schefer ج 2 ص 131) أن شعراء فاس كانوا يجتمعون في العصر المريني سنويا بمناسبة المولد النبوي لنظم الشعر كل صباح في ساحة «رئيس القناصلة» حيث يصعدون منصة لتلاوة قصائدهم أمام الجمهور فيختار أحسنهم شعرا أميرا للشعراء في تلك السنة وكان ملوك بني مرين يقيمون مأدبة للشعراء في مدح الرسول عليه السلام بحضرة السلطان وتقام منصة ويحكم الحاضرون حيث تمنح خلعة لأحسن شاعر وهي مائة دينار وفرس وأمة مع خمسين دينارا للباقين وتوقفت هذه العادة منذ مائة وثلاثين سنة (أي بالنسبة للقرن العاشر الهجري).

- **إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود** أنشد يعقوب المنصور :

أزال حجابه عني وعيني   تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن   بعدت مهابة عند اقترابي

وأهل (كانم) أي برنو المجاورة شرفا وهم بنو عم (تكرور) كان لهم مع بني مرين مواصلة ومهاداة ومنهم الشيخ العارف عبد الله البرونى المغربي شيخ سيدي عبد العزيز الدباغ (الاستقصا ج 3 ص49).

(*) (راجع كتابنا «الشعر والشعراء بالمغرب» وهو تحت الطبع).

- **ابن إدريس محمد بن محمد العمراوي** الفاسي بلحاج الزموري (1264 هـ / 1847 م) (السلوة ج 1 ص 86 وج 2 ص 362).

له : 1) قصيدة (من 46 بيتا) يمدح شفاء (عياض) مطلعها:

بحكم الحب قلب الصب راض فلست تراه يوما ذا اعتراض

(خع 158 د)

2) قصيدة في مدح سبعة رجال (31 بيتا) مطلعها :

عز الفتى ذله بباب مولاه ويسره فقره لمن تولاه

(خع 158 د)

- **ابن بابا بن أحمد بيب بن عثمان الشنجيطي** صاحب (منية المريد) المتوفى بالمدينة المنورة عام (1260 هـ 1844 م).

له ملحمة مطولة حول الطريقة التجانية ترجمها سيدي العربي ابن السائح (1309 هـ / 1892 م) في (بغية المستفيد) طبعة القاهرة 1304هـ / 1886).

- **ابن البنا أحمد بن محمد بن يوسف التجيبى** صاحب (المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية) (منظومة في 473 بيتا أولها).

باسم الإلاه في الأمور أبدأ إذ هو غاية لها ومبدأ

(وهو غير ابن البنا أبي بكر السبتي شاعر بني عبد المومن المتوفى سبتة عام 646 هـ) (النفح ج 4 ص 396).

- **ابن جابر محمد بن يحيى الغساني المكناسي** (827 هـ/ 1424م) (الجذوة ص 200)

له : 1) منظومة في تعبير الرؤيا (خمس نسخ في خم (174 - 790 الخ)

2) نظم حلية الأوليا لأبي نعيم (خع 1921 د) / خم 9863).

- **ابن جزي محمد بن أحمد بن محمد** بن عبد الله الكلبى قتل عام (741 هـ / 1340م) في وقعة طريف (السلوة ج 3 ص 222 / النفح ج 8 ص 28 / ج 3 ص 270) (الطبعة الأزهرية). له قصيدة في المديح النبوي (خم 6992).

- **ابن الحاج حمدون بن عبد الرحمن الفاسي** (1232 هـ / 1817 م) (السلوة ج 3 ص 4)

له : 1) منظومة في السير على نهج البردة للبوصيرى (4000 بيت) شرحها في خمسة أسفار مع معارضة الهمزية.

2) أرجورة في نظم الحكم العطائية.

3) ديوان في مديح بعض علماء فاس منهم الشيخ سيدي أحمد التيجاني.

ولولده محمد بن حمدون بن الحاج (1274 هـ / 1857 م) (نظم الدرر واللآل من شرفاء عقبة ابن صوال) (خع - خس) وقصائد في المديح النبوي.

- **ابن حجاج محمد بن أحمد بن عيسى اللخمي** له (نظم الدرر السنية في معجزات سيد البرية) (خم 4721).

- **ابن الخطيب السلماني** مدح حفيد أبي محمد صالح دفين أسفي وهو أحمد بن يوسف (نفاضة الجراب) بقوله :

يا حفيد الولي يا وارث الفخر الذي نال في مقام وحال
لك يا أحمد ابن يوسف جبنا كل فطر يعيي أكف الرحال

- **ابن داني محمد** (فتى) بن أحمد المراكشي الندرومى (1331هـ / 1912 م) له (ديوان في الأمداح النبوية وأمداح الصالحين كابن العريف ولالة عزيزة السكساوية.

- **ابن زاكور أبو الفضل عبد الكريم** بن عبد السلام قائد تطوان له :

1) (السراج الوهاج بمدح صاحب التاج والمعراج) (ديوان في ثلاثة أسفار يوجد الجزء الأول في خع 1830 / والجزء الثالث في مكتبة محمد داود / ونسخة في خم 5940 / (المكتبة الوطنية بتونس 225م).

2) (لوائح الأنوار في مدح الصلاة على النبي المختار) (الجزآن الأول والثاني في خم 2356).

3) قصائد في مدح مولاي عبد السلام بن مشيش والمعطي بن صالح الشرقي وأولياء تطوان.

- **ابن زكري محمد بن عبد الرحمن الفاسي** (1144 هـ / 1731) (نشر المثانى ج 2 ص 140 / السلوة ج 1 ص 158) له :

1) قصيدة عارض بها همزية البوصيري (511 بيتا) مطلعها :

ربنا منك للحبيب جزاء تقتضيه الأرواح والأجزاء

(طبعت بفاس في (32 ص) (نسختان في (خع 1071 د / 492 د / ست نسخ في خم (8444-766) وهنالك همزية أخرى (300 بيت) شرحها محمد بن المكي السنتيسي المكناسي (1333 هـ / 1915) سماها «هداية المنهاج في شرح كفاية المحتاج «نسخة في مجلدين بالخزانة الزيدانية بمكناس (عدد 227).

- **ابن زيدان عبد الرحمن** نقيب الأشراف العلويين (1365 هـ/ 1945)

(تاريخ تطوان لداود ج 4 ص 42 / (فواصل الجمان لمحمد المفضل غريط / بركلمان ج 2 ص 891) له : (بغية المستهام في مدح خير الأنام) عارض فيها بردة الإمام البوصيري (طبعت بفاس عام 1326هـ/ 1908م).

شرحها محمد بن أحمد العلوي قاضي فاس في مجلدين (نسخة بالخزانة الزيدانية بمكناس).

- ابن سودة - المعروف بالنحول - محمد بن محمد بن علال (1285 هـ / 1868 م)

له : «منظومة في الطريق الصوفية» في 100 بيت (خس).

- **ابن الصيرفي محمد بن القاسم** بن عمر بن عبد الله المراكشي

(الاعلام للمراكشي ج 4 ص 40) (عن نفاضة الجراب لابن الخطيب) اختص بنظم المولديات.

- ابن الطيب عبد السلام القادري (1110 هـ / 1689) (السلوة ج 2 ص 348 / النشر ج 2 ص 162).

لـــه :

1) (مناهل اللهفان إلى أسانيد أولى العرفان) (خع 1235 د) وهي منظومة في (617 بيتا) ذكر فيها شيوخ شيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن عن شيخه القاسم الخصاصي ومن لقيه من طرق الجزولي و الشاذلي وزروق وأبي مدين والجنيد والحسن البصري).

2) (أرجوزة في نسب القادريين وشجرتهم) (خع 1630 د).

3) (نيل الآمال في زيارة أشرف نعال) وهو نظم ذكر فيها زيارته للنعال النبوية التي بفاس عند الشرفاء الصقليين والطاهريين وعند الشيخ محمد بنسودة المرى (وقد زرتها جميعها).

4) (تحفة النبيه بنسب بني طاهر وبني الشبيه) (160 بيتا) (الخزانة الفاسية بفاس).

- **ابن عربي الحاتمي محمد بن علي** (638 هـ) له :

1) (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق)

2) منظومة في علم الحروف منسوبة له عليها شرح لبعض المشارقة (خع 2053 د).

وله أيضا أبيات منتشرة في في مصنفاته

- **ابن فتوح أحمد التازي**

لـه : (مقصورة في شيخ أبي الجعد محمد (فتى) لشرقاوي وأبي عبيد وابن المعطى نقل عنها صاحب الفتح الذهبي (د. م. 773) وله مقصورة أخري في نسب أبي القاسم بن محمد الزعري.

- ابن مرزوق الكفيف محمد بن محمد (901 هـ / 1496)

(النفح ج 7 ص 339) / ابن خلدون ج 6 ص 302) له (قصيدة في التوسل)

يوجد في (خم 6854)تخميس لها لمحمد بن الطيب الوانوغي الشريف.

- ابن ناصر محمد المكي بن موسى الدرعي (1158 هـ / 1738)

(طلعة المشتري للناصري (ج 2 ص 149)

له (البرق الماطر في شرح النسيم العاطر)

وهي قصيدة في مدح سيدي أحمد بن ناصر (خع 1864 د)

- ابن هاشم الكبير الكتاني :

له (زهرة الآس في بيوتات فاس) من غير الأشراف (600 بيت في ثلاثة أسفار (د.م:346).

- ابن وديعة المختار

له قصيدتان في مدح الشيخ سيدي أحمد التيجاني

الأولى في 23 بيتا مطلعها :

إنــي بـــختــم الأوليـا الربـانـي مـتـوسـل لإلـــهـنـا الـرحـمــــــن

الثانية في 23 بيتا أيضا مطلعها :

طلعت نجوم سعود أهل الطريقة أصحابها من خير صفو البرية

خع = 1071 د

- ابن وفا الشاذلي الاسكندري أبو الفتح محمد بن محمد (المغربي الأصل)لـه :

1) الغوثية

(خع = 2150 = د) (م = 509-510)

2) قصيدة دالية في التصوف خع 2257 د (م = 646 - 647)

- **ابن الونان أحمد بن محمد التواتي** (1187 هـ/1773)

له منظومة في الشرفاء القادريين (د.م 1855) ويوجد مثلها لكل من أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ومحمد الطيب بن مسعود المريني

- أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني الفاسي الرباطي (1284هـ/1867)

له قصائد منها قصيدته المسماة (هدية المريد) مطلعها :

حقيقة جمعي في افتراقي وهمتي تمد جميع الكون في الطي والنشر

وقصيدة أخرى لامية تسمى (الجوهرة في مدح من جاء بالحق وشهره):

قدت فؤادي ذات الحلي والحلل وتيمتني ببعد الربع والطلل

(الاغتباط لابى جندار ص 263)

- **أبو بكر بن جزى** أنشد في بعض ما أنشأه أبو عنان المريني من زوايا) عام 754هـ):

هذا محل الفضل والإيثـــار والرفق بالسكـــان والزوار

دار على الإحسان شيدت والتقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي ملجأ للواردين ومـــورد لابن السبيل وكل ركب شارى

- **أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي** له قصيدة زجلية ضد بدع قبيلته (مختصر مقنع المحتاج لابن عرضون ص 26) وله أيضا رسالة مخطوطة (المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب) حول بدع المتصوفة أمثال الطائفة اليوسفية.

- **أبو سالم العياشي عبد الله بن محمد** (1090 هـ/1679م) (الصفوة ص 191/النشر ج 2 ص 45)/ محاضرات اليوسى ص 76 و150) له :

1) (تخميس البردة)(خع 2155 د)

2) وسيلة الغريق في أئمة الطريق) نظم في التوسل بأشياخه (300 بيت) (الخزانة الأحمدية السودية بفاس)

3) مجموعة ن الأمداح النبوية (42 قصيدة توجد نسخة بالزاوية الحمزاوية (106-226)

4) استغاثة بأهل بدر (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس (18042)

5) معارج الوصول إلى أصول أول الأصول (133 بيتا) في أصول الطريقة لأحمد زروق شرحها محمد بن قاسم جسوس (خم 827 2)

- **أبو علي بن أبي سعيد عثمان المريني** ولاه والده على سجلماسة فظل فيها (19 سنة) وكان أديبا فاستقدم من سبتة الصوفي الكبير عبد المهيمن الحضرمي ومن شعره يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره لسجلماسة :

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم ... أباد من كان قبلي يا أبا الحسن

الدهر ما كان لا يبقى على صفة ... لابد من فرح فيه ومن حزن

أين الملوك التي كانت تهابهم ... أسد العرين ثووا في اللحد والكفن

بعد الأسرة والتيجان قد محيت ... رسومها وعفت من كل ذي حسن

(راجع بقيتها في الاستقصا ج 2 ص 58)

- **أبو علي اليوسي** (1102 هـ/1590) له :

1) قصيدة دالية مع شرحها في مدح الشيخ محمد بن ناصر الدرعي (500 بيت) عارض بها دالية البوصيري في الإمام الشاذلي مطلعها :

عرج بمنعرج الهضاب الورد ... بين اللعاب وبين ذات الأرمد

(سبع نسخ في خم من 5125 إلى 9558)

2) منظومة في التوسل (خم 916) تسمى (السيف الصارم في قطع حبل الظالم)

3) رائية في أهل الدلاء (100 بيت) مطلعها :

أكلف جفن العين أن ينشر الدرا فيابي ويعتاض العقيق بها جمرا

(الاستقصا ج 4 ص 18)

4) ديوان في الأمداح النبوية (خم 1003)

ـ **أبو عنان المريني** بنى عدة زوايا وأنشد له صاحب (الجذوة) أشعارا في الحكمة منها :

وإذا تصدر للرياسة خامل جرت الأمور على الطريق الأعوج

وأنشد يوما وقد دخل عليه رجل يتصلح بقصره بمدينة البيضاء (بفاس) :

تراهم في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداعا

(الاستقصا ج 2 ص 101)

ـ **أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس** بن أبي سالم المريني) وقد ولي الأمر بعد أبيه عام (796 هـ) وعصر هذا السلطان هو آخر ما دونه ابن خلدون) قوله يشكر الله لنزول المطر :

الله يلطف بالعباد فواجب فهو الذي فيهم ينزل غيثه

أن يشكروا في كل حال نعمته من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

(الاستقصا ج 2 ص 142)

ـ **أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني** (المتوفى عام 774 هـ) وعمره أربع وعشرون سنة (وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برسمه وحلى ديباجته باسمه) وفد أفراد (ابن الأحمر في (نثير الجمان) تذييلا لبيتي والده أبي الحسن وهما :

أرضي الله في سروجهر وأحمي العرض من دنس ارتياب

وأعطي الوفر من مالي اختيارا وأضرب بالسيوف طلى الرقاب

فقال :

وأرغب خالقي في العفو عني ... وأطلب حلمه يوم الحساب

وأرجو عونه في عز نصر ... على الأعداء محروس الجناب

وعبدك واقف بالباب فارحم ... عبيدا خائفا ألم العقاب

(الاستقصا ج 2 ص 132)

ـ **أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي** أنشد بمناسبة عيد المولد النبوي في حفل بهيج بمحضر المنصور السعدي قصيدة نبوية من (111) بيتا مطلعها :

هم سلبوني الصبر والصبر من شأني ... وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني

وهم أخفروا من مهجتي ذمم الهوى ... فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني

(الاستقصا ج 3 ص 79)

ـ **ابو القاسم بن علي الشاطبي** القاضي أنشد قصيدة بمناسبة المولد النبوي بين يدي المنصور السعدي مطلعها :

ما بال طيفك لا يزور لماما ... وبمنحنى الأحشا ضربت خياما

(وهي قصيدة من (37) بيتا نشرت كاملة في (الاستقصا ج 3 ص 78)

ـ أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم الهروي الزمراني دفين الصومعة بتادلا (1013هـ/1604) له :

1) رجز على الحكم العطائية سماه (نتائج الأفكار) ينيف على ألف بيت

2) رجز آخر سماه (وسيلة الصديق يصل به لكعبة التحقيق)

3) أرجوزه (مفتاح السعادة) على بيان المقامات العشر التي ذيلها واختصرها ابن العريف وهي تنيف على ألف بيت.

4) رجز حول من لقيه من «العلماء الأعلام وأرباب التصوف أهل المقام»

5) رجز سماه (نصيحة الضعيف الراغب في ذروة المنيف)

ـ **أحمد بن صالح الدرعي** له : (عقود النجوى في التحذير من أهل البدع والدعوى) (منظومة في 107) بيت (خع 1444 د)

ـ أحمد بن الطاهر بنجلون (1234 هـ)

له قصائد ملحونة وموزونة في مدح مكة منها :

مكة مولاتي الباهيا ما طيبها بنسيم
جاد على الجليل جتها مع زوار لحسبها غير مزار
عاد اللي شافها طول الدهر سقيم

(الاغتباط لأبي جندار ص 37)

وله أيضا من الموزون :

خليلي ما بال الفؤاد مكلم وعقلك حيران وهو متيم
فإن كان من فرط الصبانة والهوى فإن قتيل الحب لا شك يرحم

ـ **أحمد بن الطيب السفياني الفاسي** (1286هـ) له من شعره الموزون :

يا بديع الحسن روحي فداك إنني شائق لسحن بهاك
ذاب جسمي يا مالك العقل مني فغدا العقل لا يروم سواك

ـ **أحمد بن عبد الحي الحلبي** الشافعي الفاسي : (1120هـ/1708) (السلوة ج 2 ص 164/ النشر ج 2 ص 185)

له : 1) ديوان مبتور الطرفين (خم 6934) وهو مجلد ضخم بخزانة محمد إبراهيم الكتاني (بخط المؤلف)

2) مقصورة في المديح النبوي (خم 4030) فهل هي المسماة «عرائس الأفكار في مدائح المختار» (خم 5777)

3) (روضة الأزهار في مدح الفضلاء الأخيار) (خم 118)

4) (الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية) (خع 364 د/347 د)

- **أحمد الشيخ بن عبد العزيز** بن الرشيد السجلماسي (1175هـ/1761م)

(النشر ج 2 ص 273 / شجرة النور ص 355)

له : 1) قصيدة في التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى (36 بيتا) (خع 157 د/1608 د)

شرحها محمد الحبيب في رسالة (القبس الأسنى في بيان طرف من معاني نظم أسماء الله الحسنى)

2) قصيدة في النصائح (مواعظ وحكم لمن يريد الآخرة (129 بيتا) (خع : 157 د)

طبعت بفاس دون تاريخ

- **أحمد بن عبد القادر** بن محمد بن مبارك الزعري التستاوتي (1129هـ/1716) له :

1) تائية في مناقب مولاي عبد القادر الجيلاني مطلعها :

أقول لمن أعيا الطبيب علاجه وقد مل من شرب الدواء لعلة

(خع 1302د/1240د)

2) نظم كتاب (التشوف إلى رجال التصوف) (173 بيتا) (خع 1302 د)

3) نظم ممتع الأسماع) مع شرحه (152 بيتا) صار (400) بيت بإضافة أشياخه (خع 1302 د)

وقد نظمه أيضا التهامي بن محمد الفاروقي الأسفي (1195 هـ/ 1780) مع زيادات (الاتحاف لابن زيدان)

وقد جمع ديوانه أحمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان الحافي السلاوي

ـ **أحمد بن العياشي سكيرج** قاضي سطات (1363هـ/1943) له :

1) (النفحات الربانية في الأمداح التجانية) طبع بفاس (1333 هـ/1915)

2) (ضوء الظلام في مدح خير الأنام) طبع مرتين بفاس (1327 هـ) (16 ص)

3) (الوردة في تخميس البردة) طبع مرتين بفاس

4) (السحر الحلال في مدح سيد الرجال) طبع بفاس (16 ص) ـ أحمد بن عجيبة الأنجرى (1224 هـ/1809)

1) قصيدة في اسم الله المفرد وما فيه من الأسرار (خع 1994 د) (مجموع = 219-226)

2) قصيدة في المحبة (36 بيتا) (خع 1508د)

ـ **أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني** (أخو محمد الوزير سفير مولاي إسماعيل في إسبانيا) (1146 هـ/1733)

(النشر ج 2 ص 236 / السلوة ج 2 ص 299) شجرة النور (ص 336) وهو صاحب المقباس في محاسن أبي العباس (أحمد بن عبد الله معن)

له : 1) منظومة في الشرفاء القادرين

2) مقصورة المناقب (200 بيت)

له شرح عليها سماه : «تحفة الطالب بشرح مقصوره المناقب» في سفرين بخزانة الشيخ العربي بن أحمد الحريشي بفاس بخط المؤلف.

ـ **أحمد بن علي أو كاشط التناني الكاشطي** (1376هـ/1956)

له : 1) ديوان في مدح الرسول عليه السلام والشيخ سيدي أحمد التيجاني

2) قصيدة في جهاد (حاحة) ضد الاستعمار الفرنسي (المعسول ج 15 ص 90)

ـ **أحمد بن القاضي تلميذ الشيخ محمد** بن أبي بكر الدلائي له:

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فمالك بعد الشيب أصبحت صابيا

فأجابه الدلائي :

نعم لاح برق الحسن فاختطف الحشا فلبيته من بعد ما كنت آبيا

ولأحمد بلقاضي التلمساني علامة رباط الفتح وشاعره المتوفى في حدود (1180هـ) صاحب الزاوية بجوار الجامع الأعظم بالرباط في المديح :

ما بال قلبي يهيم وجدا وقد جرى الدمع بانسجام

هل أومض البرق من حنين أم هب ريح من ذي سلام

همت جفوني لذكر حبي فزاد قلبي أسى وهام

ـ **أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف** الشريشي السلاوي (641هـ/1243م) (أو 643هـ) له قصيدة في السلوك سماها :«أنوار السرائر وسرائر الأنوار»(139 بيتا)خع 1617د (م: 18-19) مع أربع نسخ أخرى: 277 د/984 د/1204 د/1419 د)

ـ **أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى** المقري التلمساني نزيل فاس والقاهرة حيث توفي (1041هـ/ 1632)

له : 1) قصيدة في المديح النبوي (خع 2173 د)

2) إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة (القاهرة 288,303 /حم 7193/خع 1857

3) زهرة الكمامة في العمامة (305 بيت) (خع 984)

ـ **أحمد حبيب** (بالتصغير) بن محمد بن علي الرندي الفاسي تلميذ الشيخ رضوان الجنوى وأبي المحاسن الفاسي توفي عام (1013 هـ/ 1605م) (الصفوة ص 79 /السلوة ج 2 ص 365 / النشر ج 1 ص 117) له :

1) أرجوزتان في شكر النعم

2) لامية في التصوف

ـ **أحمد بن محمد الأمين** بن الفاضل الرداني الفاسي (كان حيا علم 1271 هـ) له (الإعلام بوفيات العلماء الأعلام) ذكر أنه اقتبسه من الديباج والنيل والكفاية مرتبا على الحروف في (1000 بيت) ومن هؤلاء الأعلام الشيخ سيدي أحمد التجاني (خع 505)

ـ **أحمد بن محمد** (فتحا) بن ناصر (1129 هـ/1717) له مناسك الحج (100 بيتا)

ـ **أحمد بن محمد الزبدي الرباطي** (1380هـ/1961) له :

1) قصيدة في المديح النبوي مطلعها :

هب النسيم وفاحت الأزهار فتأرجت بأريجها الأقطار

والروض حركه الصبا فتمايلت أشجاره طربا وفاح عرار

وقال في مدح الشريف سيدي عبد الكريم الوزاني :

إلى الشريف الزكي الوجيه تاج العلا اللوذ عي النزيه

سلالة الأقطاب أهل وازان من قدرهم للمجد والعلا زان

ـ **أحمد بن محمد الرشيدي المكناسي** (1319هـ/1902) (الإعلام للمراكشي ج 2 ص 265)

له قصائد نبوية وأخرى كتانية ومرثية في شيخه أبي عبد الله بن مولاي التهامي الوزاني ويوجد أحمد الحبيب بن محمد الرشيدي اليعقوبي له قصيدة في مدح القطب أبي يوسف يعقوب الوامغاري الحسني (110 بيت) (خع 1103 د)

مطلعها :

زارتك تختال بين القضب والسمر فافرش لها العين واغنم لذة السمر

ـ **أحمد العروسي** تلميذ سيدي رحال البدالي (949 هـ/1543) له رباعيت كرباعيات عبد الرحمان المجذوب.

ـ **أحمد المنصور السعدي** له ديوان جمع فيه شعراء أهل البيت أتى فيه على أزيد من ألف ترجمة مع شعره هو (كشف الظنون ج 1 ص 400)

وقد أشار (الشهاب) في (الخبايا) إلى هذا الديوان كما ذكر الزياني أنه وقف عليه وأنه رغم ذكره ألف شاعر من أهل البيت فإنه لم يستوفهم.

– **إدريس بن علي الحنش السناني** (1319 هـ/1901)

له : 1) غزليات سماها (الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح) (مجلد في خس)

2) قصائد موزونة وملحونة في المديح (الإعلام للمراكشي ج 3 ص 42 ط. الرباط) وله نفس صوفي كما يدل عليه مصنفه (نزهة الأعيان وتبصرة الإخوان في التصوف وما غفل عنه فقراء الزمان وكذلك «الشهاب الكاوى لأهل التمشدق والدعاوى»

ـ **إدريس بن الوزير محمد بن إدريس** له قصيدة في الملحون خمس بها أبيات سيدي علي بن وفا :

أحبتي طالت العهود رقاد المضني بكم عميد

ليس على ذا الجهاز مزيد عيدوا إلى الوصال عيدو

فإن وجدي بكم جديد

أقسم بالسبع المثاني ما بفؤادي سواكم ثاني

فحركوا رنة المثاني وقربوا الوصل والتداني

فالقرب للعاشقين عيد

(الاغتباط ص 276)

ـ **ام النساء بنت عبد المومن** التاجر الفاسية شاعرة مغربية عاصرت الشيخ محيي

الدين ابن عربي الحاتمي ومن شعرها :

جاء البشير بوعد كان ينتظر   فأصبح الحق ما في صفوه كدر

من خيرها رغدا بالهدى يا مرنا   وفي أوامره التسديد والنظر

(مشاهير النساء لمحمد ذهني)

- **التهامي بن عبد الله بن محمد** بن الحسن بن مولاي التهامي الوزاني (1339 هـ) له قصائد في الملحون كلها حقائق غامضة

- التهامي بن عبد الله العلوي (1210هـ/1795) له (أرجوزة في النسبة العلوية وفروع العلويين وأصولهم) (400 بيت) (خم 4777) (مكتبة محمد بن المامون البدراوي بفاس)

- **التهامي بن علي بن عبد الله البطاوري** (1325هـ/1907) (توفي بطنجة) وهو جد أبي حامد البطاوري قاضي الرباط له شعر في المديح النبوي منه :

بمدح رسول الله كن متمسكا   تنال به قربا وعزا ومنصبا

فيا منشدا ردد مديح محمد   وعلل به قلب الشجي ومن صبا

(الاغتباط ص 445 - الطبعة الجديدة)

- **التهامي بن محمد الفاروقي الأسفي** (1195 هـ/1780)نظم (ممتع الأسماع) وزاد عليه كما نظمه أحمد بن عبد القادر التستاوي في أربعمائة بيت وأضاف إليه أشياخه

- **التهامي بن المهدي المزوار** (1310هـ/1892) له قصيدة في المولد النبوي مطلعها :

هاذى السعادة قد مدت إليك يدا   والوصل أنجز عزما ما به وعدا

(الاتحاف لابن زيدان ج 2 ص 94)

- **الحراق محمد بن محمد** (راجع محمد)

- **الحسن بن مسعود اليوسي** (راجع أبو علي)

- **رضوان بن عبد الله الجنوي** (991هـ/1583) (الجذوة ص 153) ممتع الأسماء ص 86/ الصفوة ص 6/ النشر ج 1 ص 65) السلوة ج 2 ص 255)

له :1) قصيدة في المدح النبوي (خم 5779)

2) نظم الحلية لأبي نعيم

- **سارة بنت أحمد بن عثمان** بن الصلاح الحلبية الفاسية أستاذة شاعرة وطبيبة ماهرة وصوفية (توفيت بين 656 هـ/ و685 هـ بمراكش وهي شامية وفدت على المستنصر الحفصي ومدحته بقصيدة وكذلك أبي يوسف بن عبد الحق المريني

- **سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي** دفين (الرتب) قرب سجلماسة (1088 هـ/ 1677) له القصيدة العقيقية (302 بيت) من الشعر الملحون في المدح النبوي (خع 1656) طبعت بالجزائر مع ترجمتها الفرنسية شرحها أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي دفين معسكر في (الآداب الرقيقة في شرح العقيقة) (تعريف الخلف برجال السلف (ج 2 ص 332) للحفناوي.

- **سليمان بن محمد المرتضى** بن محمد الكبير بن إدريس العمراني المراكشي (1329هـ/ 1911) له قصائد موزونة وملحونة في التصوف

- **سليمان بن الحاج الملوكي** الزجلي له قصيدة في بدع قبيلته (حسب ابن عرضون في (مختصر مقنع المحتاج)

- **الصغير بن محمد الأخضري** له (الأرجوزة القدسية) في التصوف السني والتحذير من البدع وهو تلميذ الشيخ زروق.

- **الطالب بن العربي اللبار** أورد في كناشته قصيدة مدح بها الشيخ سيدي أحمد التيجاني جاء فيها :

باجيرة سكنوا البطحاء وانتصروا   في حيها وعلى المحامد اقتصروا

(راجع نصها كاملا في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 342) مع قصائد أخرى.

ـ **عبد الحفيظ** سلطان المغرب بن المولى الحسن الأول له :

1) (نفائح الأزهار في أطايب الأشعار) في مدح الرسول عليه السلام طبعت بالمطبعة العلمية بالمدينة المنورة عام (1331 هـ/1913) (13ص)

2) قصيدة في مدح الشيخ سيدي أحمد التجاني مطلعها :

فإني وإن كنت المسيء الذي عصى   وحارب جهرا ها أنا اليوم طائع

ـ **عبد الرحمان أمزيل الحداد** المستغفر السوسي دفين (إنزكان) توفي بعد (1990) له قصائد في التوسل ومدح الشيخ سيدي أحمد التجاني (المعسول ج 8 ص 255)

ـ **عبد الرحمان بن خلدون** شهاب الدين المراكشي له (نظم لزيرجة الشحرور في أظهار الأمور)لأبي العباس السبتي

ـ **عبد الرحمان بم مسعود** انتقى (من قبيلة انتقه بأقصى سوس) كان ينظم الكلام باللسان السوسي كما كان سيدي عبد الرحمان المجذوب (تاريخ الضعيف ص 89)

ـ عبد الرحمان بن الخطيب عبد الله بن أحمد السهيلي المراكشي صاحب (الروض الأنف) (581 هـ) له :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع   أنت المعد لكل ما يتوقـــــع

يا من يرجى للشدائد كلـــــها   يا من إليه المشتكى والمفزع

(وسهيل قرية قرب مالقة)

ـ **عبد الرحمان بن زيدان** له قصائد عديدة في التصوف والمديح ومعظمها منشور في كتبه مثل الإتحاف

ـ **عبد العزيز المغراوي** الملقب (شجرة الكلام) له قصائد في المعراج (خح 860ـ 6441)

ـ **عبد العزيز بن محمد** بن إبراهيم الفشتالي (1031 هـ/1621) له (المولديات)نقشت بها كتابات (قصر البديع) بمراكش مع وصف حفلات الشموع في المولد النبوي.

(نـزهة الحـادي ص 164) نفـح الطيـب ج 3 ص 10 طبعة القاهرة/ نشر المثاني ج 1 ص 140)

ـ **عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي** حاتمي المغرب

له : 1) نظم كثير في علم القوم

2) تخميس لم يكمل على عينية الجيلي (السلوة ج 1 ص 336)

ـ **عـبد القـادر بن محـمد بـن أحمـــد العـلمي** المعـروف بسـيدي قـدور العلـــمي (1266 هـ/ 1849)

ألف فيه محمد بن الهادي غريط

له (قصائد في الملحون) خع 2067 هـ (مجموع 11)/ خم 6972-7313) منها (القصيدة الإدريسية) في الملحون خع 1504 د مطلعها :

حق الله الحمـد علـى نـعمة الإسـلام فـاز بـهـا مـن استـوفـى مـن أولاد آدم

(وقصيدة باسم (ذايل الأعيان)

ـ **عبد القادر بن محمد بن عبد القادر** بنسودة المولود عام (1301هـ)

نظم في المولد النبوي (الفيوضات الوهبية في مولد خير البريـة) طبـع علـى الحجر وعلى الحروف بفاس)

ـ **عبد القادر لبريس** (1332هـ)

له مساجلات مع فطاحل الأدب والشعر برباط الفتح درس على أبي المواهب سيدي العربي بن السائح له ديوانان جمع فيهما قصائده مرتبة على الحروف منها قصيدة يتـغزل بالكعبة (60 بيتا) منها:

يـاربـة الخـال مـن بـالـصـد أفـتــــاك وبالتجني على المحبوب أوصاك؟

وقصيدة موازية لباتت سعاد (70 بيتا) مطلعها :

زرت عليها من البها إكليـــــل وفي محاجرها للغنج تذييـــــل
هيفاء تهزأ بالغصن الرطيب لها من الدلال استعارة وتخييـــــل

وأخرى مطلعها :

أسقيط الطل فوق النرجـــس أم حباب بشفاه الأكـــــؤس؟

وهي أزيد من أربعين بيتا (الاغتباط ص 403)

ـ **عبد القادر الغنيمي** السلاوي (1353هـ/1934)

له ديوان مخطوط في المديح النبوي منه قوله :

ألا ليت شعري أي نوع يسرني نرى فيه أمداحي وفيك تغـــزلي
ففيك يحق المدح أجمع والثنـــا وكيف وأنت المصطفى خير مرسل؟

ـ **عبد الكريم بن عبد السلام** بنزاكور (راجع بنزاكور)

ـ **عبد الله بن أبي الحسن** بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي (1045 هـ أو 1044هـ/1635) (النشر ج 1 ص 165)

له ديوان في الأمداح النبوية (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 288)

ـ **عبد الله بن عبد الرزاق** بن عبد العظيم العثماني المكناسي مؤدب الصبيان (1027هـ/1618) له (منظومة في الشهداء) (48 بيتا) خع 157د)

(السلوة ج 2 ص 329 / النشر ج / ص 132)

ـ **عبد الله بن عزوز العباسي** الرحماني السوسي الصوفي (يعرف ببلا أوبل) (1204هـ/1789) له (قصيدة في التصوف) (خع 6844)

- **عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي** (راجع أبو سالم)

ـ **عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي** له (أنيسة المساكن بذكر أولاد الشيخ أبي المحاسن) (150 بيتا) (الخزانة الفاسية بفاس)

ـ **عبد الله بن المجاهد محمد العياشي**

قال في بعض زياراته لأبيه بضريحه قرب زاوية أبي الشتاء الخمار :

أتينا إليك وأنفسنا ... تكاد من الخوف منك تذوب

ولم ندر أي هواك الذي ... نحب فتحنو إليك القلوب

أقمنا فخفنا وجئنا فخفنا ... فمن خوفنا قد دهتنا الخطوب

فها نحن من خوفنا منك حبرا ... وها نحن من خوفنا منك شيب

ـ **عبد الله الكامل** بن محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوي (1321هـ/1903م) أخذ عن سيدي العربي ابن السائح بالرباط وشارك في قراءة الصحيح مع (الحضرة الشريفة) بمراكش رثاه سيدي أحمد البلغيثي بقصيدة مطلعها :

حكم المنية في البرية جار ... تقدير رب نافذ الأقدار

ـ **مولاي عبد المالك الضرير العلوي** العالم العارف له قصيدة في المديح النبوي مطلعها :

من أخلاقك الحسنى إغاثة لهفان ... وصفح إذا مدت إليك يد الجاني

(راجع نصها في كشف الحجاب ص 235)

ـ **عبد الهادي بن عمر بن عبد الهادي** كان حيا عام (1314هـ/1896) له (هدية المحتاج) ذكر فيه عددا من أولياء وملوك المغرب (300 بيت)

ـ **عبد الواحد بن أحمد** بن محمد العلوي مفتي مراكش (1003 هـ/1595) له قصيدة في المولد النبوي ألقاها في مجلس المنصور السعدي (22 بيتا) مطلعها :

أرقت وشاقتني البروق اللوامع ... وذكرى خليط هيجتها المرابع

مرابع عفتها الرواسي والسما ... تراق من الأشواق فيها المدامع

(الاستقصا ج 3 ص 78)

ـ **عبد الواحد بن عاشر** له قصيدة يمدح فيها المجاهد محمدا بن أحمد العياشي منها:

باحاذي الركبان في الرياشي أبلغ سلامي فخرنا العياشي

(راجعها في الاستقصا ج 3 ص 138)

وقد مدحه أيضا أحمد الدغوغي في قصيدة ذكرت في (النزهة)

ـ **عبد الواحد بن محمد ابن المواز** قاضي مراكش (1318هـ/1900) له (قصيدة في المدح النبوي) ذكرها ابن الحاج في المولد (راجع نصها في الإعلام للمراكشي ج 8 ص 533 ـ ط ـ الرباط)

ـ **عبد الوارث بن محمد** بن أحمد بن عبد الوارث اليصلوتي (السلوة ج 1 ص 222/ دوحة الناشر ص 5)

له : 1) قصيدة في التصوف (مكتبة تطوان 274/244)

2) قصيدة في الذكر من الملحون (خع 1480 د) منها :

يامن هو راغب في الخير وطالب أفضل المآرب لا إله إلا الله

ـ **عبد الوهاب بن العربي الفاسي الفهري** له قصيدة ميمية في مدح الزاوية الدلائية

مكتبة تطوان (656)/خع 2055 د

ـ **علي بن أحمد بن قاسم بن موسى** مصباح(1125 هـ/1713 م) له أرجوزة في نسب مولاي عبد السلام بن مشيش وأشراف العلم (خع 2015د) (وتوجد لامية في مناقب ابن مشيش لأحمد زروق (مكتبة تطوان 656) وقد رثا علي مصباح الشيخ الصالح داود أبا الفضل التواتي المتوفى بفاس (1124هـ)وكانت شيمته الخمول بقصيدة منها :

لكل اجتماع لو يطول تقطع وكل سرور بالخطوب مصدع

وكل هناء العيش مضنى لو أنه عزيز باذيال السهى متمنع

(تاريخ الضعيف م 95)

- **علي بن محمد السوسي السملالي الفاسي** (1311هـ/1893) (السلوة ج 3 ص 351) له قصيدة عارض بها همزية البوصيري

- **علي بن منصور الشياظمي** له قصيدة في المولد النبوي أنشدها في مهرجان بمجلس المنصور السعدي وهي في (27 بيتا) مطلعها :

من بعد أهل قبا وأهل كداء شوقي يزيد وعز ذاك عزائي

(الاستقصا ج 3 ص 79)

- **علي الرهوني** (كان حيا أواسط القرن السابع الهجري) له (نظم الدرر بآي أحمد أجل البشر) (رجز في (6300) بيت قدمه لأبي حفص عمر المرتضى الموحدي (نسخة في حق ل 291/40)

- **غانم القصري** نظام ملحون له قصيدة مشهورة في السيرة النبوية تسمى (الكهفية)

- **ماء العينين محمد مصطفى** بن محمد فاضل بن مامين (1328هـ/1910)

له : 1) (الكبريت الأحمر : منظومة في التصوف طبعت بفاس)و(ضوء الدهور) (636 بيتا) طبع بفاس (54 هـ) وقد نظمت في مناقبه قصائد ضمنت في مؤلف لتقي الدين بن الشيخ مع منظومتين له:

- (الأبحر المعينية في بعض أمداح الماعينية) للشيخ النعمة في مجلدين تضمنت (520 قصيدة)

- (مسيرة كل سار لسيرة الوارث المختار) (أرجوزة في مناقبه لمحمد تقي الدين المذكور (خع 2227 د) طبعت بعنوان (مذكر الوارد بسيرة ماء العينين ذي الفوائد) (12 ص)

- قصيدة في مدحه للنعمة محمد الغيث بن الشيخ ماء العينين (خع 1725 د)

- قصيدة في مدحه لمحمد بن عبد الله تكرور (خع 1725 د)

- سلسلة نسب ماء العينين لأحمد بن عبد الله العلمي اليملحي (55 بيتا) خع 1560 د)

ـ **محمد بن أبي بكر بن عبد الكريم اليازغي** له أرجوزة اسمها (حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية) (273 بيتا) (خع 394 د)

ـ **محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل الفيلالي** العيشاوي التادلي أصلا المدعو الرباطي (1214 هـ)

له قصيدة توسلية بأهل بدر (300 بيت) يقول :

رفـعـت أمـوري لـرب رحـيـم عـطـوف رؤوف غـفـور حـلـيـم

ـ **محمد بن أحمد بن جابر الهواري** (780هـ/1378م) له «الحلة السيراء في مدح خير الورى» شرحها أحمد بن يوسف الرعيني (779 هـ/1377) في (أطراز الحلة وشفاء الغلة) (خع 1966 د/مكتبة ليدن 29،(2) VINE

ـ **محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله** بن داني الندرومي المراكشي

له ديوان كبير في الأمداح النبوية وأمداح الصالحين

ـ **محمد بن أحمد بن عبد الرحمان** بن يوسف الساحلي (735هـ/1334م) (وقيل 737هـ)

له : 1) (قصيدة رائية في الأذكار) (درة الحجال)ج 1 ص 210) النفحة القدسية في الأخبار الساحلية) لولده محمد المتوفى بعد 750هـ/1921) (خع 1419 د/1921د)

2) جنة العباد (خع 2106 د (58هـ)/خع 2279 د)

ـ **محمد بن أحمد بن محمد بن المختار** بن عمر بن علي بن مسعود نجل يوسف بن تاشفين (1311هـ/1893م) اختصر الروض لابن عيشون الشراط في (اللؤلؤ المكنون) ونظم رجال محمد المدرع (الإعلام ج 1 ص 39)ـ الطبعة الأولى

ـ **محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني** الفاسي (842 هـ/1439م)

(النيل ص 304 / النفح ج 7 ص 339)

له منظومة «فراجة الكروب ومنية المطلوب»(دار الكتب الوطنية بتونس ق.74 ـ س 21)

ـ **محمد المفضل بن أحمد المرسي** بن محمد الشرقي (1071هـ/1660) له كلام على طريق العروبي في الملحون خاطب به الرئيس محمدا الحاج الدلائي (الاستقصا ج 4 ص 49)

ـ **محمد بن أحمد الصنهاجي** وزير القلم في العهد الحسني (1309هـ/1891)

له في المولد النبوي قصيدة رائعة (راجع نصها في الإعلام للمراكشي ج 7 ص 63 ـ طبعة الرباط)

ـ **محمد المهدي بن أحمد الفاسي** (1109هـ/1698) له رجز اسمه (إسفار البدر عن رجال أهل بدر (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب (18557)

ـ محمد بن أحمد أكنسوس الجعفري (1294 هـ/1877) (راجع ترجمته أواخر هذا الكتاب)

ـ **محمد بن أحمد البوزيدي الغماري** (1229هـ/1813)

له : (منظومة في سلوك طريق الصوفية) (عدة أبيات) شرحها أحمد بن عجيبة في ثلاثة كراريس (دم 1860)/ توجد في خع 1856 (م : 138-207) مخطوط بعنوان (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)

ـ **محمد بن أحمد المكلاتي**

لما انتصر المجاهد محمد بن أحمد العياشي على برتغاليي الجديدة عام (1049 هـ) أنشد في مدح هذه الغزوة الكاتب محمد بن أحمد المكلاتي مشيرا إلى كرامة عبور المجاهد وجنده لوادي أم الربيع في نهاية مده وامتلائه فقال :

حديث العلا عنكم يسير به الركب ... وينقله في صحفه الشرق والغرب

وحبكم فرض على كل مسلـــــم ... تنال به الزلفى من الله والقـــرب

فأنت رفيع من أصول رفيعـــــــه ... نجوم الدياجي في الأنام لها سرب

(راجع بقية القصيدة وهي من ستة أبيات في الاستقصا ج 3 ص 136)

ـ **محمد المفضل بن البقال** الحسني له منظومة في طريقة خاصة الخاصة شرحها محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله في كراستين عام 1312هـ

ـ **محمد بن التقي الإدريسي الزرهوني** له قصيدتان في مدح المولى إدريس بن عبد الله الكامل طبعت بالرباط مع قصيدة لمحمد الشرقي الشرقاوي في (20 ص)

ـ **محمد بن بناصر حركات السلاوي** (1316هـ/1898)

له قصيدة في مدح آل البيت منها :

شوقي إليكم مع الأنفاس يزداد   أبـثـه نـقـص الـعـذال أو زاد

ـ **محمد بن الفاطمي بن الحسين الصقلي** (1311هـ/1893)

له: 1) تخميس الوتريات اسمه (تجنيس القلائد النحريات في تخميس العقائد الوتريات) طبع بفاس (93 ص) والوتريات هي لمحمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي من قصر كتامة (662 هـ/1263) تسمى (الوتريات في مدح أفضل الكائنات) مرتبة على حروف المعجم ويوجد تخميس آخر لحجة الدين محمد بن عبد العزيز الأسكندري المعروف بابن الوراق (757 هـ/1356) (خع 1980 د (175ص) (كشف الظنون ج 2 ص 2000)

2) قصائد في مدح مولانا إدريس

3) تخميس قصيدة البكري في الشوق إلى المدينة المنورة ورجالها

4) قصيدة في مدح جده أحمد الصقلي دفين فاس

ـ **محمد الطالب بن حمدون بلحاج** قاضي مراكش وفاس (1274 هـ/1857)

له (قصيدة في المدح النبوي)

ـ **محمد بن الطيب بن عبد القادر** بن الحاج حمو سكيرج الفاسي 1194هـ/1780)

أحد كتاب السلطان المولى محمد بن عبد الله له: قصيدة دالية في مدح الولي سيدي بو علي دفين قرب صفرو

- محمد بن الطيب الوانوغي الشريف

له تخميس لقصيدة التوسل لمحمد بن محمد ابن مرزوق الكفيف (901 هـ/1496) (خم 6854)

- محمد بن عبد الرحمان ابن زكرى (راجع ابن زكرى)

- محمد بن عبد الرحمان الحوفي

له أرجوزة في الدعاء والتوسل (خع 2265د)

- محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان التازي (920هـ/1514)

له: 1) (المنفرجة (شرحها محمد بن علي دينية ومحمد بن مبارك الهشتوكي)

2) قصائد في مدح الإمام محمد بن يوسف السنوسي (خم 6734)

- محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد ابن المرابط الرباطي الملقب الضعيف (1233هـ/1818م)

له قصيدة في المديح النبوي سماها (روضة العشاق) وقد مدح مولاي بوشعيب وغيره في قصائد أخرى بين موزون وملحون (الاغتباط ص 145).

- محمد سالم بن عبد الفتاح الصحراوي توفي حوالي (1364هـ/1944) بطانطان له قصيدة ميمية (120 بيتا) طبعت بسلا عام (1348هـ) اسمها (مجمع العرفان في مدح بني عدنان) (المعسول ج 3 ص 35)

- محمد بن عبد الكبير الكتاني (1327هـ/1909)

له: قصيدة تائية عن أعمال رجال التصوف طبعت على الحجر بفاس (8 ص) وله قصائد أخرى طبعت أيضا بفاس (7 ص)

ـ **محمد الأمين بن عبد الله الحجاجي** الجعفري (1295هـ/1878) (الإعلام للمراكشي ج 7 ص 21. ط. الرباط)

له قصيدة لامية في المديح النبوي (خم 6095)

ـ **محمد بن عبد الله بن إدريس البدراوي** (1347هـ/1928) له شعر في التصوف عارض به تائيه البوصيري (إلتحاف المطالع ـ بنسودة د.م. 1342)

ـ **محمد بن عبد الله المراكشي** ينسب له تخميس للبردة (خم 8683) (نسخة في المكتبة الأهلية بباريس 5322) منسوبة لأبي عبد الله محمد المراكشي بعنوان (تخميس الدرة السنية في مدح خير البرية)

ـ **محمد بن عبد الواحد بن الحسن النظيفي**

له : 1) (قصيدة في التحريض على صلاة الفاتح) طبعت على الحجر بفاس

2) (تخميس الهمزية سماه (العطلة الكنزية) (طبع بفاس في 116 ص)

3) (بلغة التهاني في تخميس قصيدة أم هاني) (طبع بفاس وله تقرير على هذا التخميس طبع أيضا بفاس (186 ص)

ـ **محمد الغازي بن العربي بن الغازي** أبي القاسم عاش في القرن الحادي عشر (السلوة ج 1 ص 128)

له (الهمزية في مدح خير البرية) (190 بيتا) (خع 2259د/1426 د) لم يذكرها بروكلمان

ـ **محمد بن العربي البقالي المستاري** (1377 هـ/1957) له (أرجوزة) حول أولياء مستارة والمناطق المجاورة (مثل وزان)

ـ **محمد علي المسفيوي له ملحون** في التغزل والحكم (القاموس)

ـ **محمد بن محمد بن أبي بكر العياشي** (1090 هـ/1679) له (رائية) في مدح الشيخ المكلاتي (مكتبة تطوان 656)

ـ **محمد بن محمد بن أحمد** بن أبي بكر المقري قاضي فاس (758 هـ/1357)

له (المحة العارض لتكملة الفية ابن الفارض) (النفح ج 3 ص 110) (راجع نبذة من اللمحة في الإعلام للمراكشي ج 3 من ص 296 إلى 305)

ـ **محمد بن محمد** (فتحا) بن أحمد مرينو كان حيا عام (1143هـ) تلميذ سيدي أحمد بناصر الدرعي ساجل الولي الكبير سيدي المعطى بن صالح الشرقي له قصائد وموشحات وتلاحين وأزجال جمعت في ديوان خاص تضمنت إشارات صوفية وحقائق وجهوما عرفانية منها :

نديمي أدر في حضرة الحب أكؤسا ... علينا إذا ما الليل جن وعسعسا

ووالي إذا ما الصبح أجلى ظلامه ... وقد نشرت أعلامه وتنفسا

عقار الثنا أحلى من الشهد مطعما ... وأشهى لراجي الوصل منه وأنفسا

وأذكى من الطيب العطير أريجه ... وأمرأ وأهنى قد فاق الثريا وأنفسا

على من سبا عقلي وروحي جماله ... وهاج سناه الشوق في الصبح والمسا

وخاطب الشيخ سيدي صالحا الشرقي بقوله :

سيدي الصالح الذي بصلح الله ... به للوجود حالا وشانا

قد وفدنا ضريح جدك فاحضر ... لتكون لنا شفيعا وعونا

فأجابه سيدي صالح :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ... بكم كيف لا وأنتم أجلة

ولكم في العلوم باع عريض ... وسناكم سما سناء الأهلة

حاشا شيخ الشيوخ من شاع شرقا ... ومناربه بقرب أحله

أن تئوبوا وما ظفرتم بخير ... مذهب عن حجاكم كل علة

(الاغتباط لأبي جندار ص 103-104)

ـ **محمد بن محمد بن جلون قاضي** الرباط (1234 هـ)

من شعره مساجلة بينه وبين بعض أدباء العدوتين (الرباط وسلا) أوردها الشاعر بنعمرو في كناشته (عام 1229هـ) حول زيارة ضريح سيدي عبد الله بن ياسين في كريفلة) منها قول أحمد الحكمي:

جئناك جئناك نشكو يا ابن ياسينا فكن من الضر بيت الفضل آمينا

فقال الشاعر محمد بن التهامي :

مازلت تسقى كؤوس الفضل مترعة وقد أتينا لكي تكون حاسينا

فأجابه العلامة أحمد بن خضراء السلاوي :

فأنت من معشر أضحوا لزائرهم بكل ما أملوا فورا مواسينا

فختم الشاعر القاضي بنجلون :

ومن يؤمك نال السؤال أجمعه فلا تكن ببلوغ السؤال تاسينا

(الاغتباط ص 156)

ـ **محمد بن محمد بن سعيد المرغيثي** السوسي

له (ريحانة المستنشق في نظم بعض سبر المصدق) (منظومة رجزية في السيرة)

(مكتبة الزاوية الحمزاوية 187-546) نظم فيها ما اقتبسه والده محمد بن سعيد من (نور العيون في تلخيص سير الأمين المامون) لليعمري محمد بن سيد الناس القاهري (734هـ/1334م) (نسخة أخرى رقم 321)

ـ **محمد البكري بن محمد** بن سيدي الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي له تكميل على رائية الشيخ اليوسى في رثاء أهل الدلاء فزاد في كل بيت منها ما يناسب وله رائية في شيخه وابن عمه المسناوي وبائية وثى بها ابن عمه محمد بن أحمد الشاذلي (تاريخ الضعيف ص 123)

- **محمد بن محمد بن عبد السلام** الفاسي

له (منظومة في التراجم والمناقب) (خم 1057)

- **محمد بن محمد بن عبد السلام كنون** (1328 هـ/1910) وقيل 1326هـ)

له (الدر المنظوم في نصرة القطب المكتوم) (خع 1991د) وله (النطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم) (خع 2135).

- **محمد بن محمد التهامي بن عمرو** الرباطي الأندلسي له قصيدة قافية في معارضة شمقمقية ابن الونان (خع 2241 د) في المدح النبوي منها :

مسحت بالإدلاج كل خيفق يراه سبسب بباب سملق

وجبت كل طلسم سمهدر متن دموس واسع المخترق

وقد أجازه على هذه القصيدة علماء المشرق و من المغرب أعلام سجلماسة و درعة ومراكش و زاوية أبي الجعد و أزمور ودكالة و الشاوية و وزان و الجبل و تطوان و زرهون منْ بينهم شارح القصيدة محمد بن أحمد الجريري الشهير بابن الفقيه(الاغتباط ص 160)

- **محمد بن محمد الإفراني الجذامي** له مجموعة شعرية في الأمداح النبوية

- **محمد بن محمد أنوار البسطي** التطواني (1003هـ/1597) من أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي بنى زاوية بتطوان بإذنه له أبيات في التصوف شرحها سيدي العربي الفاسي وسيدي عبد الرحمن الفاسي سبوطي المغرب (ممتع الأسماع للمهدي الفاسي ص 181/نشر المثاني ج 1 ص 45 / الصفوة ص 178 / ابتهاج القلوب لعبد الرحمن الفاسي)

- **محمد بن محمد المعطى السرغيني** (1329 هـ/1911) له (ديوان في المدح النبوي) (راجع نماذج منه في الإعلام للمراكشي ج 6 ص 260 من الطبعة الأولى/ ج 7 ص177 من طبعة الرباط)

- **محمد الصالح بن محمد المعطى** الشرقي (1139 هـ/1726) له قصيدة في مدح

سيدي علي ابن إبراهيم البريري العمري (خع 1645 د)(37 بيتا) (الإعلام للمراكشي ج 5 41 الطبعة الأولى/ج 6 ص37 - طبعة الرباط)

ـ **محمد بن محمد بن وفا** الشاذلي أبوالفتح الإسكندري المغربي الأصل له :

1) (الغوثية) (خع 2150)

2) داليه في التصوف(خع 2257)

ـ محمد بن محمد بن ناصر(1085هـ/1674) له :

1) منظومة في العبادات(29 بيتا) نظمها لبناته (خع 2214 د/ 1238د)

2) منظومة أخرى في العبادات تسمى (مرشد الإخوان لمعرفة ما هو واجب على الأعيان) (خع 2173 د).

3) (سيف النصر على كل ذي بغي و مكر) (أرجوزة) (خع 1850 د/ 1374 د)

ـ **محمد بن محمد الحراق الحسنى** المتوفي عام 1261 هـ/1845) (راجع ترجمته في بداية الكتاب.)

ـ **محمد بن محمد العكاري** الرباطي له قصيدة في مدح شيخه سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي كما في (دوحة البستان و نزهة الإخوان) : منها :

كم كنت تسري في الظلام جهارا   و البدر قد عم البطاح و نارا

إني أراك و قد عميت عن الهوى   تصغي لمن جحد الطريق وجارا

ـ **محمد بن محمد العمراوي** ابن الحاج الزموري (1254 هـ/1847 م) (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 263/ الاتحاف لابن زيدان ج 4 ص 189 /مواصل الجمان لمحمد غريط (ص 40/سلوة الانفاس ج 1 ص 86 وج 2 ص 362)

له : 1) قصيدة من (46 بيتا) في مدح شفاء القاضي عياض مطلعها :

يحكم الحب قلب الصيراض   فلست تراه يوما ذا اعتراض

2) قصيدة في مدح سبعة رجال بمراكش (31 بيتا) مطلعها :

عن الفتى ذله بباب مولاه ويسره فقره لمن تولاه

(خع 158 د)

ـ **محمد بن المعطى بن أحمد المعروف بحدو السرغيني** (1296 هـ/1878) له (قصيدة في التوسل بمشاهير حمراء مراكش) مطلعها :

إليك أبا يعقوب رفع شكيتي أيوسف إني في حماكم بنائل

ـ **محمد بن المفضل غريط** (تاريخ تطوان ـ داود ج 4 ص 277) له(الصادح المغرب في أمداح قطب المغرب) المولى إدريس بن إدريس (200 بيت) له شرح عليه في مجلد سماه (الناصح المعرب في شرح الصادح المغرب)

ـ **محمد بن يحيى الباهلي المسفر** (743 هـ أو 744 هـ / 1343 م) (النفح ج 7 ص 172/ شجرة النور ص 219) دخل مدينة فاس سفيرا و هو قاضي بجابة له (نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر) منظومة فريدة في بابها (الجذوة ص 186)

ـ **محمد بن يحيى بلامينو**(1333 هـ/ 1914) أديب شاعر له رثاء في أبي المواهب سيدي العربي بن السايح قال فيه :

سكب الدموع على الأطلال أضناك أو حر نار الأسى و البين أفناك

ـ **محمد بن يحيى الصقلي** نزيل الدار البيضاء (1354 هـ/1935)

له (نيل الأماني بتشطير قصيدة أم هاني) طبع بمراكش (4 ص)

ـ **محمد الشاوي** من شعراء الملحون في الزهديات وهو أشبه بأبي العتاهية في شعراء الفصيح

ـ **محمد الشرقي** له قصيدة في الملحون شعبية مشتملة على توحيد الخالق وحكم صوفية (طبعت على الحجر بفاس)

ـ **محمد الطاهر أبو حدو المكناسي** (أصل عائلته من سلا) (1310هـ/1892)

(الإعلام للمراكشي ج 7 ص 87 ـ طبعة الرباط)/ ج 6 ص 147 الطبعة الأولى)

له قصيدة في مدح سيدي العربي بن السائح جاء فيها :

وعلى خدنك الإمام الذي حل من المجد في أعز مراقي
سيدي العربي من أعربت عن فخره ألسن الورى باتفاق
ما شاد في محافل الأنس شاد وحدا بالحسان حادي النياق

وقد مدحه أحمد الناصري بقصيدة جوابا عن أخرى مدحه بها وهي في ديوانه مطلعها :

يا أديبا غدا بحسن اتفاق ينفث السحر في المعاني الرقاق
قد أثنينا مدائح من ثناكم جددت أرسما لعهد التلاقي
وعلمنا منها بأنك لازلت بناذا صبابة واشتياق

ـ **محمد بليمني الناصري**

له مرثية في الشيخ سيدي أحمد بن عاشر الحداد (1326هـ/1908) جاء فيها :

غارت عيون الأرض أين الماء واغبرت الآفاق والأنحاء

إلى أن قال :

بذهاب قطب الشرق والغرب الذي لذهابه قد عمت الظلماء
أعنى ابن عاشر الرضى الحداد من ثغر الرباط الدار والإنشاء

(راجع نصها في 24 بيتا في أعلام الفكر للأستاذ عبد الله الجراري ج ص 2 ص24)

ـ محمد الهبطي :

له قصيدة في معنى القطب (27 بيتا) مطلعها :

وقفت بباب القطب في كل حاجة عليه مدار الأمر في كل حالة

(خع 1596د)

ـ **مرينو أحمد حجي** عامل رباط الفتح له :

موشحات في المديح النبوي على طريقة الوزن والملحون منها :

أقليبي متى نسير عجلان بجوار الحبيب في سرور ونعمة فرحان

نشرح ونطيب

(الاغتباط ص 17)

ـ **مصطفى بن أحمد ملين**

أديب شاعر في الملحون والموزون أصيب بالشلل فكان يستنجد بأهل الله كقوله في الشيخ أبي بكر بناني:

إنزل بنا يا من يسوق أتاني فقد حللت مواضع السلوان

هذا مقام قد ترفع شأنه هذا مقام الجود والإحسان

ومن شعره في مدح الشيخ فتح الله بناني بمناسبة ختمه لصحيح البخاري :

مواهب فتح الله أهدت لنا البشرى هنيئا لمن قد جاء يسمع أو يقرا

(الاغتباط ص 338)

ـ **الهاشمي بن عبد المجيد القصري الرباطي** شاعر تصوف على يد الشيخ أبي بكر بناني يقول فيه :

يا فتح قد حزت السيادة والعلى بوئت من أعلى المكارم منزلا

ـ **الهاشمي بن محمد اشكالانط** مفتي العدوتين (الرباط وسلا) (توفي بعد 1170هـ/ 1756) له قصيدة في مدح الشيخ أبي محمد صالح دفين أسفي :

ظبي بحشو الفؤاد قائل أعجز في الوصف كل قائل

وهو بأجفانه سباني وسحره ينتمي لبابل

وله قصيدة أخرى في مدحه (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 71 /الاغتباط ص 467)

- **موسى بن علي التلمساني**

له (قصيدة حزب العارفين) عليها شرح لأحد تلامذة الناظم تسمى (كعبة الطائفين وبهجة العاكفين) خع 1921د (447 ص)

- **موسى بن عمران المرتالي** (603 هـ/1206م) له ديوان في الزهد (الذخيرة السنية)

- **يحيى بن عبد الله بن سعيد** بن عبد المنعم الحاجي التناني المحدث (1035هـ/1625) له (قصيدة لدفع المكاره) (خع 1658 د) الاستقصا ج 3 ص 111 و 127)

- **يوسف بن أحمد الأنصاري** الصوفي الشاعر (التكملة ص 388).



صوفية مغمورون

يوجد من بين هؤلاء المغمورين رجالات عرفوا بالفقه أو الحديث أو الأدب في حين قاموا بدور كبير في مختلف مجالات التصوف ولم نقدم في هاته الفذلكة المقتضية سوى نماذج مع إدراج بعض من وسموا بالمغربة وقد يكون بعضهم من المغرب الكبير وهو المغرب العربي الذي عرف بهذا الاسم منذ ما قبل القرن العاشر الهجري

ـ **إبراهيم بن أحمد بن عاشر التونسي** نزيل الرباط (كان حيا عام (1202 هـ/ 1788م) (معجم الشيخ مرتضى الزبيدي/الاغتباط (ج 2 ص 5)

ذكر الشيخ مرتضى أنه مقدم طريقة أبي يعزى ورد مصر حاجا عام (1202 هـ) ويلاحظ أبو جندار في الاغتباط أن أبا يعزى ليست له طريقة في المغرب.

وتوجد نسخة من معجم الشيخ مرتضى خاصة الجزء الأول في مجلد ضخم إلى حرف الميم انتسخ من خط المؤلف بالمدينة المنورة ـ في مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني (الاغتباط ص 242)

ـ **إبراهيم السوداني العونى** سكن مراكش وكان بيته منتدى للوزراء والعلماء زاهدا عابدا على مشرب ابن عربي الحاتمي يحفظ فتوحاته (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 191 طبعة 1975)

ـ **ابن البناء أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي السرقسطي**

له «المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية» (منظومة في 473 بيتا أولها :

باسم الإله في الأمور أبدا اذ هو غاية لها ومبتدأ

(ثلاث نسخ في خع = 984 د ـ 1388 د ـ 113د

أوردها ملحق بروكلمان (ج 2 ص359)ـ ثلاث نسخ في خم = 1169/4670 -9221/ مكتبة تطوان 532/244

شروحها :

1) أحمد بن محمد بن عجيبة في الفتوحات الإلهية في شرح ... (خع = 98 / مكتبة تطوان 244)

2) الاشـارات السنية : «في بعض معاني المباحث الأصلية» لمحمد بن علي بن أحمد الشطيبي البـرجي (963 هـ/1556 م) ألفـت عـام 953هـ (المكـتبة البلـدية (مـصر)التاريخ ص 56 والتصوف ص 5 ومخطوطات الظاهرية ص 13) توجـد نسخة أخرى بـدار الكتب المصرية (1003 تصوف) انتسخت بفاس عام 1230 / توجد نسخة في خع 1638د/ و1779د مجموع 9- 123 / 2378 د/ خم 7417/5909/6508/ مكتبة تطوان 210)

3) شرح لأحمد بن أحمد الرينسي المعروف بزروق (خع = 2284 = د)(م 134-239)/ مكتبة تطوان 768

- **ابن جعفر محمد بن إدريس الكتاني** (ت 1345 هـ/1926)

توفي بفاس بعد ما جاور ودخل بيروت عام 1323هـ

(الدرر البهية (ج 2 ص121) - تأليف لولده محمد الزمزمي بعنوان «ذكريات»)

فهرس الفهارس ج 1 ص 388

الفكر السامي ج 4 ص 141

شجرة النور ص 436

الاعلام للزركلي ج 6 ص 300

معجم المطبوعات 1545

معجم الشيوخ ج 1 ص 77

ملحق بروكلمان ج 2 ص 890

مؤرخو الشرفاء - بروفنصال ص 379

مصنفاته :

ـ النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأخبار السلالة الكتانية جامعة. (أو لاستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية جامعة).

ـ الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس (طبع بفاس عام ـ 1307 أو 1314هـ/1324هـ

ـ سلوة الأنفاس ومحاضرة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (3 مجلدات 1316هـ/1898م)

ـ نصرة ذوي العرفان فيما أحدثوه في ذكر الهيللة جماعة من الطبوع والألحان (نحو الستة كراريس)

ـ نصيحة أهل الإسلام (ط. على الحجر بفاس سنة 1326هـ/1908م

ـ شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وتأخر من الذنوب والآثام (ط. على الحجر بفاس (1321هـ/1903م)

ـ تعجيل البشارة، لمريد الاستخارة (نحو الثلاثة كراريس رتبه على مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة)

ـ اسعاف الراغب الشايق، بخبر ولادة منير الأنبياء وسيد الخلائق (ط. مرارا على الحروف والحجر بفاس وغيرها)

ـ اليمن والإسعاد بمولد خير العباد (ط. على الحروف بالرباط (59 ص) وعلى الحجر بفاس)

ـ بلوغ القصد والمرام، ببيان ما تنفر عنه الملائكة الكرام (ط. الحجر سنة 1321هـ/ 1903م، ومعه شفاء الأسقام)

ـ جلاء القلوب من الأصداء الغيبية وبيان أحاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم الكونية (نحو الثلاثة أسفار)

ـ ارتشافات من الثدي المحمدي (خع = 1719 = د) = 65 ورقة)

ـ مقابلات وتقييدات على كتاب السماع لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني (507 هـ/1113م) تحتوي على 70 ورقة في خزانة محمد الناصر الكتاني بالرباط

ـ **ابن حمدون محمد بن عبد السلام البناني** (1163هـ/1750م)

النشر (ج 2 ص 257)

السلوة (ج 1 ص 146)

فهرس الفهارس (ج 1 ص 160)

بروكلمان ج 2 ص 686

مؤلفـاتـــه :

1) فهرسة = خع (414) (أطال فيها في ترجمة شيخه ابن الحاج)

2) معاني الوفاء بمعاني الاكتفاء وهو شرح الاكتفاء للكلاعي

3) شرح الحزب الكبير للامام الشاذلي خع = 1599 د

4) شرح الصلاة المشيشية خع = 1599

5) مختصر شرح شفاء عياض لشهاب الدين أفندي أحمد بن الحسين بن ريسلان الروميلي (بروكلمان ج 1 ص 369)

ـ **ابن الحاج العبدري محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسي العبدري القيرواني التلمساني المصري** درس بفاس (توفي بالقاهرة عام 737 هـ/1336م)

شجرة النور (ص 218)

الوافي بالوفيات للصدفي (ج 1 ص 237) ـ الديباج ج 1 ص 328)

(الدرر الكامنة ج 3 ص 369) وج 4 ص 237 / 9.278 وهو مطبوع الجذوة (ص 142)

عبد الله كنون ـ ابن الحاج الفاسي (خع) = الاعلام للزركلي (ج 7 ص 264)/ تاريخ بروكلمان ج 2 ص 83

مصنفاتـــه :

ـ مدخل الشرع الشريف (برلين 3519)/القاهرة (313 ر ا ا) و (357 ر ا) أو «المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات (خع 2122د) (372 صفحة) (النصف الأول) في خم سبع نسخ (من 4068 إلى 9172)

ـ شموع الأنوار وكنوز الأسرار (القاهرة 364 رv/ خم 555/ باريز(440/2709 خع = 472

ـ تقييد في رسم القراء السبعة (خم 6583) وقد نسب له بروكلمان الأزهار الطيبة النشر وهي للشيخ الطالب بن الحاج كما أشار الصفدي في الوافي بالوفيات إلى «كتاب البدع» على أنه غير «المدخل».

ـ **ابن خزر يخلف الأوربي المكنى** أبا خزر من معاصرى الشيخ الصوفي علي بن حرزهم (ت 572 هـ/1176م) توجد بفاس (عين أبي خزر) الجذوة ص 342 / نيل الابتهاج ص 360

ـ **ابن الخطيب لسان الدين** (النفح ج 10 ص 161 و198)/الاعلام للمراكشي ـ ج 3 ص 352 / دعوة الحق ـ عدد 1966/8 لمحمد كمال شبانة/عبد الله كنون ـ مجلة البحث العلمي عدد 2-1964

عبد القادر زمامة دعوة الحق عدد 5 و 6 (1964)/ابن الخطيب من خلال كتبه لمحمد ابن أبي بكر التطواني (مطبعة تطوان 1949)/الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب لعبد العزيز بنعبد الله (مطبعة تطوان 1949) معهد مولاي الحسن)

ـ «روضة التعريف بالحب الشريف»(خع = 778 د) (طبعت بمصر وحققها الأستاذ محمد ابن عبد الملك الكتاني) أوردها ملحق بروكلمان ج 2 ص 373)/خق = ج 145 ونسخة أخرى في خق 3365 ك وخم 664)/كتاب الشفا (الجزائر 1830 Rampur I, 343)

ـ درة التنزيل وغرة التأويل «فصول من استنزال اللطف الموجود سر الوجود» في (مكتبة تطوان 353)

ـ ابن خلدون عبد الرحمن المؤرخ

له : شفاء السائل بجملة مسائل : مخطوط بالخزانة الزيدانية / خم 5522

قصة مخطوط ابن خلدون للفاسي عبد الرحمن (رسالة المغرب ع 10 س/ في 1-1-1948 . (796 وقبلها في نفس المجلة لعبد العزيز بنعبد الله/ظهر الاسلام لأحمد أمين ج 2 ص 60) وقد حفلت مقدمة تاريخه وكذلك التاريخ بجولات صوفية

ـ ابن زاكور أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد الفاسي (1120هـ/1708م)

(النشر ج 2 ص 186/ الأنيس المطرب للعلمي ص 19/ فهرس الفهارس ج 1 ص 130 / ملحق بروكلمان ج 2 ص 684 / الاعلام للزركلي ج 7 ص 230/ ابن زاكور لعبد الله كنون/السلوة ج 3 ص 179 / تاريخ تطوان لداود ج 3 ص 104)

الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم (مولاي عبد السلام بن مشيش) خم 3585

ابن زاكور أبو الفضل عبد الكريم بن عبد السلام (ابن زاكور) التونسي

(الاعلام للمراكشي ج 6 ص 81 (خ)/ ج 2 ص 260 ج 3 ص 104)

كان قائدا بتطوان إلى أن قبض عليه السلطان محمد بن عبد الله وسجنه عام 1179هـ/1765م

لـــه :

1) «السراج الوهاج بمدح صاحب التاج والمعراج» ديوان في ثلاثة أسفار يوجد الجزء الثالث منه بخزانة الاخ محمد داود خع 1830 (السفر الأول على ما يظهر)/خم 5940)

وتوجد نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس (225 م) بعنوان «النجم الوهاج في مدح صاحب المعراج»

2) لوامع الأنوار في مدح الصلاة على النبي النختار الأول والثاني) (خم = 2356)

- **ابن زكرى محمد بن عبد الرحمان الفاسي** (ت 1144هـ/1731) له : (الالمام والإعلام من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب عبد السلام) نسخة المؤلف في مكتبة جامعة الرياض (دين - أدعية رقم 1380/خع 2459د/ الزيتونة ج 3 عدد (190-228)/ خم خمس نسخ من 440 إلى 5280/ المكتبة الوطنية بتونس 3598م)

- **ابن سليمان أحمد الجزولي الرسموكي** شيخ الإسلام له «شرح العمل بالزايرجة لأبي العباس السبتي (يوجد أحمد بن سليمان الرسموكي، آخر ترجمه صاحب الصفوة وتوفي في حدود 1070 هـ)

- **ابن سودة** - المعروف بالنحول - محمد بن محمد بن علال

1285هـ/1868م

له : «منظومة في الطريقة الصوفية» في 100 بيت (خس)

- **ابن سودة محمد المكي بن المهدي بن سودة** قاضي الصويرة - يقال إنه تكلم في المهد توفي بمراكش 1320هـ/1902م (الاعلام للمراكشي ج 6 ق 1 ص 210)

- **بنسودة محمد بن الطالب** شيخ الجماعة بفاس (1029هـ/1795)

(سلوة الأنفاس ج 1 ص 112)/الدرر البهية ج 2 ص 294)

له : فهرست وذيل عليها جمع فيه من لقيه من أهل الصلاح يقع الجميع في ثلاثة كراريس أتمها في 1182هـ/1768م (خع 2018 د (م = 173-250) خس/خع 414 مكرر/

خع = 725د - 952 د - 385 د مكرر ملحق/بروكلمان ج 2 ص 689 تسمى في نسخة خم 1190 «فهرسة الاجازات والاثبات» خم 6018/7172)

وقع له يوما أنه أخذ شقة من قماش ومسكها تحت جنبه وأخرج طرفها للخياط وقال: «خذ ما يكفي هؤلاء الجماعة ومازال يفصل منها ما شاء الله حتى قال الخياط : هذه الشقة ما تتم أبدا فرماها من تحته وقال تمت»(جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 58)

ـ ابن الطيب عبد السلام بن عبد الرحمن القادري (1110هـ/1698م)

الدر السني لعبد السلام القادري 62/العرف العاطر (الترجمة ص 145)/

نتيجة التحقيق لمحمد المسناوي الدلائي (20)/النشر (ج 2 ص162)/السلوة (ج 2 ص 348)/

الدرر البهية للفضيلي (ج 2 ص 192)/اليواقيت لمحمد البشير (203)

مصنفاتــه :

1 ـ العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر (98/173)

2 ـ الاشراف على نسب الأقطاب الاربعة الاشراف (الجيلاني وابن مشيش والشاذلي والجزولي) (خع = 522، 536) طبعة فاس 1308

4 ـ نظم مختصر السنوسي في المنطق S 356.

5 ـ الرجز المحتوى على مسائل مختصر السنوسي eb

6 ـ إحكام المعروف من إحكام الظروف (خع = 522)

7 ـ نظم قواعد الاعراب (S. 24)

8 ـ أداء الحقوق في ابداء الفروق (خع = 537)

9 ـ تضمين الأفراح بتنعيم الارواح (ارجوزة)

10 ـ نيل القربات لأهل العقبات (ارجوزة) (بروكلمان ج 2 ص 682)

11 ـ المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد (خع = 1235 د/خم 640 (طبع على الحجر بفاس عام 1352هـ)

12 ـ مناهل اللهفان إلى أسانيد أولى العرفان (خع = 1235 د (منظومة من 617 بيتا ذكر فيها شيوخ شيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن وسندا عن شيخه القاسم الخصاصي ومن لقيه من الشيوخ وطرق الجزولي وزروق والشاذلي وأبي مدين والجنيد والحسن البصري)

13 ـ معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي توفي دون إكماله وأتمه حفيده محمد ابن الطيب وسماه «الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي» إلخ (خع = 777د)

(السلوة (12 ص 274)

14 ـ التماس البركة من أجوبة سيدي الحاج على بركة (خع = 1082د)

15 ـ الدر السني في بعض من فاس من أهل النسب الحسني» (خع = 1456د)

ملحق بروكلمان ج 2 ص 682/معجم سركيس ص 1479

طبع بفاس 1303هـ/1308هـ

16 ـ تقييد في التعريف بالشرفاء الجوطيين خع = 1632د

17 ـ ارجوزة في نسب القادريين وشجرتهم خع = 1630د

18 ـ «نيل الآمال في زيارة» «أشرف نعال» وهو نظم ذكر فيه زيارته للنعال النبوية التي بفاس عند الشرفاء الصقليين (ربما انتقلت إلى الطاهريين)

طبعة فاس 1335هـ/1917م

19 ـ فهرست أشار صاحب الفهارس إلى وجودها ج 2 ص 165

وهي من مخطوطات الخزانة الأحمدية السودية

20 ـ «تحفة النبيه بنسب بني طاهر وبني الشبيه» في 160 بيتا

توجد بالخزانة الفاسية ضمن مجموع

21 ـ ديوان جمعه له حفيده محمد بن الطيب (راجع الترجمانة الكبرى للزياني) نسبه له حفيده في (نشر المثاني ج 2 ص 83) يوجد بخزانة ابن المواز بفاس

22 ـ «مصابيح الاقتباس في مداح أبي العباس»أي أحمد بن عبد الله معن) في مجلد وسط (دم = 875)

ـ ابن عياد المجذوب عبد الرحمن الصنهاجي الفرجي الدكالي (976 هـ/1569م)

«ابتهاج القلوب بخبر أبي المحاسن وشيخه المجذوب» /

(شجرة النور ص 284/ ممتع الأسماع ص 112/الاستقصا ج 3 ص41/السلوة ج 2 ص 221/اجازة ابن أبي شنب

Textes arabes de Tanger, W. Marçais p. 142

له : «أمثال وحكم صوفية» ترجمها إلى الفرنسية في كتابه

Gnomes de Sidi Abder-Rahman El Mejdoub-Dc Castries-Paris 1896.

ـ ابن عيشون الشراط محمد بن محمد بن محمد بن طاهر بن محمد بن محمد (1109هـ/1697م)

(النشر ج 1 ص 12 و ج 2 ص 161/

السلوة ج 1 ص 8 و ج 2 ص 347 /

مؤرخو الشرفاء (ص 281) / (Basset : 32)

(راجع التقاط الدرر) له :

1 ـ الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس

(خع 389/ خع 525 (162 ورقة)/ خع 2409 (214 ص)/خع = 1246 د/توجد في خم 3579/647/تكملة الروض إلخ ملحق بروكلمان ج 2 ص 683 /السلوة ج 1 ص 8)

ذكر صاحب «نشر المثاني» في ترجمة عمه أبي حامد محمد العربي بن الطيب القادري (1106هـ/1694م) في كتاب «الزهر الباسم» أن أصل التأليف لعمه أبي حامد، هذا نسبه ابن عيوشون لنفسه، وهو يحتوي على 295 ترجمة.

اختصر الروض محمد ابن أحمد اللمتوني أحد حفدة يوسف بن تاشفين (1311هـ/1893م) في كتابه «اللؤلؤ المكنون»(راجع محمد بن أحمد)

2 ـ «التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه»، جعله ذيلا للروض العاطر الخ، (خع 2409 د (م = 216 - 229 /خع = 1246 د (السلوة ج 1 ص 8)

نسخة بالمكتبة الفاسية وأخرى بمكتبة ادريس ابن الماحي

ـ **ابن قدور المغربي محمد (فتحا) بن محمد المراكشي اليزمى الاسكندرى يكنى بالابيض** توفي قبل 1270 هـ/1853 م (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 294)

ذكره أحمد بن حسون في رحلته عام 1270 هـ/1853 م له :

ـ «شرح على مديح شيخه أحمد الدردير في المديح النبوي سماه : مورد الظمآن لشرح مولد سيد ولد عدنان» (عادة أهل الاسكندرية أنهم يقرأون ذلك التأليف ليلة المولد)

ـ **ابن المبارك محمد الهشتوكي المراكشي** (1313 هـ/1895 م) الاعلام للمراكشي ج 6 ص 313 (خ) السعادة الأبدية لابن الموقت ج 1 ص 50

مصنفاته :

ـ المفاخر العلية في الشمائل المهدية (يعني شيخه المهدي الدرقاوي)

ـ شرح الصلاة البكرية (أي أبي بكر الدلائي)

ـ حلل العروس في تزكية النفوس

ـ الموارد الشهية في شرح البردة البوصيرية (في سفرين)

ـ الأماني النبتهجة في شرح المنفرجة

ـ الكوكب الزاهر في شرح الورد الباهر أي ورد شيخه مولاي المهدي الدرقاوي)

ـ **ابن المدني محمد البوعناني المراكشي** (1315 هـ/1897 م)

له : لؤلؤة الأنوار وقلائد الجوهر ورياض الأزهار في الصلاة على النبي المختار (طبع في حياته بفاس عام 1315 هـ) (الاعلام للمراكشي ج 6 ق 1 ص 183)

- **ابن مريدة علي بن الفاضل السرغيني المراكشي** الولي الصالح (1304 هـ/1886 م)

كان والده قاضي مراكش في عهد المولى عبد الرحمن (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 122)

- **ابن مفتاح الفقيه أبو محمد القرشي الفاسي** تلميذ الشيخ الصوفي عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري (رحلة ابن رشيد ج 6 ص 30)

- **ابن واصل يعلى مدفنه برباط شاكر بالمعمورة** وهو أبو سيدي شكر المنسوب إليه الرباط (جواب المرغيثي في «سلسلة الذهب المنقود» ج 3 ص 238/الإعلام للمراكشي ج 7 ص 156)

- **ابن وفا الشاذلي الاسكندري أبو الفتح** محمد بن محمد (المغربي الأصل)له :

1) الغوثية (خع = 2150 = د) (م = 509 - 510)

2) قصيدة دالية في التصوف (خع 2257 د (م = 646 - 647)

- **ابن وهدي يعزى** دفين زاوية اسا بدائرة اكلميم (726هـ/1325م)

مذكرات مجهولة المؤلف في حياته وقع النقل عنها إلى القرن العاشر (د م = 859) اختصرها محمد بن عمرو السوسي الاسريري من رجال القرن التاسع وسماه «الهدى في اخبار آل يعزى وهدى»(د م = 860)

- **ابن ويعزان اسحاق (من رباط تاسماط)** (التشوف ص 220)

الاعلام للمراكشي ج 6 ص 425

- **ابن ياسين محمد بن الحاج العباسي الجزولي** (1221هـ/1806 م) تلميذ الشيخ التاودي بنسودة

له : (المواهب القدوسية في أسانيد بعض المشائخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية) (الخزانة الفاسية بفاس)

ـ **أبو العباس بن الحجاج بن مروان المغربي** توفي في القرن السادس (حسب المناوي)

ـ **أبو عبد الله اللواتي الصوفي بأحواز تازة** كان ينتحل طريقة الفقر وقد آوى إليه المولى الرشيد فبالغ في إكرامه وعنده شاهد ابن مشعل في هيئته الملوكية (الاستقصا ج 4 ص 15)

ـ **أبو عبد الله المغربي الزاهد** استاذ ابراهيم الخواص وابراهيم ابن شيبان حج على قدميه سبعا وسبعين حجة 299هـ/911م الوافي بالوفيات للصفدي للصدفى ج 2 ص 210

ـ **أبو عبد الله الفاسي ذكر ابن بطوطة** في رحلته أنه من كبار الأولياء الذين اجتمع بهم في الاسكندرية (جامع النبهاني ج 1 ص 465)

ـ **أبو عثمان المغربي وابن عزيزة المغربي** المقيم بالجامع الأزهر مجذوب (مات عام 1010هـ) (جامع النبهاني ج 1 ص 466)

ـ **أبو القاسم بن أحمد المغربي** أوحد مشائخ خراسان في وقته صحب ابن عطاء (النبهاني ج 1 ص 476)

ـ **أبو منينة السالمي دفين شالة بالرباط** (1205هـ/1790م)

الاغتباط ج 2 ص 33

قيل هو الذي ذكره الضعيف في تاريخ الرباط باسم ادريس ولد بو منينة

ـ **أبو يعقوب البادسي** (كتاب في مناقبه لعبد الله بن محمد الأوربي (مخطوط كلية ابن يوسف بمراكش عدد 678)

ـ **أحمد بن الحاج العباس الشرايبي المفتي** (1329هـ/1911م)

(الاعلام للمراكشي ج 2 ص 280)

لـه :

1) الدلائـل النبوية والمكارم المحمدية في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (في مجلدين)

2) الرماح في بيان تملك الحوانيت التي للحبس بالبيع والشراء (خع 1113د)

- أحمد بن الحسن الغماري (874 هـ/1469م)

ترجمه محمد بن يوسف السنوسي التلمساني المتوفى عام 895 هـ/1489م في كتابه «تأليف في مناقب الأربعة رجال المتأخرين»

(راجع أبركان علي بن مخلوف ومحمد عمر الهواري وابراهيم الشاوي)

نقل عن الكتاب صاحب البستان في صلحاء وعلماء تلمسان (دم = 1002)

ترجم له أيضا محمد بن أحمد بن أبي الفضل سعيد بن صعد التلمساني المتوفى عام 1495/901 في «روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين»(راجع طبقات الحضيكي (دم = 1064)

- أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي الفاسي (1120هـ/1708م)

(الاعلام للمراكشي ج 2 ص 130/تاريخ تطوان ج 3 ص 118/الأنيس المطرب ص 6/ السلوة ج 2 ص 164/ النشر ج 2 ص 185/تاريخ حلب ج 4 ص 429 لمحمد راغب الطباخ/ Basset 28)

مصنفـــاتـه :

1) الحلل السندسية في المقامات الاحمدية (أو في الشمائل المحمدية) القدسية (خع 473 (195 ورقة)/خع 7-346/خم = 870 / 4261-4862 (طبع بفاس عام 1322هـ)

2) ديوان (مبتور الطرفين) (خم 6934) وهو في مجلد ضخم توجد بخزانة الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني نسخة عليها خط المؤلف

3) الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب ادريس بن ادريس (خع 649/493 د/45 د/ خم = 866 -1062 (طبع بفاس عام 1300هـ/1314 هـ)

4) «مقصورة في المديح النبوي» (خم = 4030) هل هي «عرائس الأفكار في مدائح المختار» (خم 5777)

5) كشف اللثام عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه الصلاة والسلام

6) السيف المسلول في قطع أوداج الفلوس المخذول (وهو رجل أنكر عليه نداء الرسول عليه السلام بالسيادة)

7) «الكنوز المختومة بالسعادة المقسومة لهذه الأمة المحرومة» في أربعة أسفار (خم = 1263)

8) ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب

9) «فتح الفتاح على مراتع الأرواح»(خم = 1525)

10) روضة الأزهار في مدح الفضلاء الأخيار خم 118

ـ **أحمد بن علي يعرف بحبيب الأندلس** (سلوة الأنفاس ج 2 ص 365)

له تقييد حول القطب عند الصوفية (خم 7246)

ـ **أحمد وعلي ومحمد السوسي** (الواو في البربرية بمعنى ابن) الهشتوكي المجتهد المشارك الزاهد (المتوفى عام 1046هـ) كان يسكن المدرسة المصباحية وله حقل يحرثه بيده يأكل من زرعه لا يلتفت إلى ما ياتيه من العطايا كان يداوي بدقيق زرع فعله ويقول :«إن الحلال ترياق الأمراض الصعبة» وقد كتب رسالة ذكرها تلميذه ميارة في شرحه الكبير للمرشد المعين لابن عاشر ـ ينكر فيها وصف أحد بالقطب العارف بالله الزاهد مع أنها كما يقول ـ أمور خفية فمن أين له أن يشهد بها «إذ ينبغي للمؤرخ أن يقتصر على أوصاف من يؤرخهم على ما هو ظاهر كالعلم وحسن الادراك والإتقان (الفكر السامي ج 4 ص 110) وهو صاحب كتاب المناصحة»

ـ **أحمد بن محمد بن ابراهيم التمكشتي** (1274 هـ/1857 م) نسبة إلى تمكدشت من قرى أكنى بسوس ألف فيه ولده الحسن «رسالة الأنوار»(راجع فهرس الفهارس ج 1 ص 192) د.م. = 826

وتمكدشت مدفن الحسن بن أحمد الدرقاوي (1296 هـ) ألف المؤرخ العربي بن علي

المشرفي كتابا في مجلد ضخم سماه (مناقب أهل تمكدشت) واسم الكتاب «نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار»(خم 5616) الاعلام للمراكشي ج 3 ص 171 (ط. 1975)

- **أحمد بن محمد بن الحسن الرهوني** (1373هـ/1953)

له : نظم في علماء وصلحاء أهل مدينة تطوان «(في 300 بيت) ألفه بطلب من الشريف محمد بن البشير بن علال الريسوني 1358 هـ/1939 يوجد في تاريخه الكبير» «عمدة الراوين في علماء وصلحاء تطاوين»(تسعة أجزاء (نسخة في مكتبة تطوان 476 د/684)

- **أحمد بن حمدون بن محمد بن حمدون بن مسعود الطاهري الجوطي** تلميذ مولاي الطيب الوزاني (1191هـ/1777م) (السلوة ج 2 ص 72)

له : تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان (فاس 1324هـ) وطبع بهامشه الكوكب الاسعد في مناقب سيدنا ومولاي علي بن أحمد (بن الطيب بن محمد بن مولاي عبد الله الشريف (لمحمد بن حمزة - المكناسي)

- **احمد بن محمد بن امحمد الكاملي الدرعي** الضرير المحدث الرحالة توفي بمراكش 1315 هـ/1897 م

زار المشرق وما ترك بلدة عن المعمور إلا دخلها برا وبحرا وكتب عدة رحلات وكان يقيم أياما في كل بلدة ثم يرحل عنها ومكث سنة في دمشق وهو متضلع في عدة فنون وهو محدث كان يحفظ صحيح البخاري ومسلم بأسانيدهما وكتب الأخبار والآداب ودواوين الشعراء القدماء والمولودين سريع الحفظ كان يسمع القصيدة المرة الثالثة فيسردها من حفظه تلاقى في الهند مع داود الكلكتي الذي عمره 200 سنة (الاعلام للمراكشي ج 2 ص239/ الطبعة الأولى/ج 2 ص 429 ط 1974/الجذوة ص 81) وقد ارتحل من مراكش إلى اكلميم بوادي نول ثم السودان واستقر بأرض غب بين سانيكان وتنبكتو ولقي أولاد سيدي الحاج عمر الفوتي كما لقي سيدي عمر نفسه وقت مقاتلته البمبرا Bambara وهي قبيلة سودانية دعاها سيدي عمر إلى الإسلام ورجع لتندوف واستوطنها من (1299 هـ إلى 1309هـ) وقد رحل إلى (عمالة اكلميم)

ـ **أحمد بن محمد داودين يعزى التاملي الجزولي أحوزى** (1127هـ/1715م)

له : 1) (قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان)

2) (إنارة البصائر في ذكر مناقب الامام ناصر وأتباعه الأكابر)

ـ **أحمد الحبيب بن محمد اليعقوبي الرشيدي** له قصيدة في مدح القطب أبي يوسف يعقوب الوامغاري الحسني (110 بيت) خع = 1103

مطلعها :

زارتك تختال بين القضب والسمر فافرش لها العين واغنم لذة السمر

(يوجد أحمد الرشيدي صاحب «الالمام بمسائل الاعلام»(مكتبة تطوان 112) وأحمد بن محمد الرشيدي المكناسي

ـ **أحمد الأندلسي البصير** قال عنه السخاوي إنه إمام علامة قدوة مربي المريدين شيخ الطريقة قطب وقته يعرف بابن غزالة كان أبوه ملكا ببلاد المغرب وذكر صفي الدين بن أبي منصور في رسالته أنه تلميذ الأستاذ أبي أحمد جعفر الأندلسي تلميذ أبي مدين شعيب وأفرد له بعضهم كتابا سماه (الكوكب المنير في مناقب أبي العباس البصير) له زاوية مات فيها حوالي الستمائة (هـ انتهى كلام السخاوي)

ـ **أحمد الوادنوني الشيخ الصوفي** (1349هـ/1930م) له طريق انتشرت من وادي نون إلى الاخصاص إلى الساقية الحمراء حيث انتشر أصحابه «وكثير منهم كانوا لصوصا فتابوا على يديه» وكان ممن أعرض عن شرب الأتاي حتى مات (المعسول ج 19 ص 115)

ـ **اعرجان حسين (أو حساين)** الولي الصالح ضريحه معروف بمراكش (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 211 (ط. 1975)

ـ **الامان الاسود أبو اسماعيل المراكشي** (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 55 (ط. 1975)/ التشوف ص 469/ السعادة الابدية ج 2 ص 114)

- **الحسين بن عمر بن مزور الفاسي** أخذ عن سيدي العربي بن إدريس العلمي الموسوي له مواقف وطنية وكان رئيسا للمجلس العلمي لجامعة القرويين بعد الاستقلال وكان من الموقعين على عريضة الاستقلال عام 1944 توفي عام (1376هـ)

له: السيوف المهندة السنان لمستعمل التبغ من الإخوان والحلل الزنجفورية على البردة البوصيرية (حزآن) وتقييد في الشهي عن إغلاق المتاجر يوم الجمعة وفهرسة لشيوخه سماها (إتحاف الأعيان).

- **الحسن المراكشي الشريف** (1296 هـ/1878 م) (الاعلام ج 3 ص 171 - ط 1975)

- **حسين الآدمي** : كان مقيما بالحسينية بمصر قال تلميذه أحمد الزاهد أصله من مراكش كان له بها أرض يرعى فيها غنمه قال الشعراني لما جاء إلى مصر كان كل يوم يرسل غنيماته مع النقيب يرعاها ويبيتها بمصر توفي عام (811 هـ)

(طبقات الشعراني ج 2 ص 65)/ (جامع كرامات الأولياء ج 2 ص47)

- **الحسين اليعقوبي** من أحفاد محمد بن يعقوب الصنهاجي الصالح المشهور في القرن العاشر (1318 هـ/1900 م) (الاعلام ج 3 ص 212 - ط 1975)

- **خليفة بن مسعود الجابري المغربي** (ت 833) سكن بيت المقدس (النبهاتي ج 2 ص 61)

- **رضوان بن عبد الله الجنوى** أورع اهل زمانه لا يترك أحدا يقبل يده قال فيه الامام القصار لو أدركه أبو نعيم لجعله في الحلية ألف في مناقبه تلميذه أحمد بن موسى المرابي «تحفة الاخوان» في مجلد وقد نظم (الحلية) لأبي نعيم (ت 991 هـ) ولم يخلف بعد تجهيزه ما يورث عنه سوى حصير للصلاة وخيط يشمر به أكمامه للوضوء وقد بيعا بسبعين مثقالا فاشتروا بها بقعة لبناء زاوية هي باسمه إلى الآن بفاس (الفكر السامي ج 4 ص 103)

- **سعيد بن عبد الله المغربي المجذوب الصالحي** المجاور بجامع الأزهر كان له مال جم من ذهب وفضة وفلوس أشار الحافظ ابن حجر على تطوافه على عدة أماكن يوزع ما في قفيفته من مال(النبهاتي ج 2 ص98)

ـ شقرون الوهراني محمد بن محمد بن أحمد بن أبي جمعه المغراوي الفاسي المتوفى عام (929 هـ) عرف بشقرون لأنه كان أشقر اللون أحمر العينين قدم على فاس ودرس بها أخذ عن ابن غازى وأحمد الدقوق وهو صاحب (الجبين الكمين في الرد على من يكفر عوام المسلمين)

ـ شعيب بن موسى بن عبد الرحمن بن سليمان بن عزيز المحمدي الجنياري الصفراوي الفاسي أبو مدين أخذ عن أبي زكرياء السبتي وعز الدين بن عبد السلام زاد عمره على المائة (الدرر الكامنة ج 2 ص 291)

وجنيارة مدينة بإقليم فاس منها أبو عمران الجنياري المتوفى عام 649 هـ/1251م (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ـ الجزائر 1920 ص87) (وورد في الذخيرة ص 67 أنه توفي عام 642 هـ) وعبد الرحمان بن محمد الجنياري (تاريخ تطوان لداود ج 2 ص 363) وعبد السلام بن محمد الجنياري (ج 2 ص 363) ومحمد الجنياري الفاسي (جذوة الاقتباس ص 147/درة الحجال ج 1 ص 287)

ـ شقران بن عبد الله المغربي القيراني أحد أيمة الصوفية وهو شيخ ذي النون المصري (النبهاني ج 2 ص 121)

ـ عبد الحليم بن هارون بن سعيد الهسكوري (التشوف ص 340)

ـ عبد الرحمان بن أحمد الإدريسي المكناسي نزيل مكة قطب زمانه ولد بمكناس ثم رحل إلى مصر والشام وبلاد الروم واليمن ذكره النبهاني كراماته (ج 2 ص 163)

ـ عبد الرحمن المجذوب بلغ درجة كبرى في الولاية وقد كتب عنه مؤرخون غربيون أمثال (بريمارى)

A.L .De Permare (Sidi Abd-er-Rahman el-Mejdûb; mysticiam populaire, société et pouvoir au Maroc au XVI e s, Paris, CNRS et Reed, SMER, 1985

وهناك عبد الرحمن المجذوب آخر من أكابر الأولياء ترجمة الإمام الشعراني (944 هـ) دفن في زاويته بالحسينية قرب جامع الملك الظاهر (جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 159)

ـ **عبد السلام بن عبد الرحمن** بن علي بن سعيد الصفراوي قاضيها (1131هـ / 1719م) له

1. شرح (الغنيمة الناصرية) (خع 2204 ك)
2. (الفتح المبين في شرح عدة الحصن الحصين) (خع 1901 ك)
3. تاريخ دول وأحداث المغرب (د.م.493)
4. طبقات في التراجم (د.ل. 1073)

تاريخ الوراقة ـ المتوفى (ص 120)

ـ **عبد العزيز بم محمد الباغاني** من (باغة) بالأندلس (معجم البلدان ج 3 ص 326 / نفح الطيب ج 1) وهو من الصوفية المغاربة ذكره صاحب التشوف (ص 186)

ـ **عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة** الكوهن (1254 ص) له كتاب حول شرح الأجومية على لسان الصوفية خق 34 (7432) ذكر أبو المواهب سيدي العربي بن السائح العمرى الرباطي في (إفادات وإنشادات) (مخطوط في خع) بصدد نسب الشيخ عبد القادر الكوهن أن سيدي محمدا بناصر ذكر في فهرسته أنه من ذرية جعفر الصادق وذكر أنه من ذرية المقداديين

ـ **عبد الكريم السرغيني** له رسالة جوابية عن سؤال حول الصلاة على الرسول عليه السلام هل يقتصر فيها على ما ورد في الرواية لخصها العلامة الفاسي عبد الرحمن بن إدريس المنجرة (نسخة في خع 1755د)

ـ **عبد الله بن محمد الطاهر بن محمد التازي الكرسيفي**

له :1) (قرة العين في رؤية النبي يقظة أو بين بين) (خح 684)

2) تعليق الخمائل فيما أغفله شراح الشمائل (خح 4440)

ولعله المعروف أيضا باسم عبد الله بن الطاهر بن حم التازي صاحب (عنوان السرور في اقتناء الأجور) (خح 4891)

ـ عبد الله بن محمد الوردي المراكشي

له رحلة للمشرق سمع فيها الحديث وله سند صحيح إلا أنه ليس من أهل العلم كان حيا (عام 929هـ/1590م) وقد أجاز ابن القاضي

(درة الحجال ج 2 ص 342 ط. 1354هـ/1936م/الاعلام ج 8 ص288 ـ ط. الرباط)

ـ عبد الله بن مسعود الكوش كان وكيل مطبخة شيخه عبد الكريم الفلاح وقد دخل على يده لأول مرة إلى المغرب كتاب (تنبيه الأنام في الصلاة على النبي عليه السلام) منحته إياه امرأة نصرانية في (أزمور) كان لا يرى الصلاة في (القرويين) لانحراف محرابه عن أدلة القبلة توفي مقتولا عام 960 هـ/1552م)

(الدوحة ص 82 /السلوة ج 3 ص 339 / ج 3 ص 168/طبقات الحضيكي ج 2 ص 182/ (الإعلام ج 8 ص 276 ـ ط. الرباط)/دوكاستر ـ س.أـ السعديون ج 1 ص 147) له زاوية أمره بإخلائها محمد الشيخ السعدي ورحله إلى فاس عام (960 هـ)

ـ **علي بن أبي الغوث** انتقل من المغرب إلى طبلية بالمنوفية في مصر وهو جد الشيخ مدين ابن أحمد الأشموني (جامع كرامات الأولياء للنبهاتي ج 2 ص 324)

ـ **علي بن شهاب الشعراوي** جد الشيخ عبد الوهاب ينتهي نسبه إلى سلطان تلمسان أبي عبد الله في الجد الرابع وبعد إلى سيدي محمد بن الحنفية (جامع كرامات الأولياء ج 2 ص 361)

ـ **علي بن أبي القاسم أبو سجدة الدكالي المشترائي** (ت 946 هـ/1539) (أو 951هـ حسب سيدي العربي الفاسي ودفن في سور الحجر قرب جامع الكتبيين الذي بناه يوسف بن تاشفين بمراكش ويسمى أيضا السجينة (الاستقصا ج/ص 107)

ـ **علي بن أحمد بن الحسي الحرالي** توفي بالشام عام (637 هـ/1239 م) ولد بمراكش كان أعلم الناس بالمنطق والطبيعيات والإلاهيات من حرالة عمل مرسية كان ينقض النجاة لابن سينا وكان ابن تيمية يقول (أنه تصوف على طريقة الفلاسفة) عنوان الدراية ص 85 /

النفح ج 1 ص417 ـ ج 2 ص 387 / تكملة ابن الأبار ص 687 / ميزان الاعتدال ج 2 ص 218/ لسان الميزان ج 4 ص 204 / النيل ص 188 / تاريخ بروكلمان ج 1 ص 527 (الملحق ج1 ص 735) طبقات المفسرين للسيوطي ص 22 له :

1 ـ (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل) (وهو تفسير جعله قوانين كقوانين أصول الفقه حسب ابن حجر وهو نفيس الموجود منه إلى قوله تعالى ﴿كلما دخل عليها زكرياء المحراب ...﴾ وقد أقرأ الفاتحة في ستة أشهر حسب الغبريني.

2 ـ (المعقولات الأول (منطق).

3 ـ الوافي (فرائض).

4 ـ تفهيم معاني الحروف (ذكر فيه أنه يستخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها.

5 ـ الإيمان التام بمحمد عليه السلام.

6 ـ السر المكتوم في مخاطبة النجوم.

ـ **علي بن قاسم** من شرفاء القواسمة وهو جد سيدي اسماعيل (اسماعين) الذي يوجد ضريحه في الطريق بين الجديدة ومراكش ويقال بأنه تلميذ المجاهد العياشي والقواسمة هم بنو عمومة الأمغاريين وقد كان أحد شيوخهم أستاذا للامام الجزولي ومن تلاميذ الشيخ اسماعيل أمغار عبد العزيز بن بطال الصنهاجي دفين (تيكنى) التي توجد أنقاضها على بعد ساعة من الجديدة ويوجد ضريح سيدي علي بن قاسما قرب صومعة (المكرجة) التي قطع رأسها وقد ورد في (سلوة الأنفاس) أن قاسم بن عبد الله بن ادريس هو جد الامغاريين أما شيخ (تيط) فهو أبو عبد الله محمد بن جعفر بن اسماعيل رئيس الطائفة الصنهاجية.

ـ **علي بن محمد الرحماني** الهنتيفي له (رسالة في التصوف) كتبها لبعض إخوانه (خع 1388د).

ـ **عمر بن محمد المغربي** العارف جار الله (النبهاني ج 1 ص 421) وأبو التيمائي المغربي (ص 450) مات بمصر نيفا وثلاثمائة وأربعين.

- **عيسى المراكشي** مفتي مراكش ذكره محمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي المتوفى بدمشق عام (1094هـ) في فهرست مشائخه وكذلك المحبي في (خلاصة الأثر) (توفي عام 1059هـ)

- **العيشاوي محمد** بن أبي القاسم الفيلالي التادلي الرباطي المفتي شيخ المولى سليمان (كما في جمهرة التيجان) كان يقرئ (الفتوحات المكية) لابن عربي.

- **فارس بن الحسين** الوريكي الأغماتي أبو الغنائم صاحب سيدي عبد الله بن حسين (الإعلام للمراكشي).

- **محمد بن إبراهيم** السباعي التكرور له:

1) (نبذة بسيرة في التعريف بمولانا عبد القادر الجيلاني) (خع 1661د)

2) (تقاييد في الأنساب) (خع 1661د) (م: 2-4)

3) إقامة الحجة في واضح المحجة) (خح 464)

- **محمد بن ابراهيم** بن محمد بن عبد الرحمن الزرهوني له (رحلة اسمها (الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد) (ألفها في رحلة والده شيخ زاوية تصفت بوادي نفيس إلى مكناس يأمر المولى اسماعيل عام (1125هـ/1713 م) وقد هدمت هذه الزاوية خلال حوادث 1127هـ/1715م (خع 1607د).

- **محمد بن أحمد بن ابراهيم** القرشي من أعيان مشائخ المغرب رأى رب العزة في النوم ألف مرة كان يمشي على الماء سكن مصر وبيت المقدس (جامع كرامات الأولياء النبهاني ج 1 ص 193) .

- **محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي** الأيسي الملوكي (1189هـ/1775) له شرح نصيحة زروق).

- **محمد بن إسماعيل** المغربي أستاذ ابراهيم الخواص انتهت إليه رياسة الصوفية وتربية المريدين بالماكة العراقية (للنبهاني - ج 1 ص 176).

ـ **محمد بن أحمد المختار** السباعي المعروف بالجيلالي الفقيه الصوفي (1212هـ / 1797م) (قيل عام 1215هـ) توفي في توجهه للغزو ببلد الصعيد المصري لجهاد النصارى ودفن هناك بقرية (أحكاز) وقد جاء بجيش من مكة للجهاد فنجانوه ومات غيظا وقد استظهر كتاب (القاموس) حفظا وإتقانا وكذلك (تفسير القرطبي) له :

1 ـ (رجز في مدح سيدنا حمزة).

2 ـ (رجز في المديح النبوي).

3 ـ رجز في مدح بعض صلحاء المغرب (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 144 ـ الطبعة الأولى / ج 6 ص 147 ـ طبعة 1975 / عجائب الأبار للجبرتي ـ ج 3 ص 44 ـ المطبعة الأميرية / (تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع) لأحمد بن عبد السلام بن محمد بن أحمد بناني (ءاخر الجزء الثاني – المكتبة الملكية بالرباط رقم 345).

ـ **محمد المهدي بن البشير بن عبد الحي البربوشي** التجاني علامة مشارك كان يكثر من شرب الشاي للاستعانة على التجهد بالليل (راجع محمد بن حم البربوشي ومحمد اليربوشي (1290هـ (في الإعلام ج 6 ص 53 ـ الطبعة الأولى) ومحمد المعطي بن محمد اليبروشي (1331هـ) (الإعلام ج 6 ص 264 ـ الطبعة الأولى) (الإعلام ج 6 ص 108 ـ الطبعة الأولى / ج 7 ص 58 ـ ط. الرباط).

ـ **محمد بن عبد الله** بن عبد العزيز المجذوب القصري المكناسي: كان حيا عام 1228هـ / 1813م).

ـ **محمد المفضل بن الحسن** أزيات الخرشفي الخمسى أصلا الشفشاوني دارا السعيدي انتقالا حلاه صاحب (فهرس الفهارس) (ج 2 ص 229) بالفقيه المسن الصوفي الناسك القاضي.

ـ **محمد بن العباس** بن الحسن بن محمد بن يس الجزولي الفاسي له (فهرسة) اسمها (المواهب القدسية في أسانيد بعض المشائخ الصوفية) مع بعض الكتب البهية والمسلسلات النبوية.

ـ **محمد بن سعيد المريغي** العلامة السوسي نزيل مراكش حيث توفي (عام 1090هـ) (خلاصة الأثر للمحبي/جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 1 ص 340).

ـ **محمد بن عبد الرحمن** اليسيتني الفاسي المفتي رحل إلى الأقطار وأتى بعلوم اندثرت من الديار الإفريقية فأحياها له شرح مختصر خليل وجزء في الرد على البلبالي في إنكاره القول بطهارة بول المريض الذي صارت له أوصاف الماء بحيث باله كما شربه (ت 959 هـ)

ـ **محمد بن علي** بن محمد العدلوني الدمناتي المفتي (1306هـ/1888م)

أخذ عن علماء مصر حيث بقي ثمانية أعوام وتصدى للفتيا في قبائل دمنات فطواكة والسراغنة وهنتيفة وجبال درن له :

1) (شرح البردة).

2) (كتابة على السنوسية) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 118 (الطبعة الأولى) ج 7 ص 66 ط.الرباط).

ـ **محمد تقي الدين بن ماء العينين** المتوفى بمراكش (1320هـ / 1602) قيل كعلم في المهد (الإعلام للمراكشي ـ ج 7 ص 132 ـ ط. الرباط.

ـ **محمد بن محمد بن المعطي** السرغيني الشاعر (1329هـ/1911م)

له : 1) (حل الطلاسم في شرح صلاة القاسم) (طبع بمصر)

2) (شرح الانموذجية)

3) (شرح الحكم العطائية) (لم يكمل)

4) (ديوان في المدح النبوي) (راجع نماذج منه في الاعلام)

5) (روض الجنان فيما لشيخي من الخصوصية والعرفان)

(يقصد سيدي محمد بن الكبير الكتاني) (السلوة ج1 ص 125)

6) (المنحة العطوفية في جواز الرقص للصوفية) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 244 ـ الطبعة الأولى/ج 7 ص 177 ط.الرباط)

ـ **محمد بوجيدة الصوفي** (1298هـ / 1880م) (الإعلام ج 5 ص 336 ـ الطبعة الأولى / ج 6 ص 331 ـ ط. الرباط).

ـ **محمد أبو عطفة** الولي الصالح دفين مراكش (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 228 ـ طبعة الرباط 1975

ـ **محمد (فتحا)** الشقيق أحد أولياء مراكش (الاعلام ج 7 ص 227)

ـ **محمد الغريب** دفين مراكش (الاعلام ج 7 ص 227).

ـ **محمد بن محمد العكاري** الرباطي دفن بمراكش في مقبرة آل العكاري وهي مقبرة الشريف التركي جده لأمه (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 363 ـ الطبعة الأولى) (الاغتباط ج 1 ص 86).

ـ **محمد التاودي بن محمد** (فتحا) السقاط، له كتاب (خرق العوائد واستجلاب الفوائد) ذكر فيه أحوال سيدي محمد الفران وشيخه سيدي قدور العلمي (أتمه عام 1288هـ) (الإعلام ج 5 ص 333 ـ الطبعة الأولى ـ ج 6 ص 328 ـ ط. الرباط).

ـ **محمد المطيع** بن محمد العباسي مفتي مراكش وقاضي الجماعة بفاس (1295هـ / 1878م). شرح مثلث الغزالي في الأوقاف (الإعلام ج7 ص17 ـ ط. الرباط).

ـ **محمد بن محمد** بن الشيخ الغيغائي : عارف بالتعديل والنجوم والكيمياء وسر الحرف قرأ بفاس أخذ سر الحروف عن والده نشر له (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 168 ـ طبعة 1975) وصفا للارتباطات بين العالم السفلي والعالم العلوي ومثل لذلك بقضية البيعة للسلطان المولى عبد الحفيظ).

ـ **محمد بن محمد المراكشي النجيجي** العلامة المشارك توفي أواخر 1300هـ/1882م له:

1) شرح كتاب الانسان الكامل للجيلي فحمل عليه محمد بن أحمد المدعو السيد لأنه شرح كلام الجيلي بكلام أهل الظاهر.

2) شرح على الحكم العطائية (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 92) الطبعة الأولى .

ـ **محمد بن محمد بن المعطي** السرغيني (1329 هـ/1911م) له ديوان في المدح النبوي (نماذج منه في الاعلام ج 6 ص 260 ـ الطبعة الأولى)

ـ **محمد بن محمد الواورغتى** التادلي من أكبر العارفين أشار إلى بعض كراماته الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الفاسي في كتابه «صلة الخلف بموصول السلف» واتصل به وأصبح معلما لأولاده (النبهاني ج 1 ص 332).

ـ **محمد بن المعطي** بن أحمد بن محمد بن يوسف السرغيني المعروف بحدو السرغيني (من العمرانيين بدادس) قاضي مراكش (1296هـ/1878م) فهرس الفهارس ج 1 ص 268 / الاعلام للمراكشي (ج7 ص 19 ـ طبعة الرباط).

له : 1) (كناشة (خع 491 م 5)

2) (حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار) (فهرسة أشار إليها صاحب (فهرس الفهارس) (ج 1 ص 268) ترجم فيها المؤلف لأشياخه من فاس ومراكش وأغمات (نسخة بخزانة سيدي عبد الحي الكتاني عدد 1287).

3) (قصيدة في التوسل بمشاهير حمراء مراكش مطلعها :

إليك أبا يعقوب رفع شكيتي　　　أيوسف إني في حماكم بآل

كان يستسلف أموال المحاجير والمقدمين ويعطيهم خط يده ويشتري بذلك الأصول فبيعت بعد موته فاستغرقت أملاكه

ـ **محمد بن المنصور المصباحي** من (جزيرة البسابس) قرب القنيطرة

ـ **محمد الشربيني** شيخ طائفة الفقراء بالشرقية من أعمال مصر وذكروا أن له ذرية بأرض الغرب من بنت سلطان مراكش (جامع كرامات الأولياء ج 1 ص 296).

ـ **محمد العطار المغربي** العالم الصالح الكامل كان يسابق على ضيافته من ورد من فاس من الأعراب واتخذ الجيلاني وابا يعزى شيخين له (مات عام 860 حسب المناوي).

ـ **محمد ماني الصنهاجي** (1333هـ / 1914م) له :

(البشارة التي تسر الناظرين في حديث لا تزال طائفة من أمة ظاهرين (في خمسة مباحث في كراريس ثمانية من القالب الرباعي مشيرا إلى أفضلية المغرب على المشرق. ذكر في المبحث أن المراد بالطائفة أهل فاس (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 264 (الطبعة الأولى ـ ج 7 ص210 (ط. الرباط).

ـ **محمود الشنكيطي** المتصوف : قبض عليه المولى محمد بن عبد الله عام (1175هـ) وكان قد قدم من بلده إلى فاس ونزل بمستودع القرويين وأظهر التمسك فاجتمع عليه الأعيان والتجار وصار يكاتب البربر ضد السلطان فسجن بمراكش (الاستقصا ج 4 ص 98).

ـ **مسعود بن عبد الله المغربي** الشيخ الصالح العارف بالله نزيل دمشق قال النجم الغزى كان يعمل الأبواب المغربية لجدران بساتين دمشق وكان لأهل دمشق كبير اعتقاد فيه توفي (985 هـ).

ـ **موسى ابن أبي علي** (وقيل علي) الزياتي الزموري نزيل مراكش (702هـ / 1302م) (وقبل 772مم) (النيل ص 342 / درة الحجال ج 3 ص 8) له كتاب في المولد النبوي.

ـ **موسى بن عبد الله الأسود** أبو عمران من أصحاب أبي إبراهيم السفاح وأبي عبد الله بن تميم (التشوف ص 367/ السعادة الأبدية ج 1 ص 133/ الإعلام ج 7 ص 293 ط. الرباط).

النســـاء الصـــوفيـات

برز من النساء المغربيات جملة غير قليلة ممن كان لهن حظ وافر في التصوف سلوكا ووعظا وإرشادا وانبت بينهن أخريات عرفن بالعلم والأدب ونظم الشعر لا نعلم مدى صلتهم بالتصوف ويلاحظ نفس الوضع في الشرق وقد أدرجنا بعضهن كأنموذج للمرأة المغربية في هذا المجال.

والغريب أن الكتابات السرية في القصور الملكية كان يعهد بها إلى نساء القصر مثل خناثة بنت بكار زوجة السلطان المولى إسماعيل التي كانت عالمة صالحة (العز والصولة لابن زيدان ج 1 ص 271).

والواقع أن المرأة كان لها دور في التوجيه منذ صدر الإسلام حيث ندب الرسول عليه السلام النساء بعد الهجرة إلى المدينة لتعليم الكتابة والقراءة واتخذ لذلك مدرسة «دار مخرمة بن نوفل» (الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 150) موظفا لهذه المهمة النساء خاصة.

وكانت النساخة والخطاطة بالأندلس من حظ النساء حيث حكى ابن الفياض في تاريخه في أخبار قرطبة أنه كان بالربض الشرقي وحده لهذه العاصمة الأموية مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي.

وقد اقتسمت قبيلة بني دغوغ المغرب وصحراءه مع رجراجة وصنهاجة وكان لها من وادي سبو إلى جبل مكة والجبل الأخضر ووادي درعة وجبل قشتالة إلى دمنات وعدد نسماتها 75000 وقد حفظ القرآن والمدونة من بني دغوغ 676 رجلا وخمسمائة صبية ممن اتفق أن اسمهن مماس فضلا عمن يسمين بغير ذلك الاسم كما أكد ذلك اليوسي في حديثه عن الرجراجيين (المعسول ج 4 ص 9) / (بخزانة القائد الجراري بضواحي تزنيت بسوس وعند بعض المستشرقين بسلا) (د.م. = 189)

ولم تكن النسوة الصوفية بالمغرب أقل ورعا وزهادة من أخواتهن بالمشرق أمثال ربيعة العدوية ومن نهج نهجها كست الملوك التي ذكر صفي الدين بن أبي منصور أن

الأولياء والعلماء كانوا يعظمونها (جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 88) وفاطمة النيسابورية شيخة ذي النون المصري (155 هـ / 245 هـ) التي قال عنها أبو يزيد البسطامي «ما رأيت في عمري إلا رجلا وامرأة وهي فاطمة النيسابورية» وقال ذو النون : ما رأيت أجل منها كانت مقيمة بمكة وماتت عام (223 هـ) (المناوي)

- أم عصفور تيعزات بنت حسين الهنتيفي (التشوف ص379).

- أم هانئ أمة الرحمن بنت القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية تتلمذت لوالدها وأخذ الناس العلم عنها وهي والدة أبي جعفر أحمد الأديب طبيب المنصور الموحدي.

ذكر ابن عبد الملك أن لها تصانيف في الوعظ والأدعية (النفح ج 6 ص 28).

- تميمة بنت يوسف بن تاشفين أم طلحة اللمتونية كانت راجحة العقل جيدة النادرة سكنت مدينة فاس شهرت بالأدب والكرم ذات ثروة تشرف على إدارة دواليبها ولها كتبة تحاسبهم بنفسها (التكملة لابن الأبار ص407 / الجذوة ص 105 / الإعلام للمراكشي ج 3 ص 91 - طبعة الرباط).

- حواء بنت إبراهيم المسوفية قارئة القرآن ومحاضرة في الأدب والشعر هي أخت زينب بنت إبراهيم.

- ربيعة بنت محمد الحضرمي حفيدة الشيخ ماء العينين الصحراوية لها عارضة في الأدب نقادة للشعر.

- رقية بنت الحاج ابن العايش اليعقوبية أديبة فقيهة عارفة باللغة والتفسير والشعر والسيرة النبوية وأسرار الحروف والأسماء درس عليها الرجال والنساء خاصة التفسير حيث كانت تتوخى أسباب النزول وعلوم القرآن (توفيت أوائل القرن الرابع عشر الهجري).

- زينب بنت إبراهيم بن تيفلويت زوج أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين كانت تحفظ جملة وافرة من الشعر (التكملة ص407).

الأولياء ودورهم في مغرب Ahmed el Warith القرن السادس عشر (دبلوم دروس عليا فاس 1988).

ـ زينب ابنة الخليفة يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي

تزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص عمر بن عبد المومن أخذت علم الكلام وأصول الدين عن أبي عبد الله بن إبراهيم إمام التعاليم والفنون فكانت عالمة صائبة الرأي فاضلة (التكملة ج 3 ص747).

ـ سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية الفاسية صوفية شاعرة وطبيبة ماهرة توفيت بمراكش بين (656 هـ و 685 هـ).

ـ عائشة البجعدية خاتمة الفقهاء المجتهدين إليها ينسب العيشاوي محمد بن أبي القاسم الفلالي التادلي الرباطي المفتي تلميذ الشيخ المعطى بن صالح وقد تتلمذ له المولى سليمان كما في جمهرة التيجان للزياني وهو صاحب شرح العمل الفاسي وصهر الشيخ العربي بن المعطى الشرقي وكان يقرأ الفتوحات المكية لابن عربي له قصيدة توسل بأهل بدر.

ـ عائشة بنت أحمد بن عبد الله أخذت عن الشيخ عبد الله الغزواني ولقيت الشيخين أبا محمد الهبطي وعبد الوارث (ت 969 هـ / 1562) هي والدة ابن عسكر صاحب الدوحة (الدوحة ص 19 ـ طبعة فاس 1309هـ/1891م/ ممتع الأسماع ص 91)

ـ عائشة بنت عبد الهادي خاتمة أصحاب الحجاز أخذ عنها الحافظ المغربي محمد بن موسى جمال الدين المراكشي (ت 822 هـ / 1420) (الإعلام للمراكشي ج 4 ص 50 /ذيول طبقات الحفاظ / شذرات الذهب ج 7 ص 162) وقد أجازه ابن عرفة ودخل مصر والشام واليمن وولي مدرسة الناصر حيث مات).

ـ عائشة اليابورية : بنت الحاج أحمد الفاسي الرباطي ذكر صاحب (الاغتباط) أنه وقف على رسم مخارجة بتسجيل القاضي المهدي مرينو عام (1223 هـ) أن عائشة هذه هي التي يوجد قبرها بظاهر (العلو) بجوار قبر القاضي عبد الرحمن السرايري وهي بنت الحاج أحمد الفاسي.

ـ عزيزة : السيدة الصالحة الشهيرة بوادى القاهرة إزاء (إيمينتانوت) وهي دفينة (سكساوة) مدحها محمد بن داني الندرومي بقصيدة (من خلال جزولة ج 2 ص 148/ أنس الفقير لابن قنفذ).

مدحتك حبا يا عزيز بلا ريب وزرتك غبا فاعذري الصب في الغب

ثم قال:

وطاول عزك الشواهق والذرى وفضلك عم الأرض بالشرق والغرب

وخيرك هام في البوادي وفي القرى وجاهك معروف لدى العجم والعرب

(الإعلام للمراكشي ج 7 ص 186 طبعة الرباط).

ـ الغالية بنت إبراهيم السباعية (1305 هـ / 1887) كان لها باع في الفقه والفرائض واللغة (المعسول ـ المختار السوسي ج 18 ص 109).

ـ الغسانية زوجة الشيخ عتيق بن محمد الغساني الجنان وهي حرفته كان يتلبس بها ويتعيش منها ويلقب بإبريل لطوله وهو مقرئ دخل مراكش وأغمات وريكة وأقرأ بهما (توفي بغرناطة في حدود (670 هـ) وكانت هذه الغسانية أستاذة في القراءات السبع (الذيل والتكملة سفر 5 ق 1 / ص 130).

ـ فاطمة العباسية مما يحكيه المناوى عن ابن تيمية أنه علم بأن فاطمة بنت عباس الشيخة المفتية المدرسة الفقيهة الصوفية أم زينب البغدادية كانت تصعد المنبر وتعظ الناس وكان ابن تيمية يتعجب من علمها ويثني على ذكائها وخشوعها وقد توفيت بالقاهرة يوم عرفة (714 هـ) وذكر ابن تيمية أنه أنكر صعودها على المنبر فأراد نهيها فرأى المصطفى عليه السلام مناما فقال : «هذه المرأة صالحة».

ـ مسعودة بنت أحمد بن عبد الله الوزكيتي تعرف بعودة أم المنصور الذهبي (1000 هـ/1591) كانت لها توبة نصوح فعنيت بإصلاح السبل وعمارتها وتأمين أهلها وتشييد النزلات بالأمكنة الخالية في الصحراء والبادية المغربية وقد أصلحت جسر وادي أم الربيع وجهزت اليتامى وزوجت الأرامل وبنت مسجد باب دكالة بمراكش (عام 965 هـ)وأوقفت عليه نحو سبعين حانوتا وأسست بإزائه مدرسة للطلبة الغرباء ومكتبة وذخائر كتبت على بعضها بخط يدها منها (الجزء الأول من بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب (الأحكام) لأبي الحسن علي بن القطان (ت 628).

ـ منية بنت ميمون الدكالي المكناسية توفيت بمراكش عام (595 هـ) تحدث عنها ابن الزيات فذكر أنها كانت برباط شاكر حيث أكدت أن ألف امرأة من الأولياء حضرن هذا الرباط في عام واحد (التشوف ص 313).

ـ ميمونة بن عمر الدرعية أم الإمام أحمد بن إبراهيم الدرعي رابعة الصوفية المغربية نفيسة زمانها ورابعة أوانها (1051 هـ/ 1641 م) مناقب الحضيكي ج 2 ص141) وتوجد عدوية مغربية أخرى هي عائشة العدوية المكناسية (1080 هـ/ 1669 م) (محاضرات اليوسي)

ـ نصر بن علي بن محمد الدرعي (معجم البلدان ج 4 ص 53)

. والواقع أن النساء العالمات الوارعات في المغرب لا يبلغن مبلغ أخواتهن في المشرق مكانة وعددا ولاسيما وأن المغرب الأقصى لا يمكن أن يقارن إلا بكل بلد إسلامي على حدة فإذا انطلقنا من هذا المفهوم فالمرأة المغربية إلى جانب ضلاعة نماذج منها في مختلف العلوم والفنون تشكل فسيفساء متعددة الأصناف والمنازع مع غلبة الورع والاستقامة ومثالية السلوك لدى معظمهن فمنهن من كن مستشارات لأزواجهن من الأمراء والرؤساء ساهمن بحظ وافر في الإسعاف الاجتماعي ورصد الأوقاف للمعوزين وإقامة المعاهد ويكفي أن نعلم أن جامعة القرويين إنما أسستها فاطمة ام البنين بنت محمد بن عبد الله الفهري عام 245 هـ بينما أقامت اختها مريم جامع الأندلس الذي كان ينافس جامعة القرويين حوالي القرن الرابع الهجري وقد برزت في هذا الميدان الأميرة الحسنى بنت سليمان النجاعي زوجة المولى إدريس الثاني (الدرر السنية ص 8) وعاتكة بنت الأمير علي بن عمر بن المولى إدريس زوجة الأمير يحيى التي كان لها دور في تحرير مدينة فاس عام (281 هـ).

ومن العالمات الوارعات أم الحسن بنت سليمان بن أصبغ المكناسي تلميذة الإمام بقي ابن مخلد (الذيل والتكملة) وقد أشار إلى أم طلحة تميمة بنت ابن تاشفين ابن الأبار في آخر كتابه في النساء وابن القاضي (في الجذوة ص 106) وكانت حواء بنت إبراهيم المسوفي تحاضر وكذلك أختها زينب كما كانت حفصة الركونية أستاذة عصرها (الاحاطة لابن الخطيب والدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص 165).

وكانت أم العلاء العبدرية نزيلة فاس تعلم القرآن بغرناطة وأم العز العبدرية مجودة للقراءات السبع وروت عن أبيها صحيح البخاري وزينب القرقولية المحدثة الضابطة المتقنة والسيدة زوجة عتيق الغساني نزيلة مراكش وأغمات أستاذة في القراءات السبع (تكملة ابن عبد الملك) وأم المجد مريم بنت أبي الحسن الغافقي التي وصفها بالعجوز المسندة محمد بن القاسم السبتي في (اقتصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار) (ص 5) وخيرونة الفاسية التي كانت تحضر مجلس عثمان السلالجي إمام أهل فاس في الأصول ولها ألف (العقيدة البرهانية) على طريقة الأشعري.

وقد عرف كل عصر من عصور المغرب شيخات بارعات وارعات ففي عهد المرينيين تبغت الفقيهتان فاطمة وأم هانئ بنتا محمد بن موسى العبدوسي وأم البنين الضليعة في الفقه جدة الشيخ زروق وصفية العزفية السبتية وهي من فضليات نساء عصرها علما وورعا وجارية الحكيم الجزناتي فيلسوف المغرب برعت في فنون الشعر (جذوة الاقتباس ص 58) وست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي السبتي (أجاز لها ابن رشيد عام وفاته 721هـ (أزهار الرياض) وأمة الرحيم السبتية أجاز لها جماعة وأم قاسم زهرة جدة الإمام حسن المرادي الآسفي المعروفة بالشيخة.

وفي عهد الوطاسيين كانت السيدة الحرة نموذجا حيا في النضال ضد البرتغاليين في تطوان وطنجة وأصيلا.

وكان لمسعودة الوزكيتية والدة أحمد المنصور السعدي عناية بإصلاح السبل وعمارتها وقد عرفت أم كلثوم بنت الشيخ بناصر الدرعى بعلمها وصونها قرأت الوغليسية والبردة في السيرة.

وفي العهد العلوي صار صست الأميرة خناثة بنت بكار المغافرية زوجة المولى إسماعيل فقد ذكر صاحب الجيش العرمرم (ص 105) أنها حصلت العلوم وكتبت على هامش الإصابة لابن حجر وكانت الزهراء بنت محمد الشرقي وزوجة اليوسى شيخة فقيهة أخذت عن زوجها جميع مروياته وأخذ عنها ابن أخيها اللغوى محمد بن الطيب الشرقي وكانت خديجة بنت عبد الله الحوات تعلم النساء المنقطعات كما كانت سكينة بنت السلطان المولى عبد الرحمن

طلعة للكتب والدواوين وكذلك فاطمة زويتن وأم قاسم الحسناوية ورقية بنت الحاج ابن العايش اليعقوبية العارفة بالتفسير والسيرة والتوحيد وأسرار الحروف والأسماء كان الرجال والنساء يتواردون على مجلسها وكانت تتوخى في مجالس التفسير (كما يلاحظ العلامة الكانوني العبدي في كتابه مشاهير النساء) أسباب النزول وعلوم القرآن ولم تقل عنها مهارة صفية بنت المختار الضليعة في التجويد والتفسير والسيرة انتصبت للتدريس ومثلها ميمونة بنت الشيخ محمد الحضرمي والراوية المشاركة وأختها ربيعة النقادة وهند زوجة ماء العينين.

وفي أوائل القرن الرابع عشر كانت العالية بنت الشيخ الطيب بن كيران تقوم بتدريس المنطق في جامع الأندلس وقد أشار صديقنا العلامة محمد داود (في مختصر تاريخ تطوان ج 2 ص 291) إلى لاغيلانة فوصفها بالفقيهة الصالحة العالمة العاملة الزاهدة واسمها آمنة بنت الفقيه الصالح سيدي محمد غيلان (توفيت عام 1189 هـ).

وكان لبعضهن دور كبير في الحقل الصوفي فالشيخة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيتية لقيها بفاس عبد الله بن علي بن سلمون الكتاني فأجازته وألبسته خرقة التصوف.

وقد عرف المشرق كما ذكرنا عالمات محدثات واعظات (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية ج 2 ص 5) كن مثالا حيا للسلوك السني نذكر منهن :

ـ أم هاني بنت الهوريني شيخة السيوطي(درة الحجال ص 82) وبلغ عدد شيخات السيوطي اثنتي عشرة.

ـ أم هانئ العبدوسية آخر فقهاء عصرها (نيل الابتهاج ص 382).

ـ زينب الصالحة المسندة وزينب البغدادية المسندة الرحالة وزينب الحرانية ثلاثتهن أخذ عنهن ابن رشيد السبتى عام 684 هـ (درة الحجال ص 150).

ـ رحمة بنت الجنان كانت تحفظ أحاديث كثيرة من الصحاح وتحيط بحفظ الأدعية الواردة (نيل الابتهاج ص 322).

ـ عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركاني عالمة واعظة روت عن مندة (ماتت عام 460 هـ (معجم البلدان ج 8 ص 411).

ـ عائشة البجعدية خاتمة الفقهاء المجتهدين إليها ينتسب العيشاوي محمد أبي القاسم الفيلالي التادلي الرباطي المفتي تلميذ الشيخ المعطي بن صالح تتلمذ له السلطان المولى سليمان كما في (جمرة التيجان) للزياني وهو صاحب شرح العمل الفاسي وصهر الشيخ العربي بن المعطي الشرقي كان يقرئ (الفتوحات الملكية لابن عربي)

ومن كبريات الصوفيات المشرقيات:

ـ أم الدرداء كانت تعقد حلقات التدريس في بيت المقدس يحضرها سليمان بن عبد الملك.

ـ أخذ الإمام الشافعي الحديث عن السيدة نفيسة وكان يحضر حلقتها في الفسطاط وقامت بالصلاة عليه بعد موته وحكى عنها ابن خلكان (ج 2 ص 251) ان مشاهير العلماء كانوا يجلسون للإنصات إليها.

ـ عائشة الحنبلية أستاذة ابن حجر العسقلاني في الحديث كما تتلمذ لزينب بنت محمد الدمشقية المحدثة الفقيهة التي كانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالبا ولها رسائل في الفقه والحديث.

ـ أم المؤيد درس عليها ابن خلكان وأخذت هي عن الزمخشري صاحب الكشاف

ـ أم الخير: ذكر ابن العماد الحنبلي في شذراته أن أهل الأرض نزلوا درجة في العلم بموتها.

ـ عنيدة : تتلمذ لها خمسمائة رجل وامرأة (المجلة الأسيوية ص 50 عام 1930).

ـ كريمة بنت أحمد المروزي قرأ عليها الخطيب البغدادي صحيح البخاري (ياقوت ج 1 ص 247 / صلة ابن بشكوال ج 1 ص133) وهي من رواة البخاري (كامل ابن الأثير ج 10 ص 26).

- ست الوزراء ذكر الصفدى أنها كانت محدثة عصرها.

- عائشة المقدسية (من حفدة ابن قدامة الدمشقي) سيدة المحدثين بدمشق روى عنها ابن حجر.

- فاطمة بنت العدل علي بن علي بن أبي البدر والشيخة المسندة وهي من شيوخ ابن بطوطة في بغداد (كما ورد في رحلته).

- فاطمة بنت قمر يزان المتوفاة (عام 966 هـ) تولت مشيخة مدرسة الزجاجية ومدرسة العادلية وانتهت إليها الرياسة العلمية بحلب.

- كانت للإمام مالك ابنة تحفظ علمه يعني الموطا وكانت تقف خلف الباب فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن فينظر مالك فيرد عليه (الديباج لابن فرحون ص 25).

ولابن وداعة الرندي تأليف جمع فيه أربعين حديثا عن أربعين امرأة من الصحابة (الديباج ص 58) وقد قال عروة في عائشة الصديقية «ما جالست قط أعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا أروى للشعر ولا اعلم بفريضة ولا بطب من عائشة».

- بنت ابن الصائغ كانت شيخة للطب بدار الشفاء المنصورية بمصر بعد وفاة والدها (خلاصة الأثر ج 1 ص 204).

ولما تكلم الشيخ فالح الظاهري في صحائف العامل على إمامة المرأة ذكر أنه لو حضرت قريش الطبرية او عائشة المقدسية أو كريمة المروزية وهي من النسوة المسندات لصلى وراءهن غير مرتاب ولا متشكك (ص 13 و 37 منه / فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي الكتاني ج 2 ص 297).

وقد ترجم ابن حجر في الإصابة (1543) امرأة كان من بينهن العالمات الواعظات والفقيهات والمحدثات (ج 4 من ص 424 إلى 984) وخصص الإمام النووى في تهذيب الأسماء والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والسخاوي في الضوء اللامع حيزا كبيرا لترجمة النساء العالمات الصالحات وقد اتهم الحافظ الذهبي أربعة آلاف من المحدثين ولكنه قال عن النساء المحدثات الصالحات: «ما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها» (ميزان الاعتدال ج 3 ص 395).



تواكب الفكرين الصوفي والأدبي

ازدهرت العلوم العقلية بالمغرب ازدهارا كبيرا بعد القرن العاشر وبرز فيها صوفية أفذاذ في طليعتهم أبو العباس الهلالي حتى قيل لولا الأحمدان لذهب المعقول من المغرب (سلوة الأنفاس ج 1 ص 162)و قد ألف الشيخ محمد بن صالح الفلالي مصنفا في شيخه أحمد بن عبد الله عام 1171 هـ بعد أن كتب له مرارا بما صورته :«نرغب من فضلك أن تمن علينا بالقدوم إلينا لنتبرك بلقائك والأخذ عنك فإن حالنا ثقيل كما تعلم لا يمكننا القدوم إليك مع غاية إشتياقنا إلى لقائك»(من مخطوط بخط المؤلف أول ديوانه).

وابن مبارك هذا هو تلميذ القطب الأمي سيدي عبد العزيز الدباغ وهو (ابن مبارك) شيخ الإمام أحمد الغربي علامة رباط الفتح الذي أخذ عنه عالمان هما أعظم علماء فاس على الإطلاق وهما الشيخ التاودي بنسودة والشيخ أبو العلاء العراقي.

ولعل من التعسف أن نقسم عصور المغرب الأدبية تبعا لعصوره السياسية كما فعل الكثير من كتاب العصر بخصوص الأدب العربي لأن هذا الأسلوب لا يخلو من الافتعال وأرى أن أضمن وسيلة لدراسة عصر من العصور هي التمهيد له بنظرة عن الحالة الفكرية في القرن الذي يسبقه ثم الاسترسال في دراسة العصر الذي هو موضوع البحث إذ ينتج عن ذلك اصطدام الباحث آليا بالفروق البارزة التي تميز بين العصرين فيسهل حينذاك رسم الحدود.

إن تاريخ حركة الفكر بالمغرب مهمة شاقة نظرا لقلة المصادر وانتشار الوثائق ـ على ندرتها ـ بين طيات كتب قد لا يخطر ببال مؤرخ الثقافة المغربية أنها مظان محتملة لما ينتجعه من معلومات فقد تجد مستندات أدبية في كتب الفقه والتصوف وقد تعثر على أروع القطع الشعرية في كتب الفتاوى أو الحوليات السياسية وقد تظفر بدقائق تلقى ضوءا على خوافي التيارات الأدبية بين ثنايا كتب التراجم التي تكاد تحتكر عالم التأليف في جهازنا الثقافي.

وبالجملة فمصادر تاريخ الفكر في عهد الشرفاء تذهب من الكتب الفقهية كالد

الثمين لميارة والمعيار للونشريسي، إلى كتب التاريخ كمصنفات ابن القاضي والفشتالي والافراني إلى الرحلات كمحاضرات اليوسي ورحلة العياشي إلى كتب التراجم كالدرر المرصعة ومرآة المحاسن ونشر المثاني إلى أراجيز كالاقنوم إلى كتب أدبية صرف كالأنيس المطرب للشريف العلمي.

واستقراء هذه المصادر كلها قد يرسم في ذهن الباحث صورة لا نقول واضحة ولا تامة عن خصائص الحركة الثقافية ومميزات الإنتاج الفكري وعن الروابط أو الفروق التي يمتاز بها هذا العصر عن ذاك وهذه الطائفة عن تلك وهذا الفريق من المحدثين والفقهاء عن ذلك الرعيل من الشعراء والمتأدبين والمؤرخين، و المعلومات التي تكتمل تحت ضوئها صورة الجهاز الفكري بالمغرب هي عبارة عن فسيفساء يستلزم التوفيق بين نوازعها إن لم نقل مناقضاتها شيئا غير قليل من الاصطبار و الأناة إذ بقدر ما تختلف المصادر بقدرما تتنافى الألوان والنزعات وأساليب الحكم والتقدير.

وقبل أن ندخل صلب الموضوع نود أن نحلل الخصائص الكبرى المشتركة بين العصرين السعدي والعلوي في الميدان الفكري أي منذ القرن العاشر الهجري : ففي كليهما كان لفاس مركز الصدارة والإشعاع وفي كليهما اتحدت مناهج التدريس في القرويين وغيرها من الجوامع كما اتحدت أساليب البحث وطرق التصنيف مع اختلاف طفيف في الموضوع غير أن جامعة فاس ازدادت صدارة في عصر العلويين بعد أن انهارت المراكز العلمية التي كانت تزاحمها كزاوية الدلائيين أو تقلصت كزاوية الناصريين. وقد كان كل منهما مقصد رواد المعرفة ومجموع العلماء و الشعراء والمتأدبين، و لكن هذا الانقلاب لم يمس المجموع بل كان مجرد انتقال من جهة إلى جهة لأن العناصر الثقافية التي كانت تمد زيان وتمغروت ظلت عاملا قويا في توطيد الحركة الفكرية في المغرب و لكن بقدر ما تضاءل إسهام الدلائيين خلال العهد العلوي بقدر ما تضخمت مشاركة الناصريين في نشر الثقافة بالربوع السوسية خصوصا والجنوب عموما غير أن المدارس الفكرية ظلت هي أسلوبا وروحا وغاية.

ولعل أقرب الأساليب إلى توضيح الفروق بين العصرين ـ إن كان هنالك كبير فروق ـ هي استعراض صور الشخصيات العلمية والأدبية التي برزت في كل من العصرين.

فأقطاب العلم في الدولتين كانوا ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الإجازات وكان هؤلاء العلماء يشعرون بالرغبة في الاتصال بعلماء الشرق كما كان المشارقة يتوقون إلى مبادلة علمائنا وجوه النظر و قد عرف الشرق كيف يقدر المغرب في شخص افذاذه امثال ابن سليمان الروداني والمقري وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي وغيرهم لأن أساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما أن عناصرها الحيوية كلها يتمم بعضها بعضا في هيكل موحد رصين. ولعل ما لاحظه المقري وقبله ابن خلدون من فروق بين المشرق والمغرب في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه إذ بينما كان الشرق مطبوعا بالعمق في ملكة العلوم النظرية طفق المغرب يوغل في البحث اللفظي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الابواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع الآثار، وبينما غلب على تأليف المشارقة الايجاز (عدا البعض كالغزالي و الفخر الرازي) مع انحصار في الموضوع سواء في التصنيف أم التدريس إذا بالمغاربة من القيروان إلى القرويين يوغلون في الاستطراد. وإذا كانت صناعة التأليف قد انتهت في علماء المغرب على صناعة أهل المشرق في شخص ابن البناء المراكشي فقد عللوا ذلك (ببراءة نسبه من البداوة) غير أن الأمر لم يبلغ الحد الذي زعمه ابن خلدون في المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم[47]

(47) قال ابن خلدون : (لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة بل قصرت هممهم و اقتصرت على طريق تحصيل القراءة و دروس التهذيب فقط نعم اخذوا شيئا من مبادئ العربية من أهل الأندلس مثل ابن أبي الربيع و الشلوبين و غيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس بسبب رحلة علمائهم إلى تلقيه من أربابه بالمشرق كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد في تحصيل علم الفقه عن الأبهري و كذا يحيى بن يحيى عن مالك و غير واحد و كذلك علوم الحديث كرحلة
الإمام أبي بكر بن العربي (نشر المثاني ج 2 ص97).
و هذا يناقض ما ذكره علي بن ميمون الحسني في تأليف له استطرد فيه الكلام على فاس فقال : (ما رأيت مثلها و مثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول و الفعل و غزر الحفظ لنصوص إمامهم الإمام مالك و حفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث و التفسير و حفظ نصوص كل علم مثل النحو و الفرائض والحساب و علم الوقت و التعديل و التوحيد و المنطق و البيان والطب و سائر العلوم العقلية كل ذلك لابد فيه عندهم من حفظ ذلك الفن ... ما رأيت مثلها و مثل علمائها في سائر مدن المغرب لا في مدينة تلمسان و لا بجاية و لا تونس و لا إقليم الشام بأسره و لا بلاد الحجاز فإني رأيت ذلك كله بالمشاهدة و لا بمصر على ما تقرر عندي من العلم اليقيني بمشاهدة أناس من أهلها ((سلوة الأنفاس ج ا ص 74) و قد تحدث عبد الواحد المراكشي في المعجب (ص 221) عن فاس فقال : « هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا (أول القرن السابع الهجري) و موضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان و علم قرطبة ... رحل من هذه و هذه من كان فيهما من العلماء و الفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس فهي اليوم على غاية الحضارة وأهلها في غاية الكيس و نهاية الظرف و لغتهم أفصح اللغات في ذلك الإقليم و ما زلت أسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب .... » إلى أن قال : و لم يتخذ لمتونة و المصامدة مدينة مراكش وطنا و لا جعلوها دار مملكة لأنها خير من مدينة فاس في شيء من الأشياء و لكن لقرب مراكش من جبال المصامدة و صحراء لمتونة»

على طريق النظار لأن التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء عهد الشرفاء هذا مع تحفظات منها نوع من التجمد في المنهج وإيغال في استظهار النصوص حيث أدى الحال في بعض نواحي المغرب كسوس إلى تطرف في الاستظهار تجاوز المتون إلى معاجم اللغة و لكن هذا الأسلوب الذي كان يحجر الفكر أحيانا عند من لا يستطيع أن ينسق بين واعيته وملكته التصورية قد ضخم على العكس عند البعض السليقة العربية ولا أدل على ذلك من وفرة إعداد الادباء والشعراء في سوس حيث لا يزال التحقيق اللغوي خاصة بارزة ولا يعزب عنا أن ابن القزاز البربري هو الذي صحت عليه اللغة بالأندلس بعد أبي على البغدادي وأن أهل شنقيط أقرب إلى الفصحى من باقي عناصر الشعوب العربية بفضل تلك الروح الاستظهارية البسيطة.

فلهذا وذاك كان من المفيد قصد تحقيق التكامل استمرار الاتصال بين علماء المغرب وعلماء المشرق وقد تطورت هذه الحركة أيام العلويين فشاهدنا كثيرا من علماء المغرب وأدبائه يتجهون إلى مصر والحجاز للاستجازة والاجازة كالعياشي واليوسي وأحمد بن ناصر وأحمد القادري ومحمد (فتحا) الفاسي ومحمد بن الطيب العلمي المتوفى بالقاهرة وأحمد بن الخياط الذي مكث طويلا في القاهرة أيضا وأحمد الهلالي الذي ترك لنا وصفا شيقا لرحلته العلمية هذه.

ولكن الآفاق اتسعت بعد ذلك برحلة كل من الزياني والغساني إلى سواحل المتوسط الاوربية حيث كتب لنا الأول صفحات ناصعة عن الحياة الثقافية بالآستانة والثاني عن اسبانيا وكان هنالك رحالون آخرون كابن زاكور الذي خلف لنا حاشية على قلائد العقيان وشرحا في ثلاثة أجزاء على الحماسة زيادة على شروح أدبية أخرى.

وهذه الرحلات التي قام بها كل من الزياني والغساني كانت سفارات رسمية وهذا يدلنا على أن الملوك العلويين كانوا يختارون لسفاراتهم السياسية الكتاب الأدباء كما فعل المنصور السعدي أوائل المائة العاشرة حيث وجه إلى الآستانة سفارة فيها محمد بن علي الفشتالي الشاعر المؤرخ وعلي التمغروتي صاحب النفحات المسكية في السفارة التركية وسفارة أخرى إلى مراد الثالث فيها الكاتب أبو العباس أحمد بن علي الهوزالي.

ولكن إذا كان هؤلاء العلماء قد استغلوا رحلتهم لتدوين ما التقطوه من فوائد ومعلومات فقد اغتنم ابن القاضي مؤرخ الدولة السعدية رحلته للقيام بعمل أوسع نطاقا هو تصنيف موسوعة عن علماء الاسلام شرقا وغربا.

وقد تبلورت في العهد العلوي بعض الخصائص الثقافية كالإكثار من التصنيف حيث بلغت تآليف أبي زيد الفاسي مائة وسبعين مصنفا شملت حتى الطب والفلك زيادة على التاريخ والتنجيم والكيمياء هذا بينما لم يحص للصومعي قبل ذلك سوى ستين مصنفا ولابن بابا أربعون.

أما الإيغال في الحفظ فقد كان ميزة العصرين حيث كان محمد الوقاد بن أحمد المدعو الفيوم بن عمر الكنتي يحفظ ألف مجلد وقبله كان الجزولي ـ قبيل العصر السعدي ـ يحفظ ـ على ما ذكره أحمد بابا في كفاية المحتاج ـ فرعي ابن الحاجب وقيل حتى المدونة وكان هنالك من يحفظ الحلية بمجلداتها العشرة وكان أبو زيد الفاسي يحفظ الصحيحين.

أما تشجيع العلم والعلماء من طرف الملوك فإن مجهود المولى الرشيد لم يقل عن أيادي المنصور السعدي البيضاء ويكفي دليلا على عناية الرشيد رغم ما كان يشغله من مهام سياسية نظرا لحداثة دولته واضطراب البلاد ـ أنه كان يكلف نفسه عناء حضور دروس العلماء في القرويين كالشيخ اليوسي ويتحف رجال الأدب بالهدايا بآلاف الدنانير وبالرغم عن حركة التحرير الواسعة التي قام بها المولى اسماعيل فإن بناء المدارس ظل موصولا حتى بلغ منتهاه أيام حفيده المولى محمد بن عبد الله الذي نشر العلم و أسس عشرات المعاهد في «المداشر» والقرى وتعاطى صناعة التأليف وطور مناهج التدريس والتصنيف.

فنحن نرى إذن أن القرنين العاشر والحادي عشر موسومان بسمات مشتركة على وجه العموم إلا أن بعض المميزات قد تضعف هنا بينما تقوى هنالك ويمكن الاستدلال بأمثلة حية مستقاة من حياة الكتاب والشعراء وقد أدى انبساط الأمن في العهد الاسماعيلي إلى استمرار الاتصال بين نقط المغرب المتنائية فأمست العواصم العلمية الحضرية مهبط العلماء من أقصى الجنوب وقد عرفت هذه الحواضر سوسيين أفذاذا منهم التمنارتي الشاعر المؤرخ وأحمد البوسعيدي والمرغيثي الشاعر الفلكي الطبيب وغيرهم. وكانت العائلة الفاسية أحد

العناصر التي تتولى الزعامة في العاصمة العلمية ولكنها أصبحت مزاحمة في العصر العلوي من طرف الدلائيين (الذين نبغ منهم خلال القرن الحادي عشر اثنان هما محمد المسناوي ومحمد ابن عبد الرحمن) والقادريين والسوديين وغيرهم وبينما كان الدلائيون والناصريون يتقاسمون آخر أيام السعديين النفوذ الثقافي في بادية أقصى الجنوب وبعض نواحي الأطلس أصبح هذا المركز الأخير ميدانا يكاد يحتكره الشرقاويون الذين لم يكن نشاطهم ثقافيا أكثر منه صوفيا كما كان الحال بالنسبة للزاويتين الدلائية والتمغروتية.

وقد عرف العصر العلوي أطباء من بينهم المرغيثي المذكور وابن زاكور الذي ذيل أرجوزة ابن سينا في الطب وعبد المجيد المنالي الشاعر الصوفي الطبيب وآل أدراق البرابرة الذين توارثوا مهنة الطب أبا عن جد وأبرزهم عبد الوهاب وقد وصل هؤلاء الحلقة التي بدأها في المغرب بنو زهر وبنو أفلاطون الفاسيون في العهد الموحدي.

وامتاز العصر العلوي بظواهر منها دخول عائلات إسرائيلية في الإسلام ونبوغ علماء افذاذ منهم لا سيما في فاس ووفرة التآليف لا سيما منها تراجم الصوفية والروح الفقهية والحواشي والذيول والأراجيز، وظهور أنماط جديدة من التاليف كمحاضرات اليوسي وقانونه واقنوم عبد الرحمن الفاسي ورحلة العياشي وكلها تعد دوائر معارف لما كان يروج في ذلك العصر على أن الأنيس المطرب للشريف العلمي يعد أيضا فتحا جديدا في ذلك العصر لصبغته الأدبية الصرف وتخصيصه تراجم ضافية لاثنى عشر من أبرز أدباء العهد العلوي كالحلبي وابن زاكور ومسعود المريني والعربي الشرقي والمهدي الغزال وعمر الحراق والبوعصامي الموسيقار وغيرهم وسنتعرض لخصائصهم الأدبية منظرين بينها وبين ما امتاز به بعض شعراء وكتاب الدول المغربية السالفة أو الأمصار العربية الأخرى.

ومن الظواهر التي امتاز بها العصر العلوي حرية النقد حتى أن محمدا الضعيف مؤرخ الرباط كتب صفحات نقدية شديدة اللهجة ضد العائلة العلوية كما كتب الحسين بن السلطان محمد بن عبد الله مؤلفا ضد الدولة العلوية وحكومة والده.

وقد فسح المغرب صدره لعلماء الإسلام كأحمد بابا السوداني في أيام المنصور السعدي كما تبنت فاس الإمام الحلبي أيام المولى اسماعيل وقد تخصص الأول في باب

جديد هو تراجم الفقهاء بينما برز الثاني في لون جديد من الشعر هو المديح النبوي على الطريق الصوفي بما فيه من التغني بالحقيقة المحمدية مما أدى إلى منافرة بينه وبين اليوسي.

وهكذا فإن الحركة الأدبية في العهد الاسماعلي لم تكن كما يقول ليفي بروفنصال محصورة على وجه التقريب في دائرة الكتاب المخزنيين ببلاط مكناس وأن من الصعب التمييز بين الحالة الفكرية في القرن العاشر وبينها في القرن الحادي عشر بل الثاني عشر، ولعل الأدباء المخضرمين الذين عاشوا في أعقاب السعديين وأوائل العلويين صورة حية لوحدة الطابع من سائر النواحي اللهم إلا تقلصا هنا وامتدادا هناك تبعا لمقتضيات التطور الحتمية.

وإذا أردنا أن ندرك نوع المعارف التي كانت سائدة في ذلك العصر والتي احتكرت نشاط رجال الفكر فما علينا إلا أن نستعرض زمرة ممن شملهم العهدان أمثال البوسعيدي والاغلالي والتمنارتي وميارة والمرغيثي واليوسي والعياشي وآل الفاسي والغساني والحلبي وابن زاكور والولالي وأحمد بن ناصر وغيرهم فستتضح لنا خطوط ذلك الإطار الذي انحصر فيه النشاط الفكري.

فمن عالم يكدح في خمول موزعا يومه بين التدريس والعبادة إلى مصنف لا يعدو شرح النصوص الفقهية أو جمع تراجم الصوفية أو وضع لوائح مطولة عن شيوخه وإجازته إلى فقيه انصرف للقضاء أو الفتيا فاحتكره حديث النوازل والاقضية والخصام والشجار إلا أن غالب الفقهاء يعزفون عن المناصب العمومية وينصرفون إلى التعليم احتسابا وتطوعا.

ولكنك تجد إزاء هذا النزوع الفقهي والوجهة الصوفية اتجاهات من نوع جديد تضفي على المجتمع الفكري ألوانا طريفة فإنك تعثر في هذه الفترة على دواوين شعرية وتحريرات تاريخية إلى جانب كتابات في الحساب والفلك والطب فهذا عبد الرحمن التمنارتي يتولى الفتيا والقضاء ويقرض الشعر العالي ويؤرخ لسوس العالمة في فهرسته القيمة وهذا المرغيثي يدلي دلوه في كثير من شعب المعرفة بعد أن أقام في زاوية الدلاء محفل الأداب والعلوم فيكتب في الرياضيات والهيئة ويجمع معلومات شيقة عن مجتمع عصره مازجا ذلك بفوائد مختلفة تتراوح بين التنزلات الروحانية والوصفات الطبية والشوارد الأدبية

وقد استقى الافراني مادة تاريخ المجتمع السعدي عن أمثال هذه المصنفات؛ وهنالك نوع آخر من التصانيف يتجلى في (الدر الثمين) لميارة حيث نجد إلى جانب الذيول الفقهية والتعاليق الصوفية طرائف عن الحركة الفكرية المعاصرة وبرحلة العياشي يظهر أسلوب جديد في البحث يحاول أن يتجاوز النطاق المغربي المحدود إلى ذلك الفضاء الواسع الذي يمتد إلى الشرق الأدنى حيث المناهج الدراسية تختلف نوعا ما عنها في المغرب وحيث طرائق التصنيف ومواضيع التأليف تتسم بميزات من طراز جديد فنرى العياشي يحاول أن يدرس خصائص الشرق ليقارنها بالحالة المغربية مخللا ذلك بنظرات تاريخية وتلويحات صوفية واستطرادات أدبية فهو يحدثنا عن شراب البن في الشرق مشيرا إلى انعدامه إذ ذاك بالمغرب كما يصف لنا يوم المحمل بمصر ثم لا يلبث أن ينتقل إلى الطرقية ومناكر المواسم معرجا على جزئيات كتطويل اللحية وحكمها وعدد العوالم البالغ ثمانية عشر ألفا ثم يدرج فوائد طريفة كاستيناس المصريات المترفات بشراء ريال من الازهار كل يوم ولا شك أن شيوع هذا النوع من التآليف في الوسط المغربي يحدث أثره السريع.

وقد اغرق العلماء في التصنيف حتى بلغت تآليف بعضهم المائة والسبعين وهذه الوفرة من أبرز ميزات العهد العلوي يضاف إليها التنوع حيث تجد الرجل الواحد يؤلف في الطب والهيئة والفقه والتاريخ والتراجم والآداب ولكن إذا كانت بعض المصنفات صورة صادقة لذلك العصر كمحاضرات اليوسي فإن الكثير يمتاز بموضوعية متطرفة لا تترك مجالا لانبثاق ذاتية المؤلف مما يفقدها الروح والمتعة فالمحاضرات تصور لك الحركة الفكرية بكيفية تثير في النفس حب التطلع وروح الانسياق مع المؤلف حتى ليخيل للقارئ أنه يعيش في ذلك العصر وهل هنالك لوحة تاريخية أبلغ من تلك الصور المتتالية التي يرسمها اليوسي فيشخص فيها الأدباء في مساجلاتهم والصوفية في حضراتهم والملبسين في دعاويهم والعوام في خرافاتهم وتشبه الرحلة اليوسية رحلة أحمد ابن ناصر من حيث الإفاضة في الحديث عن الشرق.

ثم ينبثق القرن الثاني عشر فيتسع نطاق النشاط الفكري ويتضخم التنوع فيظهر أمثال الزياني والوزير الغساني والشريف العلمي.

فالزياني مؤرخ دقيق الملاحظة يخطو بأسلوب البحث والتحقيق خطوات ويوسع موضوعه فيكشف عن الحياة في جزء من القارة الأوربية وينطبع أسلوبه التاريخي بمنزع جديد لأنه يحاول مزج وصف الأحداث بنظرات عن نظام الحكم والحالة الفكرية أما رحلة الغساني إلى اسبانيا فإنها وثيقة عرفت أدباء المغرب إذ ذاك بأساليب الحياة في بلدان مسيحية ووصفت المجتمعات الأوربية وحياة البلاطات والطبقات الأرستقراطية الاسبانية وتجد الشريف العلمي يفرد أدباء وشعراء بتأليف خاص فيتجه بالتصنيف اتجاها فنيا يهدف إلى النقد والتحليل والتنظير من خلال محاورات أجراها المؤلف مع إثني عشر من معاصريه كالحلبي وابن زاكور ومسعود المريني و الغزال والبوعصامي غير أن (الأنيس المطرب) جاء رغم ذلك موسوما بالطابع العام الذي كان يصطبغ به التصنيف في القرن الثاني عشر وهو الانتشار وعدم التزام الموضوع وقد شبهه بعضهم من هذه الناحية (بقلائد العقيان) أو (المنتقى المقصور) فنحن نجد إلى جانب هذا البيت الذي هو من نظم المؤلف نفسه يخاطب به المولى اسماعيل :

أمولى أمنت البلاد وأهلها   فلله رب الناس ثم لك الشكر

قصيدة للحلبي مطلعها :

يا رب إني ضعيف هالني الوجل   ما حيلتي يوم هول العرض ما العمل

وأخرى لابن زاكور (وحيد البلاغة) صدرها بقوله :

اتق الله ما استطعت فإن   الله ربي مع الذين اتقوه

هذا مع أن للحلبي مقامات عارض بها الحريري ولابن زاكور (عنوان النفاسة في شرح الحماسة) (ثلاثة أسفار) و(ومقياس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد) والصنيع البديع وشرح المقصور والممدود وشرح لامية العرب والمعرب المبين وغير ذلك.

وهذه النزعة الصوفية نجدها عند معظم شعراء هذا العصر فالشاعر مسعود المريني (واعظ المدينة المرتدي بالوقار والسكينة) الذي له تآليف في التصوف وقصائد عارض بها

ابن الوفا وطاول ابن الفارض يقول في مطلع قصيدته :

يـــارب إنـك موجدي ومـكـونـي ومدبـــري ومصـوري ومشـكـلـي

وفي أخرى :

سهـــام الموت راشقة النبـــال ونحـــن مع البطـــالة لا نبـــالي

ولكنه يقول أيضا :

طيـــف الخـــيال تعرضـــــا أخـــذ المـــقام وأعـرضـــــا
وأثـــار وجـــدا كـــان فـــي طـــي إلا ضالـــع اجهضـــا

ويقول في رسالة التزم فيها السين محتديا ابن الخطيب :

سلام كـنـسـمـة مســـك سرت لأنفـاسكـم بنسيـم سحـــر
لساحتكـم ساقــه مستـهـــام سبـــاه سنـــا حسنكـم وسحــر

ومن شعراء العصر أيضا محمد بن العربي الشرقي (شاعر الأوان الذي لم يشتمل على مثله ديوان) القائل في حقيقة الشاعر : (إن اسم الشاعر لا يطلق إلا على من وقف في حرم المعاني بكل المشاعر أما من سلك طريقة واحدة فآراؤه فاسدة وبناؤه على غير قاعدة) ولعل هذا التعريف صورة لذلك العصر الذي كان شعراؤه يستوحون من خيالهم وعواطفهم المتأججة مثلما يستوحون من أرواحهم المضطلعة بأوار التقوى وفي ذلك الحوار الذي دار بين هؤلاء الشعراء وبين الشريف العلمي ألوان شتى وضروب مختلفة للآداب والفنون التي كانت رائجة في ذلك العصر.

وبعدما يذكر العلمي شعراء معاصرين آخرين أمثال أحمد عمور نراه يعرج على كتاب العصر كالمهدي الغزال القائل في وصف راقصة :

قامت بكأس الـــراح راقصــــة بين الغـواني رقصـها يطـــرب
كأنها والكـــأس فـــي يدهـــا بـدر تـبـدي حـــوله كـوكـــب

وفي وصف بستان :

انظر إلى الروض وقد نشرت عليه أوراق من الياسمين
يحكي بساطا ناعما صيغ من زبرجد يعلوه در ثمين

ولكنه يقول أيضا متاثرا بنزعة العصر :

الموت لا شك آت وكل آت قريب
فشب وثب قبل أن يعتريك منه وثوب

ومنهم الوزير الكاتب عمر الحراق القائل في ديوانه أنه يفاخر بمسقط رأسه شفشاون:

ما شعب بوان ما مرج دمشق وما نيل بمصر وما العاصي لدا حلب
في جنب شفشاون الغراء إن فخرت بتينها وبزيتون وبالعنب

ومنهم أحمد دادوس (صاحب التعاريض في الضروب والأعاريض) الذي رثى وغزل وجد ما شاء وهزل) والأديب البوعصامي (بليغ مصره وإمام الأدباء في مغربه وعصره رحل إلى المشرق، وطلع عليه كالبدر المشرق) القائل:

يمحو بدمع كالعتيق محاجري شوقا لطيبة والعقيق وحاجري

ولهذا الشاعر باع طويل في ترتيب النغمات الثمان التي عليها مدار الغناء والألحان ومنهم أيضا الشاعر عبد القادر بن شقرون القائل:

اسقياني كؤوس بنت الدوالي ان عراني السقام فهي الدوالي

إلى أن قال :

كم ليال قطعتها في نعيم حفظ الله عهد تلك الليالي
بين راح وشمعة ومغن وظباء قنصتها باحتيال

ولكنه ينفعل (لنزعة العصر) فيقول :

رب يسر لعبدك الفتح واشرح صدر من صدره من العلم خال

ومنهم الكاتب محمد بن سليمان (شاعر مطبوع ... وأديب همام) القائل :

عذيري من هوى غصن رطيب أراني البدر من فوق القضيب
مليح فاتر الالحاظ طفل صبوت لحسنه بعد المشيب

ومنهم الحاج (على مندوصة) كلامه (يغار منه امرؤ القيس ويحن إليه جميل بثينة وقيس) القائل :

إلى كم فدتك النفس ترمي فؤادنا بسم نضي اللحظ ارياشه هدب

إلى أن قال :

فدونكم ربات قرط خريدة مفوفة هيفاء هام بها الحب
مبرقعة لميــاء غضة بضة سوى أنها عذراء ناهدة عرب

ومنهم محمد بن يعقوب (صاحب الأبيات السهلة العبارة اللطيفة الاشارة)ومن تلك النماذج تدرك أن شعراء العصر العلوي الأول مراتب فهم بين فحل (يتصرف في فنون الكلام كثير الإغراب لا يعلم له مراد ولا يفهم من أبياته إلا الأفراد).

وهناك شعراء وكتاب آخرون لم يذكرهم الشريف العلوي في أنيسه أمثال عبد الواحد البوعناني مفتي فاس الذي هنأ المولى اسماعيل على تحرير العرائش بقوله :

ألا أبشر فهذا الفتح نور قد انتظمت بعزكم الأمور

وقد وصف اشرئباب أعناق المدن المختلفة إلى التحرر على يد السلطان فقال :

ووهران تنادي كل يوم متى يأتي الإمام متى يزور

وقال قبله :

إذا ما جاء سبتة في عشي تناديه إذا كان البكور

ومنهم عبد السلام بن حمدون جسوس القائل :

رفعت منازل سبتة أقوالها تشكو إليكم باللذي قد هالها
مع بادس وبريجة فتعطفوا وتنبهوا كي تسمعوا تسآلها
فلقد قضيتم للعرائش حاجة مع طنجة فاقضوا الذي آمالها
وارفع لهذا الغرب رأسا إنه في الضعف ما دام العدا أنزالها

وقال عبد السلام القادري :

علا عرش دين الله كل العرائش وهد بنصر الله قصر العرائش

تلك ألوان خاصة من الشعر الوطني الذي يحاول فيه الشاعر التعبير عن آلام الشعب وآماله.

وعندما قام المشاغب أبو فحص لوقاش يدعي الملك قائلا :

أنا عمر الموصوف بالبأس والندى أنا عمر المذكور في ورد الجفر

أجابه بن بجة الريفي بقصيدة منها :

في صفحة الدهر قد خطت لناعبر منها ادعاء الحمار أنه بشر

وهذا لعمري ابدع في فن الإقذاع.

وفي هذا العصر كانت زاوية شرقاوة في ناحية تادلا محفلا للآداب والفمون وقد خلفت زاوية الدلاء فشملت بعطفها كثيرا من الأدباء الذين وجدوا في ربعها المقام الرحب كالإفراني الذي بدأ حياته التصنيفية بشرح بديع لتوشيح ابن سهل الأندلسي وهو نموذج للنثر (الفنى) في ذلك العصر أما الزاوية الناصرية فقد احتفظت بإشعاعها في الجنوب وفي (الدرر المرصعة) لمحمد المكي الدرعي صور ناصعة لآثار هذه الزاوية في العلم والآداب والكتاب ينطوي على معلومات أدبية قيمة وقصائد رائعة منها مقطوعات كلها تفجع على أهل الدلاء كقول العربي الفاسي :

أدار بذات السدر في الجانب الشرقي سقاك الحيا مادام صوب الحيا يسقي

أما درعة فقد قيل فيها بين ما قيل :

ألم بدرعة واختر للنزول بها زاوية الفضل مأوى المجد والكرم

وهناك مقطوعات منها للهاشمي الشكلنطى الرباطي :

ياحاديا أسرع بذات الزمام وارع رعاك الله حق الذمام

فانني أمسيت ذا قلق من شدة الشوق وفرط الغرام

وقال

ورشا من آل يافث لحظه بالسحر نافث

يخطأ السين إلى ثاء المثاني والمثالث

قلت جدلي بوصال قال دع عنك الوثاوث

وتذكرني هذه الأبيات بالبيتين اللذين ساقهما الجاحظ في البيان والتبيين :

والشيخ رأيته يفعل ما لا ينبغي

قلت له أنت بري قال بلى أنا بغي

ويمكن القول أن تلك النهضة الأدبية الرائعة التي عمت بلاد سوس في العهد العلوي حتى تفتحت القرائح عن أبدع ما أنتجه الفكر المغربي - إنما يرجع فضلها للحركة الناصرية التي نشرت العلوم والفنون إلى تخوم الصحراء.

وهذه العجالة تضيق عن استعراض النماذج المختلفة للحياة العقلية في العصر العلوي ولعل في كتاب (نشر المتاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني) لمحمد القادري مادة وافية لمن أراد أن يقف على ألوان الحركة الفكرية بالمغرب خلال قرنين.

أما القرن الثالث عشر فإنه لا يكاد يختلف في مجموعه عن سابقيه فقد امتدت إلى أوائله حياة رجلين هما محمد التاودي ومحمد المنالى الزبادى اللذان

مات كلاهما عام 1209 وكانا نموذجا جديدا لعلماء يحرصون على انتجاع الشرق للتبحر في علوم لم تكن منتشرة في المغرب وإذا أردنا أن نأخذ صورة عن هذه العلوم التي كانت أساس الدراسات في الأزهر فلنرجع إلى سند الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى علم 1196 حيث ذكر أنه تلقى في الأزهر (الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها وعلم الاسطرلاب والزيج والهندسة والهيئة وعلم الارتماطيقي وعلم المزاول وعلم الأعمال الرصدية وعلم المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم الترشيح وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم) ويلاحظ أن العلوم الرياضية والكيماوية لم تكن تدرس وقد صرح شيخ الأزهر لأحمد باشا كور عندما تولى حكم مصر عام 1161 أن الأزهر لا يعرف الرياضيات وقد حارب الأزهريون الجهود التي بذلها الأفغاني عند دخوله إلى مصر عام 1288 هـ لنشر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة. ومع ذلك فقد كانت تروج في الشرق علوم غير متداولة بالمغرب إلا عند القليل من الخواص فلذلك اتجه التاودي والزبادي إلى الشرق حيث طال مكث الأول ولقي الشيخ مرتضى وهنالك آخرون مثل عبد القادر الكوهن الذي مات بالمدينة بعد أن ترك لنا وصفا لرحلته الأولى إلى الشرق.

وممن نبغ في هذا القرن من رجال الفكر ابن عجيبة الذي تحتوي فهرسته على معلومات حول الحالة الفكرية في تطوان وسليمان الحوات الذي جمع في(البدور الضاوية) إجازات الدلائيين ومراسلاتهم ومقتطفات من أشعارهم والشيخ حمدون بن الحاج الذي ترك لنا ديوانا حافلا بمدائح المولى سليمان الذي حركت مآثره المشاعر حتى قال محمد بن إدريس الفاسي :

ليس إلا أبا الربيع ربيع ... خلقه الجود والهدى والوفاء

بسليمان قد سلمنا وسرنا ... فالعلا منزل له والعلاء

كفه كفت الفساد وكفت ... كل عاد فما لكم أكفاء

وبلغ صدى المفاخر السليمانية تونس الشقيقة فتحركت شاعرية فحلها الهمام ابراهيم الرياحي التجاني الذي نظم في أبى الربيع قصيدته الخريدة التي مطلعها :

إن عز من خير الأنام مزار ... فلنا بزورة نجله استبشار

ومنها :

هـذا الـذي رد الخـلافـة غـضـة وسمـا بـه للـمسـلمين منـار

وأبرز ما امتازت به العقود الأخيرة لذلك القرن الماضي تقلص التصانيف الصوفية على إثر الحركة الوهابية التي أثارت أيام المولى سليمان موجة من التعاليق والمساجلات عقب وصول استفتاء من ابن سعود إلى علماء فاس وقد تصدى المولى سليمان نفسه للتأليف في الموضوع حيث أصدر رسالة في بدع العوام من الطرقيين. ورغم سلفية المولى سليمان وتنديده في (رسالة) بالمواسم والبدع فقد انخرط في سلك الطريقة التجانية معجبا بسنية رئيسها الشيخ أحمد التجاني.

وكان من أهم وسائل نشر العرفان وتوطيد الحركة الفكرية بناء المدارس الوفيرة في انأى النواحي ويكفي أن المولى محمد بن عبد الله شيد ست مدارس في قصبة مراكش وحدها وقد كان للملوك العلويين تدخل مباشر في توجيه الحركة الفكرية فهذا المولى محمد بن عبد الله الملك العالم يضع منهاجا جديدا للتدريس أساسه المطولات والموسعات من مصادر الفقه والأصول وعدم الخوض في جدليات علم الكلام والاقتصار في الاعتقادات على الكتاب والسنة. وهذا المولى سليمان يبذل الأموال الطائلة في تشجيع الطلبة على استظهار المتون كمختصر خليل وقد عرف قبلهما محمد العالم نجل المولى سليمان كيف ينهض الحركة الأدبية في سوس حيث كان خليفة عن والده وكان هو نفسه ضليعا في شتى الفنون.

وقد اتصل حبل الأدب على الطريقة التقليدية في النصف الأول من القرن الرابع عشر كما تواصلت حلقات التصنيف في نطاق محدود على غرار القرون السالفة مع إيغال في الاقتصار على الجمع والتنسيق بكيفية تجرد عالم التأليف من كل روح ولكن المغرب دخل منذ بضعة عقود عهد انبعاثه لا سيما في العصر الموحدي الذي ظهرت فيه على النسق الشرقي في الحديث أنماط وألوان جديدة يهدف بعضها إلى الجمع بين طرافة الحديث ومتانة القديم واتسعت هذه الأبعاد في العهد الحسني.

الغناء والسماع

الغناء حرام عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد والأصل في تحريمه من الكتاب قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ (الآية) وقال ابن حجر الهيثمي في (كتاب الزواجر) فسرها ابن عباس وسيدنا الحسن بن علي بالغناء وفي (روح المعاني) في تفسير هذه الآية : «لهو الحديث على ما روي عن ابن عباس كل ما شغلك عن عبادة الله تعالى وذكره من السمر والأضاحيك والخرافات والغناء» وفي الدر المختار) «التغني لنفسه لدفع الوحشة لا باس به عند العامة على ما في (العناية) وصححه العيني وغيره وأخذ ابن حجر الهيثمي في كتاب (كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع) أن الغناء بالتلحينات الأنيقة حرام وفي حديث أبي أمامة مرفوعا » إن الله عز وجل بعثني هدى ورحمة للمؤمنين وأمرني بمحق المزامير والمعازف والأوتار والصليب وأمر الجاهلية (رواه أبو داود الطيالسي ورواه أحمد ابن حنبل بصيغة أخرى وقد تشبث ابن حزم بظاهر ألفاظ الحديث فقرر أن تحريم العود لم يصح وقال الإمام أبو القاسم الدولقي في مصنفه في السماع إنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه سمع الغناء إلا أن بعض العلماء فصل في ذلك كالأوزاعي في حداء الأعراب وغناء النساء لتسكيت صغارهن وقال أبو طالب المكي : «من أنكر الغناء أنكره على سبعين صديقا» وهم العلماء المبيحون له بشرطه كما لاحظ الإمام السهر وردي أن المنكر إما جاهل بالسنن والآثار وإما جاهل بالطبع لا ذوق له وأشار بالسنن إلى ما صح عنه عليه السلام كإصغائه صلى الله عليه وسلم لشعر حسان بن ثابت وابن رواحة وكعب (بانت سعاد) وذكر في (روح المعاني) أن الاختلاف في الغناء هو نفس الاختلاف في السماع فأباحه قوم واستدلوا بحديث عائشة الذي رواه البخاري قالت : «دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه الشريف فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: «مزمارة الشيطان عند النبي عليه السلام» فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :«دعهما» وفي فتح الباري : «استدل بذلك جماعة من الصوفية على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة والواضح أن قصارى ما في الغناء

إباحته في سرور شرعي كما في الأعياد والأعراس وقد سئل عنه الجنيد فقال : «هو ضلال للمبتدئ والمنتهي لا يحتاج إليه» (وفي القواعد الكبرى «لابن عبد السلام :«ليس من أدب السماع أن يشبه غلبة المحبة بالسكر من الخمر» فإنه سوء أدب وأما ما نسب إليه عليه السلام أنه (تمايل حتى سقط الرداء الشريف عن منكبيه فهو كذب بإجماع العلماء وأشار العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في مقدة (بداية السول في تفضيل الرسول) للإمام عز الدين بن عبد السلام (ت 660 هـ) إلى قول القطب البوني عن الإمام عز الدين: «كان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالوادر والأشعار يحضر السماع ويرقص فيه».

وكان الشيخ العازف المطرب عبد الحق الجابري يعزف بحضور شيخ الجماعة بفاس العلامة سيدي حمدون بلحاج وكان الشيخ الأكبر سيدي أحمد التيجاني يستحضره عندما يغلب عليه الحال ليؤنسه بآلة السماع وكان للجابري اليد الطولى في تقطيع نغمات الأطباع بغناء رده بعد ذلك برباط الفتح بحضرة أبي المواهب العلامة الصوفي سيدي العربي بن السائح الذي قال عنه لما سمعه : «إنه يحرك الجماد تهتز له النفوس الكثيفة»

وقد مدحه الشيخ حمدون بلحاج بقوله :

إن السماع لمقلة	إنسانها في الجابري
جبر القلوب بقوسه	فاعجب لقوس جابر

وفي إحدى السنوات غنى الجابري بحضرة الشيخ سيدي أحمد التيجاني خلال ليال تسع متتابعة من شهر رمضان استعمل في الليلة الأولى قصيدة ابن الفارض فكان يأمره وأصحابه من العازفين بالمبيت عنده أحيانا ولا يحضرهم بعد النصف الأول من الليل وقد أحضرهم في عرس أولاده بالنهار وكان يعطي للسماع كليته ولا يقبل من ءالات السماع وإلا العود والرباب والكمانجة (كشف الحجاب لأحمد سكيرج ص 275) وقد أشار (الضعيف)في تاريخه إلى (الجابري) عندما كان في عنفوان شبابه بوازان عام (1209هـ) حيث أستدعي من فاس إلى الحرم الوازاني فجاء بعوده مع باقي شباب فاس وقال : (قصرنا (أي سهرنا بالدارجة المغربية)بالآلة ليالي شعبان ورمضان وشوال) (ص258 ـ طبعة الطاهري)

وكان كبار العلماء بالمغرب يهتمون بالسماع الموسيقي فكان لآلة العود صولة في أشعارهم وقد دارت مساجلة بين العلامة الصوفي سيدي محمد بن عبد الله القادري (ت 1338هـ) وقاضي الرباط أبي حامد البطاوري يصف حديقة نزهة قائلا :

وكأنما الليمون في أشجاره　　　بين الغصون الخضر ياقوت سما

فأجابه الشيخ البطاوري مذيلا :

أو مثل أقداح الأتاي تدار في　　　جمع شريف بالملاح تنظما

قد زانه نقر المثاني وازدهى　　　طرب به بالعود حين ترنما

(مجالس الانبساط لأحمد بن محمد دينية ص 324)

وقد تبنى علماء كل من فاس والرباط هذا الفن فأطلقوا على ما اخترع من طبوعه كلمة لها رنة دينية هي لفظة (مدرج) (أو الدرج) وهي في مصطلحات علم الحديث الشريف كما يقول شاعر المحدثين الحافظ العراقي :

ومدرج الحديث ما ألحق في　　　أوله أو وسط أو طرف

وقال أبو مدين الغوث في السماع :

ألم تر أن الطير يرقص يافتى　　　إذا ذكر الأوطان حن إلى المغنى

وقد ذكر الشيخ أحمد سكيرج في جناية المنتسب العاني (ص 83) أن الشيخ التيجاني كان يذكر الهيللة من غير رقص يؤدي إلى نقص على ما جرى عليه العمل في الطريقة الخلوتية.

وممن كتب في السماع :

- **ابن الحداد محمد بن أحمد الوادآشي** (النفح ج 9 ص 238)

- **ابن القيسراني محمد بن طاهر المقدسي :** «كتاب السماع» كتب تقييدات عليه محمد ابن جعفر الكتاني

نسخة في مكتبة المرحوم محمد الناصر الكتاني وهو صاحب «شرح الصلاة المشيشية (خع 870 د/خم 4027: 5452-6191)

ـ **أحمد بن محمد بن العربي** أحضري الأندلسي المراكشي (كان حيا أواخر المائة الثانية عشرة)

له : (الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع) رتب مدائح وموشحات أهل المغرب على النغمات الأربع والعشرين وذكر مستنبط كل نوبة ساير به كتاب الحايك في الأمداح بدل التغزل والنسيب (مجلد ضخم في خس)

ـ **أحمد بن محمد بن الخياط** الزكاري (1343هـ) له : «مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب (مجلد) اختصره الشيخ جعفر الكتاني (ت 1323هـ/1905) وطبع هذا الاختصار بفاس على الحجر (23 ورقة)

ـ **الحسن اليوسي** (1102هـ/1590 م) له رسالة في (سماع الحضرة) توجد نسخة في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس (عدد 18078)

ـ **السلطان المولى سليمان** (ت 1238هـ) له (إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع) (نسخة في خح)

ـ **أبو زيد عبد الرحمن** بن شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي الملقب بسيوطي المغرب له (الجموع في علم الموسيقى والطبوع) (مكتبة برلين 5521)

ـ **عبد الغني النابلسي** له : (إيضاح الدلالات في سماع الآلات)

ـ **أبو الفضل الكبير بن هاشم الكتاني** له (الإنسان المعجب في اللسان المطرب) (مات دون إتمامه : الموجود منه في ثلاثة كراريس)

ـ **فتح الله بناني** له (تسلية الأتباع ببعض ما يتعلق بحكم الطرب والسماع) (مطبوع)

ـ **محمد العابدين بن أحمد بن سودة** له : (استنزال الرحمات بالطبوع والنغمات)

أو بإنشاد بردة المديح بالنغمات) (يحتوي على وصف الآلة (أي موسيقى الآلة) وأطباعها ونغماتها وتاريخ دخولها إلى المغرب وشرح مصطلحات الموسيقى (مجلد وسط فرنج منه عام 1325هـ/1907)

ـ محمد الغالي بن المكي بن سليمان

له: ـ الجواهر الحسان في نغم الألحان «يقع في كراستين بخزانة الأستاذ محمد المنوني بمكناس

ـ (الامتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع) الخ.. مجهول المؤلف ألفه باسم يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (706 هـ/1307 م) ورتبه على ثلاثة أبواب وسمى فيه 31 نوعا من آلات الموسيقى .. توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بمدريد فرغ منها ناسخها عام 701هـ/1301م.

وقف عليها الشيخ عباس بن ابراهيم المراكشي (الإعلام ج 2 ص 200)، كما وقف الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني على اسم المؤلف وهو أبو عبد الله بن الدراج ويوجد كتاب باسمه في خع (= 1828) عنوانه «الكفاية والغناء في أحكام الغناء» وقد أشار المراكشي إلى ما أورده المؤلف من أن طبع الاستهلال الذي هو فرع عن الذيل قد استخرجه الحاج علال البطلة بفاس أيام محمد الشيخ السعدي (يوجد في مجلد عدد 5307) ويوجد بخزانة الأخ الأستاذ محمد داود بتطوان كتاب من هذا النوع بخط العلامة محمد ابن قاسم بن زاكور.

ـ **محمد بن العربي الدكالي الرباطي** : له كتاب (فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار) وهو تأليف نظير كناش الحايك[48] أوضح فيه صنعة المديح بذكر الطبوع والألحان) (الاغتباط لأبي جندار الرباطي ص 191)

ـ **محمد بن المعطي السرغيني** الشاعر (1329 هـ/ 1911م) له (المنحة العطوفية في جواز الرقص للصوفية) (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 244).

(48) الحايك هو الحسن بن أحمد الأندلسي التطواني (ت 1130هـ/1717م) جمع الموشحات في كتابه الذي اشتمل علم جميع نوبات وطبوع آلات الطرب وقد رتبه الوزير محمد بن العربي بن المختار الجامعي الفاسي (خع 1327 د/8 د) وقد وردت فيه الإشارة إلى ترتيب صنائع كل ميزان من كل نوبة حسب نظر حداق المعلمين في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن وهي «نفقة» هذبت باقتراح الوزير محمد بن العربي بن المختار الجامعي عام 1303هـ.

- (إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع)

(نسخة بمكتبة دبلن - جيستر بيتي 4132 (م = 81 - 118 / نسختان في خ ح (6040-4764).

- (تقييد في حكم الغناء) (خح 4864-6430)

- (تأليف فيما هو مختلف فيه من الغناء وما هو متفق عليه من تعريف الغناء) (خح 1114).

- Balout Chistan,

(Musique d'extaxe et de guérison) Paris Ocora, 1992.

- H. Corbin,

(En Islam iranien : sur la musique mystique) III, Paris, 1971

- J. During

1) (l'autre oreille); le pouvoir mystique de la musique au Moyen-Orient), cahiers des musiques traditionnelles, III, 1990

2) (Musique et Mystique dans les traditions de l'Iran), Paris, 1989.

3) Kurdistan, (Zikr et chants soufis) Paris, Ocora, 1994

4) (Musique et extaxe), l'audition spirituelle dans la tradition soufie), Paris, 1988.

L. Gardet et G.C. Anawati, (musique musulmane, aspects et tendances, expériences et techniques, Paris, 1968.

Hakemi .E : (سماع دار التصوف)

اقتبس من (تبصرة العوام) لمؤلف شيعي مجهول - طبعة طهران

1358هـ/1980 (W .Ivanow (Some Persian Darwish, Songs), JASB, 23, L. Pouzet (Prise de position autour du (sama) en Orient musulman aux VII/XIIIe siècles, Studia Islamica, LVII, 1983.

- J.Robson (823-894م) حول (ذم الملاهي لابن أبي الدنيا)

Tracts of listening to music. Being Dhunma Al. Malâhi Ibn Abi Dunya anol

(بوارق الإلماع لمجد الدين الطوسي الغزالي)- لندن 1938

G .Rouget, (la musique et la transe) Paris, 1980

Parlant du rebab (rebec), dans son (sama), lors d'une danse cosmique, J.E. Rumi dit : "Ce n'est que corde sèche, bois sec, peau sèche, mais il en sort ". la voix du Bien-Aimé. (Eva, Islam ... 84).



السمـاع والمولـديـات

وكان في طليعة ما أثار بعض العلماء ضد الصوفية قضية الطرب والسماع في المولديات التي كتبت في جوازها رسائل عدة:

وقد عرف السماع خاصة في حفلات المولد النبوي الذي يقيم له المغرب عيدا ثالثا بإزاء عيدي الأضحى والفطر وهو مجهول في الشرف ولعل أول ما صنف في المولد) كتابان لمحمد بن عمر الواقلاتي (207 هـ/822 م) صاحب المغازي وكتاب الفتوح وهذان الكتابان اللذان نقل عنهما الإمام السهيلي في (روض الأنف) هما (المولد النبوي) و(انتقال النور النبوي) (راجع جونة العطار لأحمد بن الصديق بالخزانة العامة بتطوان)

وقد اتصل ابن دحية الكلبي (633 هـ/1235م) عام (604 هـ/1207م) بمدينة (اربل) بصاحبها الملك (مظفر الدين) وكان مولعا بالاحتفال بالمولد النبوي فصنف له (كتاب التنوير في مولد السراج المنير) (راجع روض الأنف للسهيلي ج 3 ص 281 ـ طبعة بيروت)

وذكر الحسن بن محمد الوزان (وهو ليون الإفريقي) أن شعراء فاس كانوا يجتمعون كل عام في العصر المريني بمناسبة المولد للتباري ونيل الخلع والجوائز.

ويحتفل الناس بمناسبة عيد المولد النبوي فيقرأون المواليد وهي عبارة عن سيرة الرسول عليه السلام فيقفون إجلالا للرسول عليه السلام عند الوصول إلى ذكر ساعة مولده وقد أنكر ذلك محمد الحجوي فرد عليه ابن المواز أحمد بن عبد الواحد الفاس رئيس الاستيناف الشرعي بالرباط (1341 هـ/ 1922م) في كتاب سماه (حجة المنذرين على تنطع المكرين).

وقد صنف الإمام السيوطي رسالة في المولد النبوي سماه (حسن المقصد في عمل المولد) أكد فيه أن المولد من البدع المستحسنة و أن الحافظ ابن مجر العسقلاني الذي لاحظ هو أيضا بدعية المولد الذي لم ينقل عن السلف من القرون الثلاثة الأولى ولكنه اشتمل على محاسن «فمن تحرى كما يقول في عمله المحاسن وتجنب ضدها كانت بدعة حسنة.

وقد بدأ المغرب يحتفل بالمولد النبوي منذ عهد بني مرين، ويوجد كتاب حول عادة العلويين في المولد النبوي لأحمد بن محمد بن حمدون بلحاج (1316 هـ/ 1899م) (توجد نسخة منه بخزانة الأستاذ محمد المتوني) وكتاب (السر الرباني في مولد النبي العدناني) لمحمد بن محمد بن عبد القادر بناني (1344 هـ/1925م) طبع على الحجر بفاس عام 1332 هـ/ 1913 م (في 30 ص)

بلوغ المرام بقراءة مولد خير الأنام ـ طبع بفاس (12 ص) لمحمد بن محمد الحجوجي الفاسي نزيل دمنات (ت 1370 هـ/1950م)

وذكر (الفشتالي) أن المنصور السعدي كان يحتفل بالمولد النبوي فيصرف الرقاع إلى الفقراء أصحاب الذكر على رسم الصوفية والمؤذنين المهللين في الأسحار فيأتون من حواضر المغرب وتطرز الشموع فتحمل ليلة المولد بالأطبال والأبواق والمعازف إلى الإيوان الشريف حيث يصلي المنصور الفجر فيقعد على أريكته في حلة البياض شعار الدولة وأمامه الشموع الملونة والحسك والمباخر فيسرد الواعظ فضائل الرسول ومعجزاته ورضاعه ثم المولديات ثم كلام الصوفية ونوبات المنشدين ثم شعراء الدولة قاضي الجماعة الشاطبي والمفتي عبد الواحد الشريف والوزير علي بن منصور الشيظمي والكاتب أبي فارس عبد العزيز الفشتالي ثم الكاتب محمد بن علي الفشتالي ثم الأديب محمد بن علي الهوزالي النابغة ثم الفقيه علي بن أحمد المسفيوي ثم ينشر خوان الأطعمة للأعيان ثم المساكين (الاستقصا ج 3 ص 75 نقلا عن مناهل الصفا) وورد في (المنتقى المنصور في مآثر خلافة المنصور) لابن القاضي أن المنصور كان يستدعي الناس أيام المولد النبوي على ترتيبهم فيقرأ بعض القراء شيئا من كلام الولي الصالح محمد بن عباد ثم تقرأ الميلاديات بألحان زكية وإنشاد مقطعات الشعر (الباب الرابع) وكان عبد الله بن عجال المزوري يقرأ نظم الأمداح المولدية بين يدي المنصور كما اختص فيها ابن الصيرفي محمد بن عمر بن عبد الله المراكشي (الإعلام ج 4 ص 40) ومحمد بن أحمد الصنهاجي وزير القلم في العهد الحسني (الإعلام ج 7 ص 63 ـ ط.1975)

وكان المولد يقام أيضا بالمنازل الخاصة كل سنة كما ورد في ترجمة الفاضل بن عبد

المجيد السرغيني الذي كان يقيمه كل سنة بداره وبحضرة العامة (الإعلام للمراكشي) كما كانت رسائل سلطانية وقصائد مولدية تقرأ أمام الضريح النبوي (راجع أنيس الساري) رحلة ابن المليح المعروف بالسراج إلى الحج عام 1042هـ/1632م.

(نظام الاحتفال بالمولد النبوي في العهد العلوي (العز والصولة ج 1 ص 172)/ مناهل الصفا ج 2 ص 221 /الاستقصا ج 3 ص 75)/الإعلام ج 4 ص 40 نقلا عن نفاضة الجراب) لابن الخطيب/ عادة العلويين في المولد النبوي لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج (1316هـ/1899م) (نسخة بخزانة محمد المنوني)/ (مولد النبي) لمحمد بن قاسم بن محمد الهاشمي الفاسي (1331هـ/1913م) اسمه (سعادة بمولد خير الأمة) (طبع على الحجر بفاس (24 ص)/(اليمن والإسعاد بمولد خير العباد) لمحمد بن جعفر الكتاني (طبع برباط الفتح (59 ص) على الحجر بفاس وقد شرح هذا المولد التهامي بن عبد القادر ابن الحداد المراكشي (لم يكمل)/ مولد للعلامة محمد الحجوي (راجع ترجمته)

وكان ملوك المغرب يهتمون منذ العهد السعدي بالمدح النبوي بواسطة الهمزية والبردة وكلاهما للإمام البوصيري وكذلك (بانت سعاد) وفي (عام 1200هـ/1785م) دشن السلطان سيدي محمد بن عبد الله إتمام بناء جامع السنة بالرباط فأقام حفلا حضره المادحون فكان التلحين مناوبة بين أهل فاس وأهل تطاوين وفرق المال على الفقهاء والطلبة والمجاهدين (كتاب النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية لابن زيدان)

إلا أن إقامة المواسم قد أثار انتقاد كثير من العلماء وقد كتب السلطان المولى سليمان نفسه رسالة في نقده خاصة في الذكريات لبعض شيوخ الصوفية

وقد شرح الهمزية علماء عدة منهم :

- الشيخ سيدي أحمد التجاني : الارشادات الربانية بالفتوحات الإلاهية) (طبعة الفحامين - القاهرة 1347/1928

- أحمد بن جعفر الكتاني في ثلاث رسائل (الهمزية البهية في مدح خير الربية) و(الفتوحات الإلاهية على الهمزية البوصيرية) و(عقد الدر النفيس على شرح الهمزية للشيخ بنيس)

- (النخبة السنية في شرح القصيدة الهمزية) لأحمد بن الأقطع البرنوسي (خح 6622 مبنتور الأخير)

- (أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري) لأحمد بن محمد بن أحمد بنيس) (خح 991)

- شرح الهمزية لمحمد بن أحمد الحضيكي نزيل آيت آسى (1189 هـ/1775م) (خع 1658د)

Le mouloud au Maroc, Paul Paquignon R.M.M. XIV (1911) (p. 525-536)

علم الحروف والأسماء (أو الجدول)

والواقع أن علم التصوف اختلط بعلم آخر تجنبه كثير من كبار الصوفية وهو (علم الحروف والأسماء) أو (علم الجدول) وهو علم يدخل في نطاق الروحانيات التي تستنزل بكتابات وترقيمات على نسق معلوم يسمى جدولا وقد عرفه الغزالي بل سمي أحد أنواعه ب(جدول الغزالي) ولعل هذا هو ما زاد في حدة انتقاد أبي حامد الغزالي وكان بعض المتصوفة يتعاطون علم السيمياء) الهادف إلى تحويل بعض المعادن إلى ذهب وكان البعض يستعمل (علم الجدول) للكشف عن المغيبات ومن هؤلاء أحمد بن قاسم بن الفقيه معيوب الأندلسي دفين مراكش (1022هـ/1613م) الذي سمه المولى (زيدان السعدي) بدجاجة عندما أخبره أنه سيغلب في حرب من حروبه وقد كشف عن ذلك بطريقة الجدول (الإعلام ج 2 ص 82 ـ الطبعة الأولى)

ـ قصيدة في علم الأسماء لأحمد بن جعفر السبتي 601 هـ/1204م شرحها المطيع بن العباس المراكشي 1295هـ/1878م (السعادة الأبدية ج 2 ص 66)

ـ لباب الحكماء في علم الحروف والأسماء لابن عزوز عبد الله المراكشي المعروف ببلا خع 1752د/ خم 1081ـ 1514

ـ (كتاب في الجدول) لمحمد بن حكم بن أحمد بن باق

ـ (تبيين معنى المجمل في علوم الجدول) (أرجوزة لعيد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (خع 2000 د) (م = 173-183)

ـ (قصيدة في الجدول) لمحمد بن سعيد المرغيثي

ـ (الزايرجة) لكل من أبي العباس السبتي وابن عربي الحاتمي (مخطوطة في مكتبة كابل في تسع صفحات)

ـ (أغلوطة جداول وزايرجة) لمحمد بن أحمد المعروف بالمراكشي وهو من أهل المرية (737هـ/1336م) (الإعلام ج 3 ص 260 ـ الطبعة الأولى)

(أرجوزة وجيرة في بيوت كسر الجدول) منسوبة لمحمد بن قاسم بن القاضي (خع 2215 د (248 ص)

وقد اتسم كثير من المتصوفة بسمات خاصة كلبس المرقعات وإقامة المواسم واستعمال السبح والرقص وكان بعضهم يلبس الثياب الحسنة كعبد الخالق بن ياسين الدغوغي الذي كان يقول: «ما علي في لباسها إذا كنت مع الله بقلبي» (الإعلام ج 8 ص 46ـ ط. 1975)/ التشوف ص 205)

أما السبحة التي صنف فيها السيوطي رسالته (المنحة في السبحة) (نسخة في خع 1961 د) فقد أصبحت اليوم خاصة في الشرق أداة تسلية فولكلورية بينما كانت منذ العهد الأول وسيلة لحصر وعد الاذكار وقد أصبح فريق من الصوفية منذ القرن التاسع الهجري ينظمونها في أعناقهم كما كانوا يلبسون الشوشة في رؤوسهم (كناش الشيخ زروق ص 27) وتوجد قصيدة بعنوان (الدربلة) أي المرقعة)

وقد أخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال : «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده» وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في (زوائد الزهد) إلى أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به وكان لأبي الدرداء نوى العجوة في كيس فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن (الحاوي للفتاوي ـ السيوطي ج 2 ص 2)

(تقييد في الهز والرقص والدوران عند الذكر لعبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي) (خع 2074 د (239 ص)/الجيلاليات (وهي قصائد ملحون في مدح الشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي/ أحوال المريد الفقير) لأحمد بن عبد السلام الوزاني (طبع بفاس في 30 ص) (عدة المريد الصادق في أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت) لأحمد بن أحمد زروق/ (مائة فصل في بيان بدع فقراء الصوفية/ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لابن تيمية (الطبعة الثانية 1371هـ/1958م)/ (الديوانة في التصوف) لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (1327هـ/1909) (خع 1736 د/ المكتبة الوطنية بتونس ـ 241 م)/ رسالة في سماع الحضرة) للحسن بن مسعود اليوسي (مكتبة حسن حسني عبد

الوهاب بتونس 18078) / معيار الونشريسي ج 11 ص 22 ـ طبعة فاس الحجرية حيث نقل كلام عز الدين بن عبد السلام عن الرقص بأنه بدعة لا يتعاطاه إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء) / (الجهر بذكر الله) لمحمد بن الفقيه الزجاجي) (مكتبة تطوان 425) / (الأنوار السنية في الأذكار النبوية) لأحمد بن محمد بن عجيبة التطواني (مكتبة تطوان 853) / (ديوان الزهديات) لإبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الألبيري (459 هـ/1067م) (نسخة بالاسكوريال عدد 404 نشرها E.Garia Gomez بمقدمة/ (مراسم الطريقة في فضائل أهل الشريعة والحقيقة) لسعد الدين بن الشيخ شرف الدين (خع 1990د) (م = 22-115) تحدث فيها عن بعض مصطلحات الصوفية وأحوالهم في خلواتهم العشر وعن صوفية مغاربة أمثال يعقوب المنصور الموحدي وأبي مدين الغوث ومحمد ابن عبد الكريم الهزميري وابنه عبد الرحمن وأبي محمد صالح ومحمد بن محمد الزناتي وأبي يحيى المغربي الرياحي الخ/ (جواب في شأن حلق الذكر) لأحمد بن يوسف الفاسي (خح 6197) / (المنحة العطوفية في جواز الرقص للصوفية) / لمحمد بن محمد بن المعطي السرغيني المراكشي) / تقييد في تراجم الرجال السبعة لأبي بكر بن العربي بناني الفاسي) وءاخر لعباس ابن إبراهيم صاحب الإعلام/ (الزهر الندي في الخلق المحمدي) لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي (1088هـ/1677م) (خع 157د)

وقد شغلت الدراسات حول (الإسم الأعظم)حيزا كبيرا في كتب الصوفية وهو موضوع لفت نظر علماء الكلام والصوفية معا بالمغرب وكتبت فيه عشرات الكتب ولكن في حدة «كلامية» أقل مما لوحظ في الشرق نظرا لاتسام الاختيارات بالطابع المالكي حتى عند الصوفية وقد أفرد هؤلاء دراسات واسعة للاسم الأعظم منها:

إثمد البصائر في معرفة حكمة الظاهر بالاسم الأعظم) (خم 6891/7686)وكذلك (رسالة الصوفي للصوفي في التعريف بالاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي وفي التعريف بشرابه الصافي وميراثه الوافي وسره الكافي) (خم 5887/خع 2454) وكلاهما لابن عزوز عبد الله المراكشي المعروف ببلا فرغ من الكتاب الأخير عام 1195هـ/1780م.

رسالة في اسم الله الأعظم (خم = 2000 = د)لمحمد بن المختار الكنتي

ومما اشتغل به الصوفية مقام الفناء الصوفي فكتبوا فيه الشيء وهو امحاء الشعور بالذات يليه فناء الفناء وهو مقام يفنى فيه المريد عن الشعور بفنائه ويقابل الفناء عند الهنود (النرفانا) Nervana وأرى أن أصلها عربي وهو (نور الفناء) ومما كتب في الموضوع (مقام الفنا) لأبي الحسن العمراني (مكتبة تطوان ـ الجزء الأول عدد 891)

وتقول بعض المصادر الأجنبية بأن (روزكروا) Rose-Croix أو Rovenkreuz هو شخص ألماني إشراقي (illuminé) من رجال القرن السابع عشر ورد على المغرب وانزوى في كهف حيث مات وعمره مائة وست سنوات (1484م/889 هـ) وكان يبحث عن أسرار الحكمة العليا وأسرار الطبيعة وكان ممن يعتقد بقرب الساعة وأن العالم سيتغير بتدخل أمثاله وقد كشف عن قبره عام 1604م/1013هـ) وتوجد ثلاث منظمات تتزعم فكرة تحقيق امتداد الروزكروا) في هولاندا والولايات المتحدة وفرنسا)

وقد انتشرت في المغرب زوايا خاصة في بمراكش منذ العهد المريني منها زاوية عبد الله ابن ساسى على ضفة وادي تانسيفت ورباط الناصري الذي كان يتولى أمره العلامة محمد العوني في العشرة الثالثة من القرن الثاني عشر (الإعلام ج 6 ص 133 ـ ط.1975) وزاوية ماء العينين بسلا وقد أقام له المولى عبد العزيز (عام 1314هـ/1896م) زاويتين بكل من مراكش (راجع قسم الزاوية) وفاس (المعسول ج 4 ص 93)

وإذا كانت الطرق والزوايا قد امتحنت في عصور مختلفة فربما كان ذلك لانحراف في الأتباع وقد امتحنت من طرف محمد الشيخ السعدي عام 958هـ/1551 م حيث أخلى زاوية الكوش بمراكش وكان يطالب الزوايا بودائع بني مرين (الاعلام ج 4 ص 161 ـ الطبعة الأولى/ الاستقصا ج 3 ص 12)ومع ذلك فقد لاحظ الأمير شكيب أرسلان) في (حاضر العالم الاسلامي) ونقله عنه (مورى بونى في كتابه حول الإسلام والمسيحية وكذلك (كودار) في (وصف وتاريخ المغرب ج 1 ص105) أن الطرق الصوفية خولت الإسلام في افريقيا قوة كبرى على الصمود والمقاومة)

Weir T.H, The Sheiks of Morocco, in the XVIe Century Edinburg, 1904.

G. Marçais, note sur les ribats en Berberie (in mélanges René Basset, Paris T.2 p.395-430)

أدعيــــاء التصــــوف

عندما تأسست الطريقة الجزولية التي هي فرع من الشاذلية على يد صاحبها سيدي محمد بن سليمان تخرج عليه 12.665 مريدا وصحب كل واحد من هؤلاء آلاف الاتباع (الممتع ص 4) ولكن كان بين هؤلاء التلاميذ رجل اسمه (عمرو المعيطي) يلقب بالسياف وكانت بداية أمره أنه قام منتصرا للشيخ الجزولي عازما على الاقتصاص من الفقهاء الذين دسوا إليه السم فقتلوه فتعقبهم واعدمهم وكأنه أحس بمواتاة الفرصة نظرا لالتفاف الناس حوله فانبرى يطارد المنكرين عليه ويسميهم جاحدين ويدعو أصحابه بالمريدين (وما أحقهم أن يكونوا مريدين بفتح الميم كما يقول الشيخ زروق !).

ومن هذا النوع أيضا استغلال الطائفة الملعونة المدعوة باليوسفية لاسم أحمد بن يوسف الملياني لتضليل الأفكار والتلبيس على الدهماء وقد سمى صاحب الممتع هذه الطائفة بالشراقة وهم طائفة العكاكزة أولاد عبد الحق المنزول الذين وصفهم محمد بن أبي بكر الدلائي بأنهم «فساق كفار ظلام محاربون» (محاضرات اليوسي ص 145) وهذا يدلنا على أن الدجاجلة لم يخل منهم زمان وادهى ما في الأمر اندساسهم بين ذوي النزاهة من الصوفيين.

وهنالك أنواع أخرى تسربت إلى المغرب من الأندلس منها الطائفة المسرية التي لم ينتشر نفوذها لقيام العلماء بنقضه وفي طليعتهم الامام ابن حزم الذي لا نعرف نظريات ابن مسرة الا من خلال انتقاداته وهذه الطائفة وان كانت لا تتسم بالطابع الطرقي إلا أنها من المذاهب التي ارتكز انتحالها على مذهب صوفي أساسه التأويل الرمزي للقرآن على طريق الاسماعيلية التي قامت بدور كبير في تبلور الفكرة الصوفية في الاسلام (.. ومنها الطائفة الأندلسية التي أسسها محمد الأندلسي نزيل مراكش وكان رجلا مولعا بالطب والكيمياء فسب الأيمة فأفتى فقهاء الحمراء بتضليله وزج به السلطان في غياهب السجن ولكن أتباعه تكاثروا واحتدم الصراع بينهم وبين بعض العامة وسموا أنفسهم بالمحمدية غير أن نهاية هذا الدعي المجرم كانت القتل والصلب على يد العوام في عام 984 هـ (حسب صاحب الدوحة)

وذكر غيره أن الذي قتله هو السلطان محمد بن عبد الله المخلوع وقد صنف في نقض انتحالات هذه الطائفة كتاب في مجلدين لأبي القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان وكذلك وريقات لأحمد الصغير أحد تلامذة المنجور.

وما دمنا نتحدث عن مخاريق ادعياء التصوف الذين زيفوا الفكرة الصوفية منذ العصور الاولى فلا بأس أن نتعرض لترهاتهم حتى نكون على بينة من أمرهم وحتى لا نخلط بينهم وبين الصوفية الحقيقيين.

فقد ظل المغرب خلال العصور الأولى بعيدا عن الطوائف الضالة وعن النظريات الشاذة التي كانت تعصف إذ ذاك بالشرق وقد شهد أبو بكر الطرطوشي الذي صنف كتابا في البدع والمحدثات في رسالة وجهها من الاسكندرية إلى سلطان المغرب بأن أهل المغرب هو المشار إليهم في الحديث الشريف «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق» «لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والإحداث في الدين»!

ونحن لا نكاد نجد أثارة بدعة جافية في ربوع المغرب قبل القرن السادس ولا يمكن أن نعثر فيما صنف خلال القرون الأولى كالتشوف على اشارة إلى شذوذ عند الصوفية أو صدور دعاوي نابية عنهم لأن التصوف كان اذ ذاك مطبوعا بالبساطة ولم يكن الصوفية يختلفون عن بقية الناس إلا بكثرة العبادة وتلاوة القرآن وسرد الماثور من الأدعية وكانت الأذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة من القرآن ومن ذلك بعض الأحزاب لاسيما أحزاب الشاذلي التي تتألف مطالعها من سلسلة آيات ولم يكن لبس الخرقة والمرقعة صفة لازمة للصوفي المغربي إلا إذا جاء ذلك عفوا عن طريق الزهادة في متع الدنيا وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراء العلم وتلاوة القرآن والجهاد فإذا طالعت تشوف ابن الزيات وجدت أن كثيرا من رجاله كانوا «معلمين»أو مدررين يعلمون القرآن للصبيان !.

وكان الامر على خلاف ذلك في الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة إلى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية والإيغال في لبس المرقعات واندساس الادعياء في صفوف النزهاء حتى كان القشيري ينشد إذا جلس إليه الصوفية وعليهم الهيآت والمرقعات ابياتا منها :

اما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم يقول

أما الهيئات والمرقعات فمعروفة   وأما القلوب فمنكرة

وكان الجنيد ينشد :

أهل التصوف قد مضوا   صار التصوف مخرقة

صار التصوف ركوة   وسجادة ومذلقة

ووصف سليمان الداراني الصوفية بأنهم «موشحون باعراض الدنيا يحافظون على السبحات المزينة والسجادات والمرقعات بينما هم موغلون في الشبهات والمحرمات متخذون ظاهر الدين شركا للحطام» وقد سئل مالك عن جماعة يأكلون كثيرا ويرقصون كثيرا وذكرت له أحوالهم فضحك ثم قال : أمجانين هم ؟!.

والواقع أن ملوك المغرب في تلك العصور كانوا مشبعين بالروح الصوفية الناصعة يترصدون ـ معززين من طرف رجال الدين-لكل من تحدثه نفسه بالابتداع والظهور بالمخاريق والشطحات على أن أكثر اللذين ناهضهم ملوك بني تاشفين أو الموحدين هم من الأندلس وأشدهم غواية ابن قسى صاحب (خلع النعلين) وبعض المتمهدين.

غير أن الفكرة الصوفية ما لبثت أن تشعبت فتسرب إليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن الهجري على إثر انتشار الطرقية واندساس الأدعياء في الزوايا والرباطات فانتحل الكثير المذهب الصوفي لأعراض لا تمت إلى الروح بصلة وأصبح التصوف عرضة للافتيات يستغله كل من يريد التوصل إلى أغراض الدنيا عن طريق الشعوذة والتدليس على العوام والدهماء فتجردت الطرقية من شتى مظاهر الرواء والسمو والجاذبية والجمال.

وبدأت الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ القرن الثامن محاطة بهالة من الشكليات المستحدثة ومازال التراث الصوفي يتضخم ويتسع إلى أواخر القرن الثاني عشر حيث اتضحت الخطوط واكتملت الرسوم والحدود بفضل ذلك النبع الفياض من التأليف التي ترجمت للصالحين ومناقبهم وطرائقهم.

والحقيقة أن التصوف بدأ يتدهور منذ أصبح في متناول العوام تلوكه ألسنتهم في غير هدى ولا اتزان ولن أضرب لك سوى مثل واحد وهو طريقة أبي محمد صالح دفين أسفي وتلميذ أبي مدين الغوث فقد كان اماما ذائع الصيت يرد عليه الصوفية حتى من مصر للأخذ عنه وانتشرت خلال القرن السابع فكثر تلاميذه في الشام وبلاد الكنانة حتى مدحه البوصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

قفا بي على الجرعاء من جانب الغرب ففيها حبيب لي يهيم به قلبي

غير أن طريقته هذه التي كانت سنية المعالم ما لبثت أن انحرفت بما دسه فيها الدخلاء والأدعياء واصحاب الاغراض من الدجاجلة والملبسين وقد صنف أحمد الماجري «المنهاج الواضح» لا لشيء سوى صون طريقة جده أبي محمد صالح عن «تأويل الجهلة من متعسفي العصر» وقد أكد في هذا الكتاب «أن طريق التصوف أفلت في معظم بلاد الغرب (ص 14) وان سوقها بار وأنصاره قد ولت الأدبار فظهر من الفتن التي أبدعت في مواسم الخير ومواضع العبادة والبدع التي أحدثت بالجهل من أهل الشر ومدعى الارادة كلهم توسموا بزي الفقر ولكنهم حجبوا عنه في الحقيقة بالغشاوة والوقر»(ص 18-19) «وقد انطوى بين الناس بساط الورع .. فالتبس الطريق على سالكيه (ص 389) وثارت ثائرة طلبة العصر وفقهاء المصر على المتصوفة الذين يلبسون المرقعات ويتطوقون السبحات»(ص 159).

وفي القرن الثامن ظهر ابن خلدون بكتابه «شفاء السائل» فرد الطرقية إلى أصولها وحلل خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الأدعياء وفي القرن التاسع برز محتسب الصوفية الامام النقاد الشيخ زروق بكتابه «عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت» وعلل انتشار المبتدعة والادعياء بانتقاص الإيمان والجهل بأصول الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة (وهذا عنده من مبادئ الزندقة) وحب الرياسة مع الضعف عن أسبابها ثم أكد أن الصوفية الحقيقيين أنفسهم عرضة للخطأ وان مقالاتهم يجب أن تعرض على الكتاب والسنة وأن الفقه والأصول شرطان في التصوف فلا تصوف الا بفقه ثم تعرض إلى قوم أخذوا بكلام أمثال ابن سبعين وابن الفارض والحاتمي مع عدم تحققهم به وقوم خاضوا في أمر ليسوا منه على حقيقة بل فهموا كلام الايمة فادعوه حالا

لانفسهم .. وقوم فرحوا بما عندهم من الظاهر وجمدوا عليه أو شطحوا بما فهموا من علم الباطن ودعوا إليه وهناك طائفة تعلقت بالاحوال تدعي أنها ترى رجال الغيب كالخضر وتخبر في ذلك في أمور اما كذبا صراحا واما تلبس عليها الامر بخيال شيطاني وطائفة ادعت الغناء والتصرف بغير اختيار فتبسطت في المحرمات وطائفة ظهرت بالجذب وقوم غلب عليهم الكسل فعدلوا إلى رخص المذهب من السماع والاجتماع وايثار التزيي بالمرقعات المزينة والمسبحات المزخرفة والسجادات المزوقة والعكاكيز الملفقة وقوم أثروا المصالح العامة وتتبعوا الفضائل فجنحوا لاطعام الطعام وقوم اضطرهم البحث عن الكنوز والكيمياء واسرار الحروف إلى تضييع الواجبات ففتحوا باب المحنة على أنفسهم وعلى المسلمين بالخروج على الامراء وقوم تجردوا للعبادة فوقعوا في مهاوي البدع عن طريق التشديد ومتابعة الهوى بترك السماح والسهولة وأعظمهم طائفة ادعت المشيخة والتربية وان ما هي عليه هو الموصل للحق وربما أسندوه لبعض أهل الصدق وأخذوه بالعموم بينما كان يعمل هو به بالخصوص.

ثم أكد الشيخ زروق قائلا : «ولقد تتبعت الطرق الموجودة بأيدي الناس في هذه الأزمنة فلم أجد لأهلها فتحا ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا ولا فهما بل ولا لذة نفسانية غير لذة الرياسة والامتياز بالاختصاص ..» وهنا تعرض إلى الاسس العملية التي بنى عليها الطرقيون مددهم فذكر:

1) أنهم قرروا مخالفة النفس بكل وجه وغلطوا في هذا الاطلاق لأن المقصود موافقة الحق بمخالفة النفس لا مجرد مخالفتها واستشهد بقول عمر بن عبد العزيز «إذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد».

2) انهم تجردوا عن المعتادات بدلا من الانس بها وتغالوا في بعض المظاهر كتوفير ما تحت اللحية وأدخلوا على أنفسهم المشاق والأجر على الاتباع لا على قدر المشقة وقد تعرض الشيخ زروق في «عدة المريد» إلى الفتنة التي وقعت في الاندلس في القرن الثامن حول قضية اتخاذ المشايخ حتى تضارب الناس بالنعال وكتبوا إلى البلدان الاسلامية يستفتون فكان من جملة الأجوبة «جواب لبعض قضاة مصر» ولعل الشيخ زروق انما يعني ابن خلدون

الذي تولى القضاء في القاهرة حيث صنف -على ما رجحناه في بحث سبق ان نشرته رسالة المغرب على حدة ـ كتابه «شفاء السائل في جملة مسائل» الذي تعرض له زروق في عدته وقواعده دون أن يصرح باسم المؤلف ولا شك أن شبوب تلك الفتن كانت نتيجة مباشرة لانحراف التصوف عن الجادة وتدخل العوام في رقائقه وقد كان الشيخ زروق يحذر من كتب الصوفية الرقيقة ومن كلامهم الرقيق كما كان أبو المحاسن الفاسي ينهي عن ذلك مؤكدا أن كتب الحاتمي وابن الفارض «تسد عن الناس باب الفتح» حسب تعبيره ويدعو إلى الادمان على حكم ابن عطاء الله. والشعراني[49] نفسه كان ينهى مريديه عن قراءة كتب التصوف والتوحيد المطلق كمصنفات ابن عربي وغيره من «غلاة الصوفية» (البحر المورود ص 274) وهذا لا يتنافى مع ما جاء في مقدمة (اليواقيت والجواهر) من الدعوة إلى كتب ابن عربي فإنه احترس هناك -كما يقول زكي مبارك- حين أقنع المريد بأن ما جاء في كتب ابن عربي مخالفا للشرع إنما هو من وضع الدساسين وقد حذر الشيخ زروق (في قاعدة 207) من تلبيس ابن الجوزي وفتوحات الحاتمي بل كل كتبه أو جلها كابن سبعين وابن الفارض والعفيف التلمساني والاسود الأقطع والتجيبي والششترى) ومواضع من الأحياء للغزالي ومواضع من (قوت القلوب) لأبي طالب المكي وكان اليوسي من المعجبين بنظم الحلبى فكان يقضي له ضرورياته مدة إقامته بفاس من ماله الخاص حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق فنقم عليه اليوسي ونهاه سدا الذريعة وحماية لجانب الشريعة فاصر الحلبي فلم يتردد صاحبه عن هجرانه وكان الحلبي هذا من كبار العلماء ولكنه كان يرى أنه على بصيرة من ربه فيما ينظم بلسان الوجد والحال.

وقد حمل اليوسي في محاضراته حملة شعواء على أدعياء الطرقية ورسم لنا صورة عما انتهى إليه التصوف المغربي بسبب من اندس في حظيرته من مغرضين فقد قال : «كم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون أو معتوه أو موسوس أو ملبس فيقع به الاغترار للجهلة الاغمار .. وقد يشايعه من هو مثله من الحمقى ومن الفجار» (ص 39) ومن أغرب

(49) ذكر الشعراني في تنبيه المغترين (ص 7) ان بعض الناس دس في كتابه (البحر المورود في المواثق والعهود) وفي مقدمة كتابه (كشف الغمة عن جميع الأمة) ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأثار ذلك فتنة في الجامع الأزهر ولم تخمد الفتنة إلا بعد أن أرسل النسختين الاصليتين المجازتين من بعض مشائخ الاسلام إلى العلماء الازهريين للاطلاع عليهما وقد أشار الشعراني في كتبه إلى ما استحدثه كثير من مشائخ وفقراء عصره مما يخالف السنة حتى أصبحت أصول التصوف غريبة عند منتحلى الطريقة.

ما حكاه اليوسي (ص 40) أن رجلا ورد على سجلماسة واتسم بالصلاح فأقبل عليه الناس ثم تبين بعد أنه يهودي وكانت بسجلماسة أيضا شجرة يقال لها الشجرة الخضراء لدوام اخضرارها فجعل النساء يزرنها استغرابا منهن لحالها ويعلقن عليها الخيوط ويطرحن الدراهم في أسفل جذعها بل كان العوام من الرجال ينسبون إليها ترهات الأراجيف (ص 36) فبعث الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن الشريف جماعة من طلبته استأصلوا شافتها وقطعوا جذورها وهكذا كان علماء الصوفية يترصدون للبدع والمبتدعة.

وقد أفاض اليوسي في وصف حيل الملبسين من ذلك قوله : «فما شئت أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة فضلا على أن يعمل به فضلا عن أن يخلص إلى الباطن فضلا على أن يكون صاحب حال فضلا عن أن يكون صاحب مقام إلا وجدته يصول ويجول وينابذ المعقول والمنقول وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ويستتبع اتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا فيقول خدام أبي وزريبة أبي ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان .. : ثم يخترق لهم من الخرافات ما يدعيه سيرة ودينا يستهويهم به (ص 107) ووصف دعاة الاطلاع على الغيب والمتظاهرين بالوجد والسكر وصفا رائعا فقال :«وأما ما نحن فيه من ادعاء الاطلاع على الغيب والتظاهر بالكشف والتصرف بالوجود فهو الكثير في زماننا في المنتسبين دعوى منهم وتشبعا بما لم يعطوا » إلى أن قال : «فمنهم من يستند إلى مجرد خيالات منامية ويتأولها لنفسه ومنهم من يحكم ظنا وحرصا.. ومنهم من يتظاهر بالوجد والسكر ويقول ما يقول في ذلك فإذا كذب وليم يقول والله ما أدري حين تكلمت ما أقول ومالي اختيار وظن أنه يتخلص بهذا من الملامة»(ص 110) : وقال : «وقد انحصرت دعاويهم في الحدثان والكوائن ومآرب الناس ولم يرتقوا إلى ما فوق ذلك لجهلهم فاشتغلوا بما يطلبهم العوام»(ص 111).

وما حدثنا به اليوسي في أواخر القرن الحادي عشر (المحاضرات بدأ تصنيفها عام 1095) لا يختلف كثيرا عما حدثنا به زروق في القرن التاسع اللهم إلا من حيث الاستفحال والتلون في الشر فاستمع إلى اليوسي يصف بعض الحيل فيقول : «ومنهم من يسند إلى التنجيم وعلم الاقترانات أو إلى خط الرمل أو نيروجات أخرى تشبهه ومنهم

من يحتال احتيالا فإذا قدم الوفود دس من يسألهم عن سفرهم وما وقع لهم فيخبره بذلك فإذا خرج جعل يشير إلى تلك الأمور فيقولون قد أطلع الشيخ على أحوالنا وأكثر ما يحكى من هذا النوع في هذا الزمان إنما هو من أخذ هذه المداخل احتيالا من المتبوع أو جهل من التابع والعوام يستنطقون من لا ينطق ويفسرون ما لا يفسر فهم الشياطين في زي المومنين» (ص 112) ثم تحدث عن ظاهرة أخرى فقال : « .. نجد الفقير يثقل عليه أن يتصدق بدرهم لمسكين محتاج أو يتيم وأرملة ويخف عليه أن يحمل الدينار والدينارين إلى دار شيخه» (ص 118)

وكانت البادية المغربية أكثر إيغالا في الابتداع وأشد انحرافا عن الروح الصوفية لغلبة السذاجة على اهلها الذين كانوا يبلغون في التبرك بآثار الصالحين حد الشذوذ.

وقد خص اليوسي بالذكر المصامدة (لاسيما رجراجة) موطن الأضرحة والمزارات مؤكدا أن من جملة المواضع التي اشتهرت بآثار الصالحين ووقع التغالي فيها شالة وميسرة (في بلاد ملوية) ورباط شاكر (ص 38).

ومازال الجهلة يتغالون في مراسم الطرقية وشكلياتها حتى قال محمد المهدي الفاسي في (تحفة أهل الصديقية) : «أدركت من الجهلة من يقول : ما نتوب حتى نجد شيخا نتوب على يديه».

وقد أورد صاحب (الدرر المرصعة) رسالة «لبعض الأعلام المحققين» سماها «صفع القفا لمن لم يتبع سنة المصطفى» (صلى الله عليه وسلم) انتقد فيها أهل البدع وذكر مخازي أدعياء التصوف في أرجوزة مهلهلة النسيج جاء فيها:

لاتصحبن شخصا من المشائخ	إلا الذي في كل علم راسخ
وجنبن صحبة الجهال	الخائضين لجة الضلال
كذاك من يلقن الأسماء	لكل جاهل إليه جاء
فإنهم في الخلق شر طائفة	إذ جاءوا للدنيا بزي الآخرة
قد ملكوا القلوب بالزخارف	واستعبدوا الأنام بالخرائف

وما ترى من فقراء الوقت ... فإنه مقت وأي مقت
انتشروا في جملة البلاد ... ليتد جلوا على العباد
وتلك حيلة على الأموال ... غزوا بها النسا مع الرجال

وفي القرون الأخيرة اختلت المقاييس وتشعبت الدعاوي واستفحلت النحل فكنت ترى أفواج الناس يقصدون ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه كل سنة للوقوف به يوم عرفة ويسمون ذلك «حج المسكين» وتجد آخرين يسمون أنفسهم بأهل الخواطر يتجمعون بأحد مساجد (عدوة الأندلس) بفاس للتحدث عن الخواطر وعرضها على الشيخ وتأويلها وقد أدرك صاحب (مرآة المحاسن) هذه الطائفة التي كان لها اتصال بعلي بن ميمون الغماري الذي كان قد رحل إلى الشرق وصنف كتابا في «متفقرة مصر والشام» ولكن هذه الطائفة انقرضت في أيام المؤلف (المرآة ص 236).

وقد نال المغرب خلال العصور حظه الوافر من جميع أنواع الانتحالات التي عرفت بالشرق فظهر بتلمسان ـ حسبما ذكره أبو إسحاق بن فضيلة في كتابه «عين الخبر فيما بدأ وظهر من الطوائف الصوفية ـ على مذهب الحلاج أو قريب منه منهم أبو عبد الله الشوذي المرسى[50] ولكن صاحب المرآة ذكر أنه لم يعلم أن الشوذي هذا ابتدع المذهب الذي تعتنقه الطائفة المدعوة بالشوذية وأن الغالب على الظن أنه كان على غير ما نسبوا إليه.

وبالجملة فإن أدعياء التصوف لم يخل منهم عصر وقد علل (زروق) تكاثر الأدعياء وانطلاق العلماء في انتقاد المتصوفة بقوله : وكثر المدعون في هذه الطريق لغربته بعدت الأفهام عنه لدقته وكثر الإنكار على أهله لنظافته وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيه وصنف الأيمة في الرد على أهله لما أحدث أهل الضلال فيه وما نسبوا منه إليه حتى قال زروق «احذر على الطريق فإن أكثر الخارج منه»(القاعدة 201) وقد صنف محمد بن عبد الكريم المغيلي كتابا في التنديد بهم سماه «تنبيه الغافلين بدعوى مقامات العارفين»

(50) ورد في الموارد (الصافية من شرح النصيحة الكافية) مختصر شرح ابن زكرى لتلميذه أبي مدين الفاسي :«وقد وقع كثير من هذا النوع (أي الذي يوهم الاتحاد والحلول) لابن الفارض وابن العربي والششتري (المتوفى عام 668 هـ) وابن سبعين المتوفى عام 667 هـ) مع إمامتهم في العلم وظهورهم في الديانة فليتق المومن ذلك كله مشفقا على دينه فارا من موارد الغلط راجعا لأصول الاعتقاد».

كما ألف محمد بن أحمد المعروف بالصباغ كتابا سماه «كشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته بدع مدينة فاس» وطفح (معيار الونشريسي) بفتاوي العلماء ضد الملبسين ومن الفتاوي فتاوي عبد الله العبدوسي الذي كان على حد تعبير زروق - «شيخ الجماعة والفقهاء والصوفية» والذي أمات كثيرا من بدع الغرب وقد اضطر كبار الشيوخ الصوفية أمام هذا السيل الجارف من الدعاوي والمخاريق إلى تحذير المتصدرين للمشيخة فأكد مثلا محمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي تلميذ أبي المحاسن الفاسي «أن زمانه ليس زمان مشيخة» وإذا قيل هذا في القرن الحادي عشر فما بالك بعصرنا هذا الذي كثر فيه الناعقون وأصحاب الأغراض من الدجاجلة والملبسين الذين كانوا آلة يسخرها الاستعمار لأغراضه الخسيسة ولا شك أن انتشار الأمية في البادية علاوة على سياسة التجهيل الاستعمارية كان من شأنه أن يسهل مهمة المتمشيخين والأدعياء (علاوة على أنواع التشجيع التي كانوا يلاقونه من عهد الاستعمار.

أدعيـــاء المهدويـــة

المهدوية هي ادعاء رجل أنه هو المهدي المنتظر وقد جمع أبو نعيم صاحب الحلية نحوا من أربعين حديثا في الموضوع أكملها السيوطي ثمانين في كتابه[51] ودحض ابن خلدون في مقدمته هذه الأحاديث ملاحظا أن الحق الذي ينبغي أن يتقرر (أي في قضية المهدي) لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله... وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق[52] ....

وقد أعطتنا (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) صورة للحركة المهدوية التي كان لها اتصال بالفكرة الصوفية والتي اتسمت في المغرب بخطورة لم تعرف في الشرق

وقد ادعى المهدوية رجال على رأسهم محمد المهدي بن تومرت وقد هدم مراسم المهدوية الأمير إدريس بن المنصور الملقب بالمامون عام 626 هـ/1228م حيث دخل مراكش بمليشيته المسيحية المكونة من خمسة عشر ألف فارس وربوبهم من اشبيلية وقد لعن المهدي على المنبر ودعاه بالغوي المذموم بدل الإمام المعصوم، ومحا اسمه من النقود ودورها، واستأصل البربرية من الأذان ثم جاء ولده وخليفته عبد الواحد الملقب بالرشيد الذي تولى في آخر يوم من عام 629 هـ فأعاد المراسم المهدوية[53].

وقد ورد في المعجب أن المامون صرح بشكه في الدعوة الموحدية وأعلن استخفافه بقواعدها ومعتقداتها مثل عصمة المهدي[54]، وحاول تجديد سنة مهدي المغرب محمد بن عبد الله الجزيري[55].

وقد أكد أحمد بن عبد القادر التستاوي أن المهديين ثلاثة : مهدي الموحدين، واثنان آخر يظهران، أحدهما أول القرن الثاني عشر والثالث والأخير أول الثالث عشر[56].

(51) الحاوي للفتاوي.
(52) التاريخ م : 7، ق 3، ص 589.
(53) تاريخ المغرب- عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص: 131.
(54) المعجب لعبد الواحد المراكشي ص 291 ط : القاهرة 1949.
(55) الوافي بالوفيات للصفدي ج : 3 ص 350.
(56) الإعلام للمراكشي ج 158/2.

وقد سجنه المولى اسماعيل لاتهامه بالمهدوية وممن ادعاها :

- **الجيلالي الروكي** مدعى المهدوية من عرب سفيان قتل عام 1278هـ/1861م.

أظهر الخوارق والتف حوله الأوباش وافتتنوا به فوجه إليه السلطان أخاه المولى الرشيد لمقابلته ففر إلى زرهون حيث قتله أحد الأشراف الأدارسة داخل قبة المولى إدريس واحتز رأسه ويده ووجهها إلى المولى محمد بن عبد الرحمن فعلقهما بجامع الفنا وسيق أنصاره إلى السلطان.

- **بوشوشة الجزائري** أو المهدي المنتظر ظهر في صيف 1285 هـ/1869م ولجأ إلى (تيديكلت) حيث جمع حوله كثيرا من اللاجئين الجزائريين الذين فروا من الحكم افرنسي إلى الصحراء ومعظمهم من (ورغلة) وقد قام معهم عام 1286هـ/1870م بالغارة على القليعة ومتليلي ثم عاد إلى تيديكلت عندما هزمه الفرنسيون في الأغواط.

- **العباس بن صالح الجيلالي السفياني** الروكي من بلاد كورت ادى المهدوية عام (1278 هـ/ 1961م) (الفجر الصادق الزاهر المتلالئ في بطلان مهدية الساحظ(الجيلالي الثائر) لمحمد الغالي بن محمد اللجائي الصنهاجي ادعى أنه رسول الفاطمي[57] (قتل 686 هـ/ 1287م).

- **عبد الرحيم بن عبد الرحمن** بن الفرس المعروف بالمهر كان من طبقة العلماء بالأندلس حضر مجلس يعقوب المنصور وظهر بعد المنصور في جزولة حيث انتحل الإمامة وادعى أنه (القحطاني) المراد بقوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصا يملأها عدلا كما ملئت جورا فبعث الناصر من قتله حوالي 600هـ/1203م[58].

- **عبد الله الكرسيفي** قام عام 1148هـ/1735م باسم المهدوية بسوس فاقتحم أكادير عنوة أصدر ظهيرا حرر به أهله الكرسيفيين عام 1150 وقد بايعه أهل اكرسيف فذهب مع حملته إلى المغرب وقتل بسوس[59].

(57) الإعلام للمراكشي، ج : 6 ص : 14.

(58) الاستقصا ج : 1 ص : 190.

(59) الاتحاف، لابن زيدان ج :4 عن «تاريخ الضعيف»، المعسول ج : 17 ص : 86.

وكان ابن الفرس قد نظم قصيدة قال فيها :

قولوا لأولاد عبد المومن بن علـي تأهبوا لوقوع الحادث الجلـل

قد جاء فارس قحطان وسيدهـا ووارث الملك والغـلاب للـدول

والناس طوع عصاه وهو سائقهم بالأمر والنهي بحر العلم والعمل[60]

وقد هم ابن الآبار فجعل اسم والده ابراهيم وجده محمدا وابن الخطيب جعل اسم جده عبد الرحيم وابن خلدون جعل اسم والده عبد الرحمن.

- **محمد بن ابراهيم بن عامر الحميري** المعروف بالمهدي[61].

- **محمد بن أحمد الشرادي** ادعى أيضا أنه المهدي المنتظر

- **محمد بن اسماعيل المسناوي الجراري** الكوراري (1064هـ/1654م) ادعى المهدوية خلال جولة في الشرق والغرب فلم يتم له أمر ورجع إلى كورارة بعد أن أقام مدة في مصر[62].

- **محمد وعلي الشريف** بنقلا الثائر بسوس عام (1167هـ/1753م) ادعى المهدوية وأخرج طبول ذي القرنين من ماسة[63].

- **المهدي بن محمد بن أحمد الشرادي** الزراري 1293هـ/1876م. في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام عظم ناموسه حتى صار يعرض بأنه المهدي المنتظر خاصة بعدما غلب المولى سليمان وقد انتهب ركب الحجاج الوارد من السوس فأوقع بهم السلطان في فرقالة من أعمال أزمور عام 1244هـ/1828م ثم توجه إلى أسفي ثم الزاوية الشرادية فرماها بالقذائف من إعداد المعلم بن عبد الله ملاح السلاوي وعددها 280 قذيفة كلها في وسط الزاوية وفر المهدي وبعث السلطان بعياله إلى مكناسة فنزلوا بدار القائد محمد بن الشاهد البخاري وقد مات المعلم السلاوي في الوقعة وشرد السلطان أهل قصبة الشراردة ففرق مساجينهم

(60) راجع ابن خلدون، والاستقصا/الإعلام للمراكشي ج : 6، ص : 70.
(61) الإعلام للمراكشي ج : 5 ص : 87، نقلا عن معجم الشيوخ لمرتضى الزبيدي.
(62) نشر المثاني ج: 1 ص 208.
(63) تاريخ الضعيف ص : 156، خ.

بالرباط ومكناسة وفاس ثم نقلهم بعد سنة إلى بسيط أزغار وجمع إليهم كل إخوانهم المنتشرين في القبائل.

ونزل المهدي في آيت باعمران بولتيتة عند مرابطها محمد أعجلي الباعمراني ثلاث سنوات ثم تشفع لدى السلطان فسامحه وأرجعه إلى أهله بمكناس ثم ولاه على إخوانه وتوفي عام 1293هـ[64].

ـ **المهدي الفطمي عبيد الله** الذي اعتقل في سجلماسة عام 296هـ/908م[65].

ـ متنبئ تلمسان الذي قام عام 237هـ/851م وهو مؤذن بناحية تلمسان وادعى النبوة وتأول القرآن على غير وجهه ونهى عن قص الشعر وتقليم الأظفار ونتف الإبطين والاستحداد وأخذ الزينة وعدم تغيير خلق الله واتبعه الغوغاء فتعقبه أمير تلمسان حيث فر إلى الأندلس وقتل بها[66].

ـ وقد كان البعض يزعم أن نابليون هو المهدي المنتظر (حسب رسالة تقولات الترك ص111) وهم إدعاء ركيك وقد تجرأ على التنبؤ في عهد الرسول عليه السلام :

1) الأسود العنسي باليمن.

2) مسيلمة الكذاب باليمامة.

3) طليحة بنت خويلد في بني أسد: ارتد.[67]

وإلى هذا أشار الشاعر :

أتت سجاح وولاها مسيلمة   كذابة من بني الدنيا وكذاب

وأشار الذهبي في العبر «فيها (أي 161هـ/777م إلى ظهور (عطاء المقنع) الساحر الملعون الذي ادعى الربوبية بناحية (مرو) واستغوى خلائق لا يحصون وأرى الناس قمرا ثانيا في السماء كان يرى إلى مسيرة شهرين[68].

(64) الاستقصا ج: 4 ص: 180، ج: 8 ص 160 ط: الدار البيضاء/ الإعلام للمراكشي ج: 7 ص :272 ط: الرباط.
(65) تاريخ ابن خلدون ج: 4 ص:70 ج:3 ص: 765.
(66) الاستقصا ص: 77، ج:1.
(67) تاريخ ابن خلدون ج: 2 ص: 844.
(68) ج: 1 ص: 235.

وأشار الذهبي أيضا في عام 163هـ/779م إلى (سعيد الجرشي) الذي قتله المهدي في حصار حصن (عطاء المقنع) وكان يقول بالتناسخ وأن الله تحول إلى صورة آدم، ولذلك سجدت له الملائكة ثم تحول إلى صورة نوح ثم إلى غيره من الأنبياء والحكماء ثم إلى صورة أبي مسلم الخراساني ثم إلى صورته ... فعبده خلق وقاتلوا دونه ...واتخذ وجها من ذهب ولذلك قيل له المقنع[69].

أبو عزة الهبري من «هبرة» بطن من «سويد» وهم عرب بني مالك بن زغبة الهلاليين، كان يخط الرمل فتبعه أوباش من أعمال وجدة عام 1291هـ حيث أغار على محلة السلطان الحسن الأول بآيت شعروسن ومعه سعيد بن أحمد الشغروسني فصوبت المحلة مدافعها نحو المغير فاعتقل عدد منهم وفر الهبري إلى الصحراء حيث قبض عليه أهل قبيلة بني كلال على أربع مراحل من تازة وساقوه إلى السلطان فسجنه بفاس[70].

ـ أحمد بن الأشهب قام بفاس وذكر ميارة أن حديثا ورد فيه في الجامع الكبير للسيوطي[71].

ـ التويزري المهدي المنتظر المزعوم[72].

ـ حاميم جبل قرب تطوان بقبيلة بني حسان ظهر فيه حاميم بن من الله بن حريز بن عمر بن رحفو أبو محمد قتله في معمورة جند الناصر الأموي عام 315هـ/927م وقد حث التف حوله خلق كثير وادعى النبوة في مجكسة صنع لهم قرآنا بالبربرية وشرع شرائع وأحل أكل الأنثى من الخنزير وكان يلقب بالمفتري.

كان له ولدان محمد الذي كني به وعيسى الذي كان ذا قدر جليل وفد على الناصر وأبوه هو من الله أبو يخلف وأخته هي (دبو) كاهنة[73] وقد هجاه الكفيف الطنجي الشاعر[74].

(69) ص: 240.
(70) الاستقصا ص 4/243.
(71) الاستقصا ج 3. ص 123.
(72) مقدمة ابن خلدون م. 1 ص: 584 (ط: بيروت).
(73) ابن خلدون التاريخ ج: ص: 444، المغرب: للبكري ص: 101. الاستبصار ص: 190 الأنيس المطرب ص: 66، الاستقصا ج: 1، ص: 83.
(74) الجذوة ص: 52.

ـ **الخياط بن هود السلاوي.**

ـ أخو الثائر محمد بن هود الذي يسمى بالهادي وثار ضد عبد المومن بن علي حيث قتل عام 542 هـ/1147م وقد قامت برغواطة آنذاك ضد الموحدين وانضم الخياط إليهم.

ـ **صالح بن طريف البرغواطي** المتنبئ ظهر حوالي 127هـ/744م وادعى النبوة بتامسنا بين سلا وآسفي وبرغواطة من بطن من المصامدة على ما حققه ابن خلدون ويكنى والده طريفا وأبا صبيح وهو من قواد ميسرة المضغرى قام بعده بأمر برغواطة وتنبأ أيضا وشرع الشرائع فولى مكانه ابنه صالحا الذي شهد مع والده حروب مكانه وسمى نفسه صالح المومنين وقد فصل (صاحب الاستقصا) هذه التشريعات المنتحلة ووصف قرآنهم المزعوم وشعائرهم وقد خرج إلى المشرق بعد أن ملك سبعا وأربعين سنة واعدا بالعودة فتوارث الناس ضلالته إلى أواسط القرن الخامس[75].

(دبو أو دبوسة) : الكاهنة أخت حاميم بن من الله.

ـ **صالح بن عبد الله** رجل بربري دخل العراق ودرس شيئا من النجوم وأصاب في أكثر أحكامه ثم عاد إلى المغرب حيث ولد فدعا البربر إلى الإيمان وزعم أنه رسول إليهم[76].

ـ **عمر كلخ شلخ** : رجل صعلوك بمراكش أثار فتنة عام 1181هـ/1767م وكان ينتسب إلى الشيخ أبي العزم أبي رحال ويظهر للعامة الكرامات فالتفوا حوله وكان شعار الأوباش من عصابته «كلخ شلخ» فسيق إلى السلطان وقتله في نفس الوقت[77].

ـ **عمرو بن سليمان الشيظمي المعيطي** المعروف بالسياف وبالمريدي قتل عام 890 هـ/1485م كان من تلامذته سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب (دلائل الخيرات)، وعند موت الشيخ عام 870 هـ/1465 ثار (السياف) بدعوى الانتقام ممن سم الشيخ من الفقهاء فتتبعهم حتى قتلهم ودعا لنفسه وسمى أصحابه المريدين (وهي أحق أن تكون بفتح الميم حسب الإمام زروق) وسمى مخالفيه الجاحدين وربما ادعى النبوة وأخرج جثمان الشيخ

(75) الاستقصا ص: 1/51.
(76) مسالك ابن حوقل ص: 56.
(77) الاستقصا ج: 4 ص: 105 ـ الإعلام للمراكشي ج: 7 ص: 866 خ.

الجزولي وصار يقدمه في حروبه داخل تابوت واستمرت فتنته عشرين سنة قبل قتلته زوجته التي هي بنت الشيخ الجزولي لزندقته[78].

ـ **قرقوش (الحاج ...)** : رئيس أرمني ثائر ظهر ببلاد غمارة والهبط عام 993 هـ/ 1585م وتلقب بأمير المومنين وكان أول أمره حايكا فتزهد وتبعته العامة فقتل وحمل رأسه إلى مراكش[79].

ـ **محمد الكتامي الغماري** المتنبي المعروف بابن أبي الطواجين ثار بغمارة عام 625 هـ/1227م انتحل صناعة الكيمياء وادعى النبوة وشرع الشرائع اغتاله البربر وقد قتل الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش[80].

ـ **محمد بن عبد الله بن العاضد** وهو من العبيديين والعاضد هو آخر خلفائهم بمصر ثار عام 600هـ/1203م بجبال ورغة من حوز فاس فقتل وعلق رأسه بباب الشريعة بفاس وأحرق جسده في اليوم الذي كمل فيه بناء سور فاس على يد الناصر الموحدي وركبت مصارعه فسمي الباب باب المحروق بعد أن كان يسمى باب الشريعة وفي عام 610 هـ ثار ولد المحروق بجبال غمارة وادعى أنه الفاطمي فقتله الناصر[81].

ـ **محمد بن هود** بن عبد الله الماسي السلاوي الهادي المتنبي.

ـ **محمد الأندلسي الظاهري**.

قتل وصلب برياض الزيتون بمراكش 980هـ/1572 م تظاهر بالزهد واستهوى الناس وطعن في أئمة المذاهب ناحيا منحى ابن حزم الظاهري فأمر السلطان الغالب بالله بقتله[82].

ـ **محمد العربي الخمسي** المعروف بأبي الصخور الغماري مرابط كان له صيت بجبال غمارة كان يظهر التنسك ويثير العامة ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله

(78) الاستقصا ج: 2 ص:161.
(79) نزهة الحادي لليفرني ص: 138 / الاستقصا ج: 5 ص:117.
(80) الاستقصا ج: 1 ص:197، الإعلام للمراكشي ج: 6، ص: 383.
(81) الاستقصا ج: 1 ـ ص: 191.
(82) الاستقصا ج: 3 ص: 23.

فقتله عام 1172هـ/1758م وبعث برأسه إلى فاس وولى الباشا الياشي على قبائل غمارة والأخماس وأنزله بشفشاون[83].

ـ محمد والحاج اليموري.

في عام 1197هـ/ 1782م ادعى هذا الرجل الولاية وتكلم في المغيبات والتف حوله جهلة البربر وأغرى ءايت يمور بجيرانهم من قبائل العرب وكانوا آنذاك بسلفات فحاربهم قائد سفيان محمد الهاشمي السفياني الذي عبر إليهم نهر سبو ولكنه انهزم وقتل فعظم أمر هذا الدعي فبعث السلطان من قبض عليه وقتله[84].

ـ ميسرة المضغري :

ثورة البربر حول طنجة 122هـ/739م كانت بقيادة ميسرة المضغري الخفير وهي ثورة لم تكن ضد العرب ولا الإسلام بقدر ما كانت ثورة ضد بعض أمراء بني أمية لأن المولى إدريس بن عبد الله الكامل دخل بعد ذلك بنصف قرن فاهتبلت به كل القبائل البربرية.

ـ المهدي المنتظر (يخرج عام 683 هـ/1284)[85].

وقد ورد أن المهدي المنتظر طبقا لحديث أخرجه الروياني عن خديجة مرفوى إسمه أحمد وباقي الأحاديث تسمية محمد بن عبد الله وهو ولد الحسن بن علي وسبب تلقبه بالمهدي أنه يهدي إلى جبل بالشام يستخرج منه أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يديه جماعة منهم وسيولد بالمدينة المنورة وينشأ بها ويسانده أهل خراسان ويتولى الخلافة وهو ابن أربعين سنة يمكث فيها بضع سنين يعم الرخاء والعدل وكثرة المال ثم يموت وعمره دون (65 سنة) ولم تصح الأحاديث التي تتحدث عن تاريخ ظهوره.

---

(83) الاستقصا ج: 4 ص: 94.

(84) الاستقصا ج: 4 ص: 113.

(85) مقدمة ابن خلدون م: 1 ص: 555 (ط. بيروت) أدعياؤه بالمغرب (ص: 584).

ـ «المهدي والمهديون».

لعبد الحفيظ الفاسي 5 كراريس/ د.م: 623.

ـ «المقصد الأسنى في المهدي الأقني» (في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان التراري).

ـ علي الملا القاري الهروي المكي الحنفي بن سلطان محمد، له (رسالة في الإمام المهدي المنتظر. (خع: 924).

(راجع رحلة ابن أبي محلي حيث تحدث عن المهدي المنتظر) حسب ابن عربي، مقدمة.

والواقع أن أحاديث المهدي متفق على توارثها بين حفاظ الحديث ونقاده أمثال أبي الحسين الآبري (في مناقب الإمام الشافعي والقرطبي في التذكرة) والحافظ ابن حجر في (فتح الباى) والحافظ السخاوي في (فتح المغيث) والحافظ السيوطي في العرف الوردي) والزرقاني المواهب اللدنية) ومحمد بن ادريس العراقي في تأليف له حول المهدي والشوكاني في كتابه (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتصر والدجال والمسيح) والأحاديث المتواترة بلغ عددها الخمسين تنص على أن عيسى عليه السلام سينزل عند صلاة الصبح فيصلي مؤتما بالمهدي ثم يقتل الدجال ويتولى الخلافة بعد المهدي.



الزاوية المغربية منتدى للفكر والإشعاع العلمي

الزاوية رباط للكفاح الروحي وللجهاد ومجمع للتوعية الدينية ونشر الفكر الإسلامي والدعوة إلى العمل للكسب السليم وعدم القبوع في اعتكاف سلبي في انتظار ما يفتح الله به من «فتوحات» مادية وزيارات وقد جعل كبار الصوفية من العمل الموصول ركيزة لا تتنافى مع عبادة سنية يتعلق القلب فيها بالله وقد أطال الإمام الشعراني في (الواقح الأنوار القدسية) في بيان نظر الكتاب والسنة في هذا المجال مؤكدا أن الداعي إلى الله إذا لم يكن له كسب والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء[86] من هنا تسارع الأكابر من الأولياء إلى التكسب بالتجارة والزراعة والزاوية والحركة ... فوصفهم الشعراني بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإفراضهم من فواضل كسبهم كل محتاج ..إذ زهد الكمل ليس هو بخلو اليدين من الدنيا وإنما بخلو القلب فهو إذا احتاج إلى الناس هان عليهم وقد قال سليمان الداراني :«ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك إنما الشأن أن تحرز رغيفك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بأي داق للباب» وقال الثوري: «عليكم بالحرفة فإن عامة من أتى باب الأمراء إنما أتاهم لحاجة» (ص40) وقال :«لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب علي من أن أحتاج إلى الناس» وقال أبو قلابة «عليكم بالسوق والصنعة» وقال الشعراني «أخذ علينا العهد أن نعلم أولادنا الحرفة بعد تعليمهم أمور دينهم التي لابد منها فإنه إن لم يكن بيده حرفة أكل بدينه أو بلسانه وسلق الناس بألسنة حداد»... وقال الشاذلي في الزهد في الدنيا :«لقد عظمتها إذا زهدت فيها»(ص 44) وأوصى الإمام مالك تلميذه الإمام الشافعي بقوله : «اكتسب الدرهم لا تكن عالة على الناس»(ص46)

وقد تبلورت الزعامة العلمية خلال القرن الحادي عشر في ثلاثة من قادة

(86) راجع كتاب الرماح للعلامة السنغالي سيدي عمر الفوتي طبعة دار الفكر على هامش (جواهر المعاني) «للشيخ سيدي علي حرازم برادة الفاسي التجاني»

الصوفية هم[87]. السادة : محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة بالصحراء ومحمد بن أبي بكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء بالأطلس، وعبد القادر الفاسي الفهري صاحب زاوية المخفية بفاس.

وقد انتشرت الزوايا كمساجد في القارة الافريقية وكان لها دور كبير ـ كما أكد ذلك الأمير شكيب أرسلان [88] في الكفاح ضد الاستعمار وفي دعم المد الإسلامي عبر القارة، وقد أشار كثير من المؤرخين الغربيين إلى ذلك حيث لاحظوا أن الاستعمار وخاصة الفرنسي كان يعتبر الزوايا الإفريقية العدو اللدود ويداخله الرعب، كما كانت أوربا تضطرب هلعا من ذكريات الجمعيات السرية السياسية [89].

وقد أكد بوني موري[90] أن الإسلام كان من شأنه أن يغزو إفريقيا عن بكرة أبيها لولا الضربة التي أنزلتها فرنسا بالطريقة التجانية فتوقفت على غرار توقف المد الإسلامي في أوربا عن طريق (شارل مارتيل) في بواتيي ببلاط الشهداء، ومهما يكن فإن المستعمرين قد لمسوا أكثر من غيرهم تلك القدرة الكبرى على الصمود والمقاومة التي خولتها الطرق الصوفية للزحف الإسلامي في إفريقيا[91].

وقد برز دور الزوايا الصوفية خاصة في الصحراء والأطلس حيث انبرى الدلائيون والناصريون ومئات الزوايا الأخرى في الأطالس والريف وبالأخص الأطلس الصغير (سوس) لنشر الوعي الاسلامي وثقافة القرآن والسنة المطهرة.

ومن هذه الزوايا العلمية (زوايا بني نعمان) من أهل (يعزى وهدى) البكريين وهي المدرسة المشهورة بالنعمانية بين القرنين السابع والثامن بسوس حيث بلغ صيتها مؤرخ ذلك العصر عبد الرحمان بن خلدون فأشار إليها في تاريخه وسماها (زوايا بني نعمان).

ويتوارد على هذه المدرسة إلى الآن طلبة صحراويون يتابعون دروسهم من الابتدائي

(87) حسب صاحب (نشر المثاني) ج 1 ص 156.
(88) حاضر العالم الاسلامي ج 2 ص 389.
(89) المغرب المجهول ـ موليير اس ص 105.
(90) في كتابه : (الاسلام والمسيحية في افريقيا Bonnet Maurey.
(91) كودار في كتابه : (وصف وتاريخ المغرب) (ج 1 ص:105).

إلى العالي في الفنون كلها انطلاقا من المتون مرتبة على أيام الأسبوع الخمسة (عدا الخميس والجمعة)[92].

وزاوية (تمكيد شت) ثانية الزوايا العلمية الكبار التي نذكر أولاها منذ القرن الحادي عشر وهي زاوية تامكروت، ولا تعرف لهل ثالثة منذ ثلاثة قرون من وادي درعة إلى وادي نول في الخط المسامت للصحراء، وقد أسستا على التصوف، ولكن همم رجالاتهما اتجهت إلى بث المعارف وتقرب منها بقدر فرسخ (ثمانية كيلو مترات فارسية) مدرسة سيدي بوعبدلي.

ومن زاوية تيمكيرشت تخرج علماء أفذاد من أولاد أبي السباع والشياظمة والرحامنة ومسفيوة وكدميوة وجزولة وآيت باعمران، وتعتبر زاوية أو مدرسة الحضيكي هامشية بالنسبة إليها ولفكرة الطرقية والزوايا في الصحراء الافريقية والمغربية خاصة صلة وثيقة بفكرة النسبة النبوية، أي الشرف من جهة أو المرابطة من جهة أخرى، وكثير من الأشراف يعرفون بالمرابطين، إذ أن الرباط كان النواة الأولى للزاوية يعد فيها المؤمن للجهادين الأصغر والأكبر، ومن هنا انصهرت الفكرتان في تصوف سني مرتكز على دراسة دقيقة للمعارف الإسلامية، فتطورت الزاوية على هذا النسق من رباط إلى زاوية إلى مدرسة، وكان لذلك أثره منذ العهد المريني في الحواضر حيث ارتبطت المدرسة بالزاوية (زاوية النساك بسلا وشالة) في إطار مسجد قد يعزز بكتاب أو مسيد-تصغير مسجد- أو خلوة (كما في السودان) للتكتيب وتدريس القرآن وحفظ المتون، وقد كان لشيوخ الطرق نفوذ واسع في هذه الأقاليم، ففي الصحراء العربية بلغ نفوذ القادريين والتجانيين مبلغا جعل المستعمر يحسب لهم ألف حساب، وقد قام زعيم الطائفة التجانية في (فوتة) السلطان الشيخ عمر الفوتي بمحاربة الفرنسيين، ويظهر أن نفوذ الطرقية تزايد منذ عهد ملوك بني مرين ثم السعديين حيث كان لزاوية كرزاز عام 1008هـ ـ 1599م ضلع في بلورة الاستقرار السياسي بفضل تحالف سكان القبائل لنصرة الأشراف ورجال الدين، وكانت كل قبيلة تبذل النفس والنفيس لإيواء هؤلاء الشيوخ رعاية لاستقامتهم وسلفيتهم، ففي (عام 1011هـ/ 1601 م) غادر الشيخ بوعلي بن حمود حمان مسقط رأسه بعين الشعير ليستقر في (قصر بلغازي) حيث هب

(92) المعسول للشيخ المختار السوسي ج 13 ص 9.

الأعيان من كل دوائر (توات) لتحيته والسلام عليه إذ اعتبروه حكما عدلا في تسوية بعض المنازعات القبلية، ولكن أعيان بلده (عين الشعير) ما لبثوا أن انتفضوا وعلى رأسهم شيخ القنادسة سيدي محمد بوزيان متوسلين إليه بالعودة إلى بلده فعاد في بالغ التكريم، وقد قام القادريون في (الساقية الحمراء) بالدعوة إلى الإسلام ساعدهم في ذلك برابرة طردوا من اسبانيا بعد سقوط غرناطة عام 898هـ ـ 1492م وقد نشر السيد طوماس وارنولد Sir Thomas Warnold في الكتاب الذي ترجمه ثلة من الأساتذة، منهم الدكتور حسن إبراهيم حسن، ونشر بالقاهرة عام 1957 بعنوان (الدعوة الاسلامية) (ص 151) نداء وجهه شيخ الطريقة القادرية آنذاك إلى هؤلاء البرابرة الدعاة مذكرا بالواجب الذي التقى على عاتقهم لحمل مشعل الإسلام إلى تلك الأصقاع نظرا لانعدام المدارس وشيوخ يلقنونهم مبادئ الأخلاق وفضائل الإسلام في الصحراء، وقد انطلق الدعاة جماعات تتألف من خمسة أو ستة أفراد إلى جهات مختلفة في وقت واحد في أسمال بالية كل واحد عكازه في يده فبنوا الخلوات في الكهوف وأثار تقشفهم وطول تعبدهم فضول القبائل الصحراوية التي بادلتهم الصداقة والود وأصبحت كل زاوية وكل خلوة مركزا من مراكز التعليم الإسلامي واجتمع حولهم طلاب العلم وأصبح هؤلاء الطلاب بعد فترة من الزمن دعاة إلى الإسلام بين قومهم[93].

أما نوعية الطرق التي عرفها باقي العالم الإسلامي فقد أوصلها أبو سالم العياشي (المتوفى عام 1090هـ) إلى أربعين باعتبار ما كان موجودا في زمنه، أي القرن الحادي عشر الهجري، وقد أضاف إليها محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي الفهري (المتوفى عام 1134هـ)[94] بعض الطرق المغربية والأندلسية، وقد لاحظ بن عسكر[95] أن الطريقة الميمونية بالمشرق كالطريقة الشاذلية بالمغرب، وكل من الشيخين علي بن ميمون والشاذلي مغربي، إذ إمام الشاذلية هو أبو الحسن الشاذلي الغماري تلميذ مولاي عبد السلام بن مشيش، وقد أشار العربي المشرفي في كتابه (الحسام المشرفي) إلى أشهر الزوايا المغربية في عصره

(93) مقدمة كتاب (أولياء الإسلام) بقلم تروملي G.Trumelet (les Saints de l'Islam-Introduction)

(94) أفي (الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية) (وهي غير المنح البادية في الأسانيد العالية لأبي مهدي عيسى الثعالبي) في القسم الثالث منها، (الكتاب موجود في خمس عشرة كراسة من حجم متوسط).

(95) الدوحة (ص 123) في ترجمة علي بن ميمون.

وهي زوايا وزان وتمكروت وسيدي الغازي وسيدي أحمد الحبيب وكرزاز والقندوسية والكنتية والبقالية[96].

وقد أطلق اسم الزاوية على مدن تفرعت عن هذه النواة كزاوية أبي محمد صالح (أسفي) وزاوية آيت إسحاق بل حتى في الأندلس أطلق اسم الزاوية على قرية من أقاليم (أكشونية) وحلق الزاوية قريبة من شلب[97]، ولا تعتبر الأضرحة كلها زوايا بل هي مساجد فقط، تضم جثمان بعض كبار أئمة الصوفية كسيدي أحمد بن عاشر وسيد عبد الله بن حسون في سلا.

(96) مخطوط في خع 2276 ك (ص 112-357).
(97) الحلل السندسية ج 1 ص 87.



زوايا المغرب وصحرائه

1 ـ زاوية آيت عياش :

راجع كتاب (الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش) لعبد الله بن عمر العياشي (من رجال القرن الثاني عشر). (خع 1433د).

وهي المعروفة أيضا بالزاوية العياشية.

2 ـ زاوية أبي بكر الفلالي : هي زاوية تابعة للسباعيين من آل عبد المعطي بحوز مراكش.

3 ـ زاوية أبي الجعد : هي زاوية آل الشرقي وقد نقم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على كبيرها لوقته المرابط سيدي محمد العربي بن سيدي المعطي بن صالح، فأمر عام 1199هـ/1784م ـ خلال مروره إلى مراكش بتادلا ـ بهدمها وطرد الغرباء الملتفين على آل الشيخ بها، ونقل الشيخ سيدي العربي وعشيرته إلى مراكش حيث مكثوا إلى أن أذن لهم ولده المولى هشام بالعودة إلى زاويتهم، ثم نقم المولى سليمان ثانية على سيدي العربي فأمر بنقله إلى فاس حيث أقام مدة أرجعه بعدها إلى بلاده.

(الضعيف ص 203 / الاستقصا ج 4 ص 117/ الوثائق المغربية ج 9 ص 346)، راجع (الزاوية الشرقاوية في أبي الجعد أواخر القرن الماضي)/ وهو بحث للأستاذ أيكلمان في نشرة جمعية تاريخ المغرب (عدد 4-5) الرباط (1972-1973).

4ـ زاوية أبي زكرياء من حفدة سيدي يعزى وهدى، دفين (زاوية أسا)، وتوجد له زاوية بسلا قبل القرن الثامن .

DAL. F. Eickelman

راجع (ابن قنفذ) في كتابه «أنس الفقير» وابن مرزوق في «المسند الصحيح الحسن» ومن هذه الأسرة خاتمة المحققين محمد بن سعيد المرغيثي (المعسول ج 10 ص 183).

5- **زاوية أبي الشكاوي** بشالة (قرب الرباط) لعلي ابن منصور البوزيدي (1004 هـ/ 1595م).

6- **زاوية أبي عنان أو الزاوية العنانية** : ذكرها ابن بطوطة في رحلته (ص 22 و 177) ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة وادي النيل ـ القاهرة (عام 1287) وهي أعظم زاوية شهدها ابن بطوطة في المغرب والمشرق تقع على (غدير الحمص) أي (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وقد أكد محمد بن علي الدكالي السلوي (الكناشة العلمية ص 278) أن الدلائيين جددوا بناءها أيام نفوذهم بفاس.

7- **زاوية أبي محمد صالح** : هي نواة مدينة أسفي حيث دفن أبو محمد في صدر المائة الثامنة، وكانت طريقته مبنية على تنظيم الحج بحيث كان له ركب للحجيج يسمى الركب الصالحي يتوجه إلى الحجاز من أسفي، (المنهاج الواضح ص 352 / السلوة ج 2 ص 42/ الديباج المذهب ص 132).

ولأبي محمد صالح تأليف في التصوف توجد نسخة منه في (خم 4376) وكان لحفيده أبي العباس أحمد بن يوسف شأن وقد مدحه ابن الخطيب السلماني (الاستقصا ج 2 ص 109). والإمام البوصيري.

8- **زاوية أحمد بن عبد القادر التستاوتي** بسلا (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 62)

9- **زاوية سيدي أحمد بن علي الحنفي.**

10- **الزاوية الأحمدية** أي زاوية سيدي أحمد بن موسى. (راجع العايديين). والأحمدية أيضا طريقة الصوفي الفاسي أحمد بن علي البدوي المتوفى بطاطا عام (673هـ ـ1277م)وهنالك زوايا أحمدية وطرق أخرى في الصحراء منها طريق أحمد الوادنوني (1349هـ/1930) انتشرت من وادي نون إلى الاخصاص إلى الساقية الحمراء (المعسول ج 19 ص115)

وقد صنف في طريقة أحمد البدوي علي بن برهان الدين ابراهيم الحلبي الشافعي (1044هـ/1635 م) كتابه (النصيحة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية) (خع 1827 د) (68 ورقة)/ (الإعلام للزركلي ج 5 ص 55/ ملحق بروكلمان ج 2 ص 418).

11- **زاوية أحنصال :** إحدى جماعات دائرة أزيلال (عمالة بني ملال) (نواتها زاوية).

12- **زاوية أسا بدائرة كلميم :** زاوية تأسست في إقليم تكنة حوالي القرن الحادي عشر بعد طرد المشركين من (تيزكي-سلام) والقضاء على قصر (أدروم)، وقد تجمعت حول هذه الزاوية عناصر من أصول مختلفة هي التي كونت آيت أوسي.

M .de Furst, Etude sur la tribu des Aït Assa

وأول هذه العناصر أهل حمو وعلي الذين ضربوا خيامهم في ايفران وتكجيست وهم الذين أسسوا مسجد (أسا) وقد انضم إلى الزاوية بعد ذلك أهل أجواكين الواردين من تاجاكانت وأهل أكوارير وهم محارزة تيميمون بكورارة، ويظهر أن زاوية (أسا) أنشأها شيخ صوفي توفي عام 500 هـ - 1107م حسب وثيقة محفوظة في الزاوية، ويقام سوق سنوي لحد الآن بهذا المكان.

وقد كان لهذه الزاوية صيت كبير حدا الشيخ الكبير محمد بن أحمد الحضيكي إلى النزول بها وقد توفي عام (1189هـ - 1775م)وهو صاحب الشرح على الهمزية للبوصيري (خع 1658د)، وقد دفن بهذه الزاوية (يعزى وهدى) المتوفى عام (726هـ - 1325م) وتوجد مذكرات مجهولة المؤلف في حياته وقع النقل عنها إلى القرن العاشر اختصرها محمد بن عمرو السوسي الأسريري من رجال القرن التاسع وسماها (الهدى في أخبار آل يعزى وهدى)، (راجع دليل المؤرخ رقم 860).

13- زاوية سيدي اسماعيل بدكالة أشار المؤرخ البرتغالي (لويز) إلى السيد سعيد الدكالي فلاحظ صاحب الاستقصا أنه ربما كان هو والد سيدي إسماعيل صاحب زاوية دكالة، وقد أكد (لويز) أن سعيدا هذا جمع في الجبل الأخضر اثنى عشر ألف مقاتل وزحف بهم على الجديدة التي كان يحتلها البرتغاليون وانضم إليه قائد أزمور وبعض أشياخ الشاوية في 250 من الخيل، ولكن سعيدا مات أثناء الحصار فافترق الجمع حوالي عام 1034هـ - 1624م.

(الاستقصا ج 3 ص 127).

14 - **زاوية آغلان بدرعة :** مؤسسها محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي الورزازي المتوفى بمكة (1174هـ - 1761م) (فهرس الفهارس ج 2 ص 429). وهو صاحب شرح (المقنع في علم أبي مقرع) (خع 1074د/1467د/1673د/ ملحق بروكلمان (ج 2 ص707).

15 - **الزاوية الإلغية :** أسسها الشيخ علي بن أحمد السوسي والد صديقنا المرحوم الشيخ محمد المختار السوسي الذي صنف (منية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من المنقطعين) جمع فيه زهاء مائة وسبعين من تلامذة والده والملازمين له (تقع في جزء صغير طبع على الحروف في 125 ص).

16 - **زاوية الأمان** هي زاوية سيدي حسين بن شرحبيل بسوس الأقصى، وقد ولي أمرها بعد وفاة عمه سيدي أحمد بن ناصر الشيخ موسى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن حسين والد مؤلف (الدرر المرصعة) (1142هـ - 1729م) (الإعلام للمراكشي ج 7 ص 237).

16 - **زاوية البركة بدرعة :** ذكر الزياني في رحلته أن «أحسن ما في مغربنا من الزوايا الزاوية الناصرية الموسومة بزاوية البركة وطائفتهم أحسن الطوائف» .

18 - **زاوية سيدي البكري** بسجلماسة، منذ منتصف القرن التاسع الهجري تواردت على قصر أولاد امحمد بتامنطيت جماعة أولاد سيدي البكري التي ظهر فيها علماء كبار انتسبوا إلى أمراء بني مرين أو إلى الأشراف الأدارسة، وقد برز بعد وفاة المنصور السعدي زعيم هذه العائلة وهو سيدي محمد البكري الذي حج وأقام بالقاهرة واستجاز وأجاز جملة من علماء العالم الاسلامي، وقد أسس حوالي 1028هـ - 1618م زاوية قرب (تزدايا) ما لبثت أن أصبحت مهبط رواد الفكر في هذا الجزء من الصحراء، ولم يخل نشاطها الروحي من التأثير على الحياة السياسية في البلاد ، وهذه الفترة من تاريخ المغرب قد عرفت قيام زوايا أخرى كالزاوية الدلائية وزاوية تامكروت أفاد منها كل من الأطلس والصحراء، وقد كان لزاوية (سيدي البكري) علاقات مع ملوك السودان حسب رسالتين أوردهما (مارتان) Martin في كتابه (أربعة قرون ص 44)، غير أن هذا النوع من الاتصال كان طبيعيا بين شيخ زاوية وبين السودان التي دعم الرابطة معها المنصورالسعدي قبل ذلك

بعقدين من السنين، وقد ظلت هذه الرابطة موصولة سياسيا ودينيا وحضاريا إلى عهد الحسن الأول أوائل القرن الهجري الرابع عشر. وقد لجأ إليها عبد المالك بن المولى إسماعيل عندما بويع بسوس ضد أخيه المستضيئ وقد عثر في الزاوية على خطاب للمولى عبد المالك مؤرخ بربيع الثاني 1140هـ.

والزاوية البكرية بالرباط يوجد حولها مخطوط في (خع 972 د) (راجع دليل المؤرخ رقم 139)، و(راجع المقالة أو المقامة الفكرية في محاسن الزاوية البكرية) (كراسة) لمحمد بن أحمد الدلائي المسناوي المتوفى عام 1136هـ ـ 1723م.

19 ـ **زاوية البور** (في أولوز) برأس الوادي : يوجد بها أولاد سيدي علي بن الشيخ سيدي محمد بن ناصر حيث سكن مولاي علي هذا وأعقب وأبناؤه هم الناصريون السوسيون (المعسول ج 10 ص 34).

20 ـ **زاوية سيدي بو سونة :** أخذ بها السلطان مولاي محمد بن عبد الرحمن سنده في الرماية عن أناس من حمير، وكانت الرماية أحد المشاغل السنية لهذه الزاوية.

(الإعلام للمراكشي ج 6 ص 382 ـ طبعة الرباط لدى ترجمة السلطان).

21 ـ **زاوية مولاي بوشتى** الخمار وهو أبو الشتاء محمد بن موسى الخمار الشاوي دفين أمركو بفشتالة (من أصحاب الغزواني) (997 هـ/1588م).

(الاستقصا ج 3 ص 197/ ممتع الأسماع ص 173 / السلوة، ج 1 ص145).

وقد تحدث عن هذه الزاوية مولييراس في كتابه (المغرب المجهول) (ج 2 ص11).

22 ـ **زاوية سيدي بولنوار بن عبد الكريم :** توجد هذه الزاوية بتيدكلت وقد ولد شيخها عبد الكريم في (تينيلان) وهو تلميذ سيدي امحمد دين الله التينيلاني أقام مدة في (تكرور) ثم عاد فبنى هذه الزاوية وتوفي عام : (1168 هـ/1755م).

23 ـ **زاوية تازروت : بعد سقوط الأندلس** 975هـ/1569م) بسنوات قامت زاوية تازروت مسهمة في التأهب لمعركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 988 هـ/4 غشت 1578م

وقد واصلت هذه الزاوية نضالها طوال أربعة قرون رغم الحماية المفروضة على المغرب إلى 12 مايه 1922 حيث واصل المجاهدون النضال من مغارات جبل أبي هاشم المطِل على تازروت (تاريخ المغرب ـ التهامي الوزاني ج 3 ص 171).

24ـ **زاوية تاسفت** بوادي نفيس رئيسها المرابط الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الزرهوني وقد اعتكف بها محمد بن علي الصنهاجي الحيسوبي الفلكي.

الإعلام للمراكشي ج 6 ص 331 ـ طبعة الرباط).

25ـ الزوايا التجانية صاحبها الشيخ سيدي أحمدبن محمد بن المختار التجاني (1230هـ/1814 م) ولد في (عين ماضي) ودخل إلى فاس لأول مرة (عام 1171هـ) بعدما أزعجه صاحب وهران الباي محمد بن عثمان ومكث خمس سنوات في (البلد الأبيض) بالصحراء الشرقية وهو عالم أصولي محدث وسبب دخوله إلى المغرب تضايق الأتراك من نفوذه والزاوية الأم توجد بفاس وهنالك الزوايا في الصحراء بل حتى في المدن حيث توجد أربعون زاوية بالدار البيضاء ومائة زاوية بدكار ومآت أخرى بالتشاد ومالي ونيجيريا والسودان إلى أقصى الجنوب حيث بلغت الآلاف، وقد انتشرت في السودان عن طريق ملك فوتة عمر الفوتي، وفي شنقيط وباقي الصحراء الغربية على يد الشيخ محمد الحافظ (بغية المستفيد لأبي المواهب سيدي العربي بن السايح ص 74) وفي الصحراء الشرقية بواسطة العالم سيدي محمد بن محمد بن المشري التشيتي التكريتي.

26ـ **زاوية ترغة :** تقع في مركز روماني قديم سكنه القوط ويطلق اسم ترغة اليوم على فرقة من بني زيات على ساحل البحر المتوسط شمالي تيجساس.

27ـ **زاوية تصفت بوادي نفيس:** هي زاوية إبراهيم بن عبد الرحمن الزرهوني والد سيدي محمد صاحب (رحلة الوافد) وقد هدمت خلال حوادث (1127 هـ/1715م).

28ـ **الزاوية التلمسانية بالرباط** قرب الجامع الأعظم مدفن الشيخ أحمد بن القاضي التلمساني العلامة المفتي الشاعر (1182هـ/1768م) (ورقات في أولياء الرباط ص 7).

29- **زوايا درعة خمس :** تمكروت المؤسسة عام 983هـ/1575م وآغلان والفتح والبركة والفضل.

30- **الزاوية البوتشيشية** تنسب للزاوية الدرقاوية لمولاي العربي الدرقاوي المنتشرة في المغرب.

31- زاوية تنغملت بين آيت عتاب وهنتيفة وهي التي خلفت الزاوية الدلائية، (صاحب هذه الزاوية هو عبد الرحمن التبغملتي المراكشي من حفدة موسى الفوفمازي المترجم في (ممتع الأسماع) والصفوة (1296هـ/1878م) (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 66) (خ).

32- **زاوية تيط** شيوخها من آل أمغار

راجع (ممتع الأسماع ص 69 ـ طبعة فاس) و (تنوير بصائر الأبرار بتاريخ زاوية تيط وآل أمغار) لمحمد الكانوني.

33- **زاوية تيمكيدشت :** مؤسسها أحمد بن محمد الميموني، من رجال القرن الثالث عشر (المعسول ج 6 ص 189).

34- **زاوية تينيلان :** في عام 919 هـ/1513م غادر الحاج أحمد بن يوسف قصر أولاد (أونغال) في (تيمي) واتجه إلى تينيلان لبناء زاوية هناك وكان مشهورا في توات بعلمه وفضله وقد كتب تاريخا مطولا عن أصل أهل توات وكتبت من هذا المخطوط ثماني نسخ لم يعثر عليها ويظهر أن إحدى هذه المخطوطات قد نقلت من (زولف) إلى السودان حسب الكومندان مارتان صاحب (الواحات الصحراوية) حيث أدرج فحوى ورقة من الكتاب عثر عليها في مخطوط آخر.

35- **زاوية الجبل الأشهب ،** من فروع (جبل ماكو) قرب شفشاون أسسها الشيخ عبد الله الهبطي.

36- **زاوية الحجاج** كانت قائمة لعهد بني مرين يجتمع فيها الحجاج ليخرجوا مجتمعين للالتحاق بالركب (الجذوة ج 202).

37 - **زاوية سيدي الحطاب :** إحدى جماعات دائرة قلعة السراغنة (ولاية مراكش) نواتها زاوية.

38 - **الزوايا الحمدوشية،** مؤسسها سيدي علي بن حمدوش 1135هـ/1722م.

له تأليف أشار إليه ابن زيدان في (الإتحاف ج 5 ص 459/ السلوة ج 1 ص 354).

39 - **زاوية سيدي حمزة :** إحدى جماعات دائرة الريش (قصر السوق أو الرشيدية اليوم). والزاوية الحمزاوية هي الزاوية العياشية نسبة إلى أبي سالم العياشي توالى حفدته على شؤونها وقد جمع كتبها الحافلة أبو سالم خلال رحلته شرقا وغربا فلم يترك إلا هذه الكتب وبغلته وولده حمزة هو الذي وقف عليها أوقافا كثيرة وإليه تنسب اليوم (مجلة تطوان عدد 8 عام 1963).

وقد صور معظم هذه المخطوطات في المكتبة الوطنية بالرباط

Thiebault- Etude sur la Zaouia de Sidi Hamza - Rabat, 1942 (Archives Générales de la Direction de l'Intérieur sous le Protectorat Français)

40 - **الزاوية الخمليشية :** زاوية الشيخ محمد أخمليش في بوغليب بزركت (من قبائل صنهاجة). عاصر المولى عبد الرحمن وحفيده الحسن الأول كان يمد الأمير عبد القادر بالمال والسلاح وهو الذي وقع الصلح (عام 1276هـ/1860) بين أهل ورغة ومرنيسة وقد تولى مشيخه الزاوية بعد عمه محمد الكبير الثاني بن محمد أخمليش.

41 - **الزاوية الدرقاوية** مؤسسها مولاي العربي الدرقاوي ولها فروع بالمغرب ومن فروعها زاوية إلغ بسوس وزوايا الحراق وزاوية سيدي محمد بن عبد الرحمن الرقيبي الطالبي في مدينة العيون بالصحراء المغربية وهو من أتباع سيدي علي والد سيدي محمد المختار السوسي ومن أتباع درقاوة آل البصير وقد هدم الإسبان هذه الزاوية عام 1377هـ/1957م بدعوى تجمع رجال المقاومة فيها وتوجد مصنفات كثيرة في أمجاد هذه الطريقة.

42 - **زاوية الدلاء :** تقع حسب (البدور الضاوية) على بعد مرحلتين من فاس ويقول الحاج إدريس الشرقاوي إنها هي زاوية آيت إسحاق الواقعة على مسافة أربعين كلم شرقي

أبي الجعد قرب خنيفرة في المجرى الأعلى لأم الربيع ولا تزال هنالك معالم منارة وجدران المسجد الدلائي ويظهر أن هناك زاوية الدلاء المدينة وزاوية الدلاء القبيلة أي مكانان اثنان أطلق على كل منهما اسم زاوية الدلاء وهو رأي الكثير ممن كتب في الموضوع مثل (هنري طيراس) في تاريخ المغرب (طبعة الدار البيضاء 1950 ج 1 ص 216/ ومحمد حجي (الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي الرباط ـ المطبعة الوطنية 1964 ص 34).

وبطن الرمان من فازاز به اصطدم المولى الرشيد عام 1078 هـ بجموع الدلائيين وعليهم محمد الحاج فانهزموا واستولى الرشيد على الزاوية عام 1079 هـ وخربها وقد رثاها أبو علي اليوسي في قصيدة مطلعها :

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها حمرا

(الاستقصا ج 4 ص 18)

وكان رئيس هذه الزاوية هو محمد بن أبي بكر الدلائي (المتوفى 1046هـ/1636م) تلميذ الشيخ سيدي محمد الشرقي وهو من برابرة مجاط (بطن من صنهاجة) كانت له خزانة علمية تضاهي خزانة (الحكم المستنصر الأموي) الذي جمع أربعمائة ألفكتاب، ولمحمد المقري كتاب سماه (إعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر بركة الزمان وبقية الناس) (راجع البدور الضاوية ص 137) والإعلام للزركلي ج 2 ص 295).

راجع أيضا (المقامات الزهرية في مجالس الزاوية البكرية ـ مجهولة المؤلف (خع 972 د)/ الزاوية الدلائية والمولى الرشيد (تاريخ الضعيف) ص 47 مخطوط الرباط/قصيدة في مدحها لعبد الوهاب بن العربي الفاسي الفهري (خع 2055د)/حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية) لمحمد بن أبي بكر اليازغي (نسبة لبني يازغة جنوبي فاس) خع 261 د (وهي أرجوزة من 273 بيتا).

Gaude Froy - Demonbynes - La Zaouia de Dila - 1944.

43 ـ **الزاوية الرفاعية :** هي زاوية سيدي عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الخياط الحسيني الرفاعي (939 هـ/1533م).

بلغ مريدوه أزيد من عشرين ألفا كان منهم في زاويته أكثر من ألف من حملة القرآن.

44- **الزاوية الركادية :** أسسها الشيخ سيدي أحمد بن محمد الركادي حوالي 1055هـ/1645م.

وأصل الشيخ من (أدغاغ) ورد على توات في عهد السلطان مولاي محمد الشريف وتوفي عام 1062هـ/1651م. وقد عرفت هذه الزاوية الركادية واستقر بالقرب منها بعد ذلك أشراف ظلوا شيوخا لزاوية كنتة.

45- **زاوية الركاني :** لاحظ «مارتان» في كتابه (أربعة قرون ... ص19) أن الشرفاء العلويين تواردوا على توات زرافات ووحدانا للإستقرار بها ومن بين هؤلاء شريف علوي من تافلالت هو مولاي علي كان ينتقل بين فلالة والسودان فمر بتوات حيث قطن بإلحاح من أهلها تبركا بنسبته إلى الرسول عليه السلام فتصاهر مع شيخ (تاوريرت) وولد له ابن سماه عبد الله صار كوالده يتردد بين تافلالت والركان فنزل يوما عند الشيخ العلامة عبد الكريم المغيلي رئيس (قصر بوعلي) فأحسن استقباله وأجزل العطاء مما ساعد مولاي عبد الله على بناء عدة بساتين وجنان في (واحة بوعلي) ثم بنى واحة أخرى صغيرة غربي (تاوريرت) تسمى (انتهت) لأن عندها تنتهي منطقة توات وقد سميت الزاوية (زاوية الركاني) ومازالت تحمل نفس الإسم إلى الآن.

46- **زاوية الركائبي محمد بن الرحمن** (بالعيون) وهي درقاوية خربها الإسبان بدعوى أنها مقر المقاومة ومحمد هذا قد توفي في 1379هـ/1954م وهو من فخذ أولاد الطالب بمراكش (المعسول ج 12 ص 90-157-165-322/ ج 16 ص 322).

47- **زاوية الرماة :** في بني مسارة حول وزان كانت الكتاتيب القرآنية متوافرة يختلط فيها الذكور والإناث وفي الساعة الرابعة من كل يوم تنصرف كتائب من الرجال (ما بين 50 و 150 شخصا) لتتدرب في كل قرية على لعب الكرة والرماية والمسايفة وتوجد في كل مركز قوي زاوية للرماية هي عبارة عن دار للسلاح فيها بنادق الجماعة وبارودها وتجري التمارين كل يوم خارج القرية تحت إمرة كبير الزاوية الذي هو القائد الأعلى للرماة المتراوحة

أعمارهم بين 15 و 70 سنة وعندما يرجع هـؤلاء في المساء تسمع رنات الطلقات النارية متجاوبة مع زغاريد النساء اللواتي ينتظرن أزواجهن وأولادهن على عتبات الدور وهذه الزوايا العسكرية كانت منتشرة من طنجة إلى وادي درعة وبالأخص في السوس والحوز.

48- **الزاوية الريسونية** : نفذ السلطان المولى سليمان عام 1208هـ/1793م فندق لوقاش بتطوان وهو من خالص مال المسلمين للشريف سيدي علي بن سيدي محمد بن سيدي علي بن ريسون العلمي لبناء زاوية والده (يجتمع فيها الفقراء لذكر الله والصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (من رسالة السلطان إلى القائد حمان الصريوي حاكم تطوان) (تاريخ تطوان ـ محمد داود ج 3 ص 203).

49- **زاوية زداغة** أو زاوية سعيد الحاحي وهي زاوية أسسها سعيد جد يحيى بن عبد الله بن سعيد عبد المنعم الحاحي في زداغة الواقعة شمالي (تارودانت) قرب وادي (أسيف نتامنت) ومعناه بالبربرية (وادي العسل) وعبد الله هذا هو الذي استنجد به زيدان لمحاربة أبي محلي (الاستقصا ج 3 ص 111).

50- **زاوية السدرة بإفران** (بفتح الهمزة وكسرها) وهي قبيلة فيها مداشر وقرى ومياه وأشجار بقطر سوس الأقصى (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 59).

51- **زاوية السكياطي** بقبيلة الشياظمة صاحبها عبد الله بن علي بن مسعود الرجراجي (الإعلام للمراكشي ج 8 ص 333 ـ طبعة الرباط) وقد كان لمحمد بن أحمد بن العربي الرجراجي شيخ الإمام السكياطي المتوفى (عام 1244هـ/1828م) مدرسة بباب داره قرب مسجد هيلانة بمراكش (باب هيلانة من أبواب مراكش).

52- **زاوية سيد الناس** بدرعة أسسها إبراهيم بن عبد الله الأنصاري الدرعي صاحب كتاب (الدليل القاطع من الشك والالتباس لكل أصناف من الناس في ذكر أخبار أهل زاوية سيد الناس، (مخطوط في الخزانة السودية بفاس) ولاحظ السيد عبد السلام بن سودة في (دليل المؤرخ عدد 88) وجود مخطوط في التعريف بمناقب هذه الزاوية لمؤلف مجهول كان حيا عام 1136هـ/1725م.

53- **زاوية سيدي عبد الرحمن** وهو محمد بن عبد الرحمن العمراني المعروف بسيدي عبد الرحمن، له زاوية بأبي الجعد مدفن والده عبد الرحمن في درب يقال له (درب الشرفاء) نسبة لعائلته (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 90 ـ طبعة الرباط 1975/ ج 5 ص 90ـ313 ـ الطبعة الأولى).

وقد عاش سيدي محمد هذا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وهو دفين فحل الزفريتي بالقصور بمراكش.

54- **زاوية الشرادي** أحمد بن عبد الله بن مبارك الزراري القضاعي حيث دفن عام 1160هـ/1747م (الإعلام للمراكشي ج 2 ص 182) وهي تقع على نصف مرحلة من مراكش، وقد توفي أحد رؤسائها وهو حفيده أبو الفضل العباس عام 1322هـ/1904 م وحضر وقعة زاويتهم ووالده المهدي بن محمد (1293 هـ/1876م) قد هدمت الزاوية في مدته وقد قاوموا الملوك حيث كانت لهم رياسة كبرى ودارت عليهم عام 1244هـ/1828 في قضية مع المولى سليمان (راجع الاستقصا ج 4 ص 165/ الوثائق المغربية ج 10 ص 86 و 127) وترجمة محمد بن أحمد الشرادي صاحب الزاوية الذي أجاز المولى سليمان (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 143 ـ الطبعة الأولى/ ج 6 ص 146 (طبعة الرباط).

(راجع أيضا (في الإعلام ج 7 ص 108 ط. الرباط) ترجمة محمد الزوين بن محمد بن علي الشرادي المتوفى أوائل العشرة الثانية من القرن الرابع عشر وهو الذي حبس أملاكه على طلبة القرآن بزاويته المعروفة بزاوية (سيد الزوين) وعددهم خمسمائة وذلك عام 1314هـ/ 1896م.

55- **زاوية الشيخ** : إحدى جماعات دائرة القصيبة (عمالة بني ملال) وتوجد زاوية سيدي الشيخ بالصحراء الشرقية وزاوية أولاد سيدي الشيخ قرية في قبيلة أولاد بكار علياالسفوح الشرقية لبلاد جبالة قرب الظهرا.

56- **زاوية الصومعة بتادلا** لأحمد بن أبي القاسم الهروي الصومعي دفين الصومعة 1013هـ/1604م. كان له ولوع باقتناء الكتب بلغت مصنفاته الستين أشرنا إليها في كتابنا (الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية ج 3 ص 87).

(راجع الإعلام للمراكشي ج 2 ص 76 ـ الطبعة الأولى).

57 - **زاوية محمد القجيري** (تاريخ تطوان لداود ج 2 ص 362) ولعله المذكور في نشر المثاني (ج 1 ص 169) المتوفى بالقصر الكبير وربما حملت اسمه زاوية سيدي القجيري بالرباط وله زاوية بسلا وشيخه هو سيدي عبد الله بن حسون (راجع ورقات في أولياء الرباط ص 85).

58 - **زاوية العايديين** بالرباط هي زاوية سيدي أحمد بن موسى أو الزاوية الأحمدية (ورقات في أولياء الرباط ص 12).

59 - **زاوية سيدي عبد القادر** : مقرها واحة (فنوغيل) وكان مقدمها عام 1113هـ/1705م هو الشيخ عبد القادر بن عمر رئيس ركب الحجيج التواتي الذي كان ينضم في الغالب إلى الركب السجلماسي المار بتوات والزاوية هي في الحقيقة تابعة للشيخ سيدي عمور بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف من (تينيلان) (راجع زاوية تينيلان).

60 - **زاوية سيدي عبد الله البقال** بتطوان تحولت مؤقتا بعد حرب تطوان إلى كنيسة اسمها : Nuestra Senora de las Victoria (ومعناها سيدتنا ذات الانتصارات) (تاريخ تطوان ـ داود ج 5 ص 326).

61 - **زاوية عبد الله بن إبراهيم** الخياط الرفاعي بجبل زرهون (راجع الزاوية الرفاعية).

62 - **زاوية سيدي عبد الله بن ساسي** : تقع على ضفة وادي نسيفة (أو تانسيفت) قرب مراكش ومن زوايا مراكش العديدة الزاوية البوعمرية التي نشر عنها الأستاذ (حسن جلاب) بحثا ضمنه ظهائر سعدية في توفير واحترام هذه الزاوية (طبعة دار النيابة عدد 2 1989)

63 - **زاوية سيدي عبد الله الكوش بمراكش** أمر بإخلائها محمد الشيخ السعدي ورحل الشيخ إلى فاس عام 960هـ/1552م (الإعلام للمراكشي ج8 ص277 ـ طبعة الرباط).

وقد امتحن محمد الشيخ هذا الزوايا عام 958 هـ/1551م وكان يطالبها بودائع بني مرين (الاستقصا ج 3 ص 12/ الإعلام ج 4 ص 161 الطبعة الأولى).

64. **زاوية سيدي علي العكاري** وهو علي بن محمد العكاري الرباطي المتوفى بسلا (1118هـ/1706م) ترجمه حفيده علي بن محمد في (البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية) (خع 1118 د).

وتوجد رسالة في ترجمته لأبي يعزى المسطاسي (راجع الاغتباط).

65. **زاوية سيدي عمور الأنصاري** :أشار أبو سالم العياشي في رحلته إلى زاوية عمور بن محمد صالح الأنصاري (1008هـ/1660م) في بلاد أوغروت التابعة لمنطقة كورارة.

66. الزاوية العيساوية بمكناس :

هي زاوية الشيخ سيدي محمد بن عيسى دفين مكناس (933هـ/1527م).

ألف في ترجمته أحمد المهدي الغزال كتابا سماه (النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل) (الزيتونة 259، 111 (1734) طبع بمصر عام 1348هـ/1929م.

يوجد كتاب مجهول المؤلف اسمه (تمسك الفقير الحقير بطريقة الولي الشهير الخطير) في كراسة بخزانة الأستاذ محمد المنوني بمكناس.

له : 1) (أدعية) وهو مجموع في دار الكتب الوطنية بتونس ق 20 س 14- 13/ ق 5 س 17 نسختان.

2) حزب الابريز ـ دار الكتب الوطنية ق ـ 13ـ س 5 -7-14 (ضمن مجموع فيه أيضا الوظيفة الربانية لمحمد بن سليمان الجزولي).

67. الزاوية الغازية الناصرية.

ألف فيها :

1) (الدرة المضيئة في التعلق بالسلسلة الناصرية الغازية) للعربي بن محمد المبارك المساعدي من رجال القرن الرابع عشر) خع 2286 د (م = 22-83).

طبع بالدار البيضاء (1380هـ/1960م).

2) رسالة الطائفة الغازية (خم 6680) .لعبد القادر بن محمد الحمياني ومنها زاوية النواصر لصاحبها التهامي بن الطويلة الناصري (ذكره العكاري في فهرسته ص 252).

68 - **الزاوية الغربية بشالة** أسسها محمد اليابوري المشهور بكنيته أبي عبد الله وهو دفين العلو بالرباط ومن تلامذته سيدي أحمد بن عاشر دفين سلا.

وقد أس س الزاوية بعد هجرته من الأندلس وتوفي أوائل القرن الثامن وقد نقل أبو جندار في (الاغتباط) عن أبي الأسعد الكتاني أنه وقف من آثار اليابوري في الخزانة العلمية بأبي الجعد على كتاب له في الفقه جمع فيه ما وقع عليه الاتفاق والإجماع في المذاهب الأربعة.

(الاغتباط (ج 2 ص 118)

69 - **زاوية الفاسيين** بفاس وهي زاوية المخفية) وزاوية آل معن رئيسها شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي.

70 - **الزاوية الفاضلية** : أسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين وانتشرت بموريطانيا والسودان وكان لها صلة بالسنوسية في الصحراء الليبية وقد تأثر بشيخه محمد الكحيل زعيم الطائفة التجانية في موريتانيا وأسس ولده محمد الأغظف طريقة أهل بركة الله كفرع للفاضلية.

71 - **الزوايا القادرية** : منتشرة في المغرب وصحرائه وسائر إفريقيا وهي منسوبة لمولانا عبد القادر الجيلاني البغدادي صاحب (الغنية) التي استمد منها الحافظ ابن تيمية كثيرا من عناصر التصوف السلفي وهو يشيد بصاحبها ويعتمد عليه (راجع فتاوي ابن تيمية) وقد انخرط في الطريق القادرية حسب الروداني في (صلة الخلف بموصول السلف)

72 - **زاوية سيدي قاسم** : إحدى جماعات دائرة تطوان.

73 - **زاوية القاضي** بالمكان الذي يقطن فيه أولاد أبي على ومنهم محمد السعيد العياشي (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 134 الطبعة الأولى) وأولاد القاضي هم أسرة أحمد بن

أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محلي وهم من بني العباس إلا أن ابن خلدون أنكر وجود العباسيين بالمغرب (الاستقصا ج 3 ص 107).

74- **زاوية حمير** صاحبها هو سيدي التهامي الإيبيري وكان بها نحو خمسمائة من الطلبة الذين يقرأون القرآن ويقوم بتموينهم.

(الإعلام للمراكشي ج 7 ص 108 ـ طبعة الرباط 1975).

75- **زاوية القنادسة** أصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في ثالث ربيع الأول 1278هـ/1861 م ظهيرا شريفا إلى شيوخ ومريدي زاوية القنادسة مشيرا إلى تدخل السلطات المركزية بالعاصمة المغربية لدى فرنسا بسبب دخول أحد رعاياها لمدينة القنادسة (مجلة الصحراء عدد 14 مخطوط في خع د (73 ورقة) اسمه (طهارة الأنفاس ص 10) (والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية بالقنادسة) /الشيخ محمد بوزيان وزاويته بالقنادسة لمحمد مرزوق ـ مذكرة بجامعة محمد الخامس بالرباط عام 1988 وكانت تسمى قديما العوينة سميت بالقنادسة باسم من نزلها (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 37 نقلا عن رحلة عبد السلام الناصري)

وقد وجه الحسن الأول رسالة إلى شيخ زاوية القنادسة محمد بن عبد الله القندوسي يعلن فيها تعيينه للسيد أحمد بن عمار التواتي مكلفا بشؤون الناحية وكذلك السيد محمد العربي قاضيا للقنادسة (مجلة صحراء المغرب عدد 14 ص 9)

والزاوية الزيانية هي زاوية بالقنادسة جنوب غربي فجيج قرب بشار أسسها الشيخ محمد بن زيان الدرعي وبها وقع الكشف عن الفحم الحجري فتزايد عدد سكانها إلى أن أصبحوا أزيد من عشرين ألفا.

(العز والصولة لابن زيدان ـ هامش الناشر ج 1 ص 162)

76- **زاوية القلعية** لمحمد أمزيان القلعي وهو بطل كانت له مواقف حاسمة في معركة قلعية قرب وادي كرط حيث توفي وحمله الإسبان إلى مليلية ودفعوه للمسلمين ودفـ

بزاويته بقلعية وكان ذلك مما أثر في محمد بن عبد الكريم الخطابي وهو آنذاك قاض في مليلية فانتفض لمواصلة الجهاد.

(الظل الوريف في حرب الريف) لأحمد سكيرج (مخطوط في مكتبتي الخاصة).

77 - **زاوية كنتة :** مركز دائرة مجموعة قصور في إقليم توات منها (زاكلو) وأولاد الحاج البرجة والمناصر وتاخفيف وتازولت وهنا تمتد غابة كبرى على طول ستين كلم. وبه توجد زاوية الشيخ.

78 - **الزاوية الكرزازية :** نشر النقيب مولاي زيدان (الاتحاف ج 5 ص121) صورة ظهير للسلطان مولاي عبد الرحمن حول تعيين شيخ الزاوية الكرزازية في بني عباس والساورة وهي تدخل في نطاق الجزء الشرقي للصحراء التي كانت مندرجة تحت سيادة المغرب ففي عام 1309هـ/1891م وجه السلطان خطابا إلى سكان ناحية وادي الساورة لإخبارهم بتعيين عبد الحميد ابن لحسن الدليمي قائدا عليهم للإشراف على شؤونهم وأمرهم بطاعته في كل ما كلفه به جلالته لخدمة الدولة الشريفة ودعا أن يسعدهم الله به ويسعده بهم»

ولم يكن أهل الساورة يبرمون شيئا إلا بمشورة وأمر السلطان الذي عين بطلب منهم بمقتضى ظهير مؤرخ ب 24 محرم 1329هـ/1911م شيخ الزاوية الكرزازية على الساورة وكذلك بني عباس (الاتحاف لابن زيدان ج 5 ص1121)

وهنالك زوايا أخرى منتشرة بالمغرب وصحرائه فدرجها في هذه اللائحة منها:

- الزاوية الكتانية منتشرة بالمغرب (راجع ترجمة صاحبها العلامة الشيخ سيدي محمد الكتاني في آخر هذا الكتاب)

79 - **زاوية سيدي أبي يعقوب** حيث مدفن هذا الشيخ في (أسول) وهو قصر بآيت مرغاد في السفح الجنوبي لحوض (وادي غريس) والشيخ من أبناء مولاي عبد الله أمغار الصغير حفيد مولاي عبد الله أمغار الشريف الإدريسي مؤسس (رباط تيط) بدكالة

80 - **زاوية (أورباط)** سيدي أحمد المرهنسي بأسفل بلاد آيت حدو على بعد (24) كلم

جنوبي إيميلشيل) وترجع جاذبية هذه الزاوية لروح الجهاد التي تنبعث من ضريحه هناك وكان قد فقد أحد ذراعيه في محاربة البرتغاليين وحول هذا الضريح تتواعد القبائل لإجراء حفلات الخطبة للتزواج.

81 - **زاوية إغيلالن** بقبيلة مسكينة (إنزكان) على بعد (20) كلم منها في طريق تارودانت عبر الأطلس الكبير أسسها أحد أصحاب الشيخ الحضيكي وهو يحيى (ت 1205 هـ - 1790) بفضل ثراء المنطقة وأعشار غلالها التي يمنح منها الثلث أو الربع للزاوية (المعسول ج 3 ص 275)

82 - **زاوية أقبلي :** أقبلي واحة تقع جنوبي إقليم تيديكلت وهي تضم أربعة قصور وقصبات وزوايا وتعتبر مع مركزي الركان وعين صالح محطة نزول القوافل الواردة من بلاد التوارق وتنبكتو

83 - **زاوية أنملي بتازة** وهي الزاوية المرينية

La zaouya mérinite d'Anemli, à Taza, Hesperis, 1953, II, I (et 3-4).

84 - **زاوية أهل الليلي :** زاوية علمية تنتمي لشيوخ من علماء سوس وشنقيط وحتى فاس

85 - **زاوية سيدي ابن حمدون** (دائرة برشيد)

86 - **زاوية ابن حميدة** (دائرة الصويرة)

87 - **زاوية سيدي البكري** في مكيدن قبيلة عربية في صحراء توات كانت تغير أحيانا على القصور التي استنجدت عام 1186هـ/1772م بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي جند فرقة لقمعها في معركة دارت في واحة زاوية سيدي البكري ثم في معركة أخرى بأولاد محمود ولكن العسكر السلطاني انهزم في بلغازي ففر عرب مكيدن إلى أولاد سعيد وتوجه جند المخزن إلى كل من تيمي وتيميمون لبناء قصبات فيهما.

وطارد الجيش عناصر الفتنة من عرب مكيدن في الصحراء الشرقية حيث اعتقل الثوار.

88 ـ **زاوية التليدي** : قرب بني جافن وبني عاصم وتاواريشت

89ـ **زاوية بني توزين** وتوزين قبيلة ريفية لها خمسة أفخاذ : سيدي يحيى وتعمارت وبني حسان وتفرسيت وبقر أماواس حيث توجد مدرسة لتعليم الحساب ومن قراها الزاوية وبوجداين وميضر عاصمة وعاصمة تفرسيت (المغرب المجهول ص 113) وهي واقعة في بطيوة وإليها ينتسب علي بن ماخوخ المقصد الشريف للبادسي خع 110.

90 ـ **زاوية تمنار** (دائرة الصويرة)

91 ـ **زاوية تبط** أو طيط أو عين الفطر قرب دكالة : بناها سيدي محمد بن عبد الله عام 1182هـ وإليها ينتسب آل أمغار (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 128)

وكانت تسمى أيضا تيطنفطر فكانت عبارة عن رباط ساحل أزمور قرب الجديدة آوى إليه الشيخ عبد الله أمغار الصغير (ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع) لمحمد المهدي الفاسي (طبعة فاس ص69)

(راجع تيط في دوكاستر ـ السعديون ـ البرتغال م 4 ص 70)

«بهجة الناظرين وأنس العارفين» من مناقب شرفاء آيت أمغار لمحمد بن عبد العظيم الزموري الأصغر كان حيا بعد التسعمائة (خع 1349/خم 1318/)1936 وأخرى منسوبة لمحمد الأصغر (خع 1501) وله أيضا «الأخبار في كرامات الشرفاء في أمغار» (خم 1622)

وأمغار عبد الله الصنهاجي صاحب رباط تيط (عين بالبحر) كان يسكن بسبت بني دغوغ من عمل مراكش (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 95)

92 ـ **زاوية تينملا** وهذه قرية في درعة أسس فيها الشيخ سيدي عبد الرزاق الدرعي زاوية وهو من أحفاد سيدي أحمد بن موسى القادري النسب وهذه الأسرة القادرية منتشرة برأس الوادي وتخدم هذه الزاوية قبائل من أقصى جنوب المغرب إلى شماله في آيت عطة وتازارين وايمكون ودادس والحياينة قرب فاس والطريقة القادرية منبثة في الصحراء والسودان من أشياخها المختار الكنتي (المعسول ج 19 ص 120)

93. **زاوية سيدي حايدة في** (بودا) وهي إحدى دوائر توات أهم قصورها المنصور ثم ابن دراعو وأدرار وغرمعلى (أغرم على)وزاوية سيدي حايدة وتقع على مقربة من بودا دائرة تيمي

94. **الزاوية الحقونية** وهي زاوية فلالية أسسها الشيخ أبو بكر الفلالي شبيهة بزاوية تمجروت في درعة والزاوية الدلائية في الأطلس الأوسط علما وتقوى والفلاليون صحراويون يوجد بعضهم بالساقية الحمراء منذ قرون وهم يمتازون بالعلم والديانة والفراسة الصوفية والحقونية قرية تقع على بعد 120 كلم شرقي قرية (الاوكرشي) توجد فيها أضرحة آل السيد بن سيدي أبي بكر من الأسرة العلوية وهو مزار مقصود فيه دار ضيافة وملجأ للاستشفاء

95. **زاوية شالة :** تحدث (أبو جندار) في كتابه (شالة وءاثارها) عن هذه الزاوية (مطبعة الجريدة الرسمية ـ الرباط 1340هـ/1929)

وقد فند الدكتور عثمان عثمان اسماعيل ما قاله الناس من وجود مسجدين أحدهما من بناء يعقوب والآخر من بناء أبي الحسن وهو المسجد العتيق والوحيد بشالة (تاريخ شالة الإسلامية ج 1 ص 30)

96. **زاوية سيدي الطاهر** (دائرة تارودانت)

97. **زاوية سيدي عبد القادر** (دائرة بني ورياغل)

98. **زاوية سيدي عبد الكريم** في تاركسيت وهي قبيلة ريفية بجبل الأرز معتدلة المناخ لا تعرف الأوبئة والسكان يعمرون طويلا وتوجد معادن الذهب والفضة والرصاص والشب والكبريت ومن قراها سيدي بوثمين وزاوية سيدي عبد الكريم

(المغرب المجهول ص 84) (موليبراس)

99. **زاوية فرعية لسيد علي بن حمدوش** (دائرة أزمور)

100. **زاوية عمر المجرادي** كان شيخها هو العلامة عبد الله بن أحمد بن عبد الله المراكشي الهنتاتي جمال الدين فوض الله الشافعي المتوفى بمدينة الخليل بفلسطين عام (895هـ/1489) وقد ولد ببغداد بزاويته المعروفة بزاوية المغاربة

(الضوء اللامع للسخاوي ج 5 ص 13 طبعة القاهرة عام 1354/ الأنس الجليل ج 2 ص 550 و 580).

101 ـ **زاوية سيدي قاسم** (دائرة تطوان) وهي قريبة من قريش وأزلا والوادي وأولاد علي منصور وبني يدر والبغاغزة.

102 ـ **زاوية القواسم** (دائرة سيدي إسماعيل بالجديدة وبها أيضا زاوية السايس

103 ـ **الزاوية الكبرى في الغنانمة** وهي : قصور بوادي الساورة تضم : ابن عباس ـ تمترت ـ أديع ـ بوحديد ـ الواتة ـ بوخلوف ـ وامسه ـ ماجر ـ أنفير ـ أكدال ـ كرزيم ـ ابن يخلف ـ الزاوية الكبرى

104 ـ **زاوية كرزاز** ـ تيمود ـ أولاد خضير ـ أولاد رافع ـ القصر ـ تمقرن ـ المنصور ـ القصابي

105 ـ **زاوية سيدي محمد أخمريش** في تاغزوت وهي قرية في بني سميح بغمارة وبطن من قبيلة صنهاجة السرائر فهي تمتد في عشرة كلم طولا وعشرة عرضا وينبع واديها من جبل الأرز طوله نحو أربعين كلم كانت تقوم أرحية مائية على جانبيه أول القرن الماضي وغابات البلوط والأرز والعرعر والنوى والزيتون كما توجد معادن النحاس والقصدير والرصاص والفضة والذهب والحديد ولهجتها من تمزيغت شديدة القرابة من لهجة زواوة التي تدعي بعض الأساطير أن أصلهم من تاغزوت وهي مشهورة بصنع المكاحل ودورها لا تعرف المراحيض. وأهم قرى تغزوت آيت علي

106 ـ **زاوية سيدي محمد أخمريش** وتازروت والقلعة (المغرب المجهول ـ موليراس ص 48)

107 ـ **زاوية مجاط** (ولاية مراكش)

108 ـ **زاوية المسيد بالصحراء** والمسيد واحة قريبة من مدينة العيون تزرع فيها الخضر والفواكه والشعير وتوجد على مسافة 30 كلم. منها المنطقة التي يمتلكها آل ماء العينين وبها

بئر تافودارت وعلى مرحلة منها بئر عين النجلة ويلاحظ هنا أن حفر الآبار كان بالمراحل بحيث تبعد المسافة بين بئر وبئر بنحو ثلاثين كلم. وهي نفس أبعاد المرحلة التي أشار إليها الشريف الإدريسي وغيره من المؤرخين بين المدن المستحدثة شمالي المغرب وتوجد أيضا مدينة (المسيد) بالسودان قرب الخرطوم.

109 - **زاوية سيدي المكي** الوزاني في فناسة وهي قبيلة قرب مثيوة ومرنيسة من قراها سيدي يوب وزواوة وزرافيين وزاوية سيدي المكي الوزاني

110 - **زاوية النخلة** (عمالة شيشاوة)

111 - **زاوية سيدي واصل**

112 - **زوايا ورزازات** قامت بدور هام في الإشعاع الثقافي والديني بالإقليم مع تشجيع انتشار نماذج من الصناعة التقليدية خاصة في القصبات (تاوريرت وتيفولنون وآيت بن حدو وتلوات وامريديل واسكورة ومن هذه الزوايا الزاوية الناصرية بتكروت

113 - **زاوية سيدي يسف** في بني أحمد السراق وهي قبيلة ريفية من أهم قراها زاوية سيدي يسف ودكالة ودارت كعالو ومنصورة

وكانت تتوافر فيها الكتاتيب القرآنية أواخر القرن الثالث عشر الهجري ويتوارد الطلبة إليها من طرابلس والجزائر وتونس وكورارة حيث اشتهرت بالبركة في العلم يتعاطى معظم سكانها رجالا ونساء العلم

114 - **زاوية بيض سيدي الشيخ سيدي عبد القادر** بن محمد المعروف بسيدي الشيخ القطب الصديقي الشهير (بغية المستفيد ص 120)

وهي أبيض سيدي الشيخ (أو البيض أو بيض سيدي الشيخ) قرية مغربية تقع شمال شرقي فجيج سماها الفرنسيون ابان الاحتلال «جيريفيل» وبعد وقعة إيسلي ضمها الفرنسيون مع شلالة وبوسمغون وتيوت فجاء وفد إلى السلطان مولاي عبد الرحمن يحتج على ذلك فوجه السلطان إلى عامله بالعرائش بوسلهام بن علي أزطوط يؤكد له فيها أن هذه المناطق

من حساب المملكة المغربية (رسالة سلطانية مؤرخة برابع رمضان 1261 ويطلب منه التدخل لدي سفير فرنسا بطنجة لإرجاع هذه القرى) (مجلة «الوثائق» عدد 2 ص 70)

والواقع أن جبال المغرب وسهوله لا تخلو قرية منها من زاوية أو زوايا يصعب إعدادها ويكفي أن نبرز بعض المؤشرات التي تدل على ذلك فإقليم ورزازات (الذي يشرف عليه الأطلس الكبير شمالا بثلوجه المستديمة طوال السنة والأطلس الصغير) يمتاز بقصباته (المبنية من الطين الأحمر ومسالكه عبر الأطلس وقراه المحصنة وواحاته الحافلة بالزوايا التي قامت بدور هام في الإشعاع الثقافي والديني بالإقليم

والزوايا هي في المفهوم العادي للكلمة أضرحة ومساجد مقامة حول ضريح شيخ طريقة منها (زاوية زداغة) بجبل درن وهي زاوية عبد الله بن سعيد الحاحي والد يحيى الحاحي الذي استنجد به المولى زيدان لمحاربة أبي محلي وتقع الزاوية شمالي تارودانت قرب (وادي أسيف نتامنت) ومعناها بالبربرية (وادي العسل)

وفي طليعة هذه الزوايا زاوية سيدي أحمد بن ناصر في (تكروت الحافلة بالمخطوطات النادرة التي أخذت لها صور أثرت الخزانة العامة بالرباط وكذلك زاوية صالح في نفس القرية والزاوية القادرية في تمصلا (أكذر) ومثلها الزاوية الدلائية التي بالقرب منها زاوية تنغلت التي أسسها عبد الرحمن التنغلتي المراكشي من حفدة موسى الفو قماري (1296هـ/1878) (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 66 ـ الطبعة الأولى) وحتى منطقة أكدود حيث يقام سنويا عيد الخطيبات في إميلشيل أوائل الخريف يلتقي رعاة الأطلس الكبير والأوسط من الجنسين على هضبة قد كستها الرياح بعد العودة من نجعة المصيف ففي (اميلشيل) باب الحبوب على علو (2400) متر يتقابل عشرون ألف جبلي من قلب الأطلس طوال ثلاثة أيام قرب ضريح سيدي أحمد (أو المرهنسي) بأسفل بلاد آيت حديدو على بعد 24 كلم جنوبي إميلشيل حيث يتواعد جيران الشمال (آيت شخمان الأطلس الأوسط وآيت يحيى أربالا) مع جيران الجنوب (آيت مرهاد) في أسواق يتزود فيها الرحالون لفصل الشتاء بعد بيع مواشيهم وأغنامهم ومعزهم وجمالهم لاقتناء المواد الضرورية وتتزايد جاذبية الضريح الذي يجمعهم بروح الجهاد التي تنبعث منه حيث فقد هذا الولي أحد ذراعيه في محاربة البرتغاليين وهنا تبرز النساء

الراغبات في الزواج وترمز بحيرة (ايسلي) إلى الخطيب وبحيرة (تيسليت) إلى الخطيبة وفي يوم (الأكدود) تعلو الأناشيد والزغاريد ويتكاثف الراقصون والراقصات ويتعاقد رواد الزفاف للتزاوج آخر أكتوبر المقبل.

والشيخ سيدي علال دفين وادي الحشيبي النابع من عين عاشور هو الذي أعطى اسمه لأحد روافد نهر الساقية الحمراء حيث ينصب الوادي على بعد (25) كلم من الصمارة.

وتنتشر أحيانا زوايا هي فروع لزاوية أم مثل الناصرية الدرعية التي انتمى إليها محمد وناصر من آل مهاوش الذي عاصر السلطان المولى محمد بن عبد الله وكان والده مرابطا وجده أبو بكر ناصريا وقد حصل على جانب من العلم فالتف حوله البربر ومن خلاله انتشرت الناصرية بينهم

ولنضرب مثلا ءاخر برباط الفتح لندرك مدى انتشار الزوايا في المدن الكبرى فمنها :

- **الزاوية البكرية** : يوجد حولها مخطوط في (خع 972 د) (كما في دليل المؤرخ عدد 139)

- **الزاوية التجانية** : ضريح سيدي العربي بن السائح في حي (لعلو) يشكل الزاوية التجانية الثانية وقد بنى سيدي العربي الزاوية التجانية الأولى قرب الحرارين المؤدية إلى (سوق القناصل) وأسست بعد ذلك زوايا تجانية أخرى منذ حوالي الأربعينات منها زاويتان في حي يعقوب المنصور وأخرى في حي العكاري وسادسة في حي اليوسفية وغيرها مما ينتشر بسرعة.

وكان الشيخ الإمام سيدي العربي يسرد ويقرر صحيح البخاري على طريقة كبار المحدثين فيحضر في زاويته خلال شهور متوالية علماء من العدوتين من تلامذة الشيخ أمثال سيدي الزواوي وسيدي أحمد بن موسى الهمساوي الذي ناب عن الشيخ بعد وفاته في السرد والتقرير وكان حسن الصوت رائق التعبير وكان يحضر بختمات الصحيح كبار العلماء على نسق الختمات الحديثية والفقهية والأدبية وعندنا نموذج مخطوط لوصف هذه الختمة السائحية.

على أن هذه الزوايا كانت مقر تدريس وتحرير لشتى العلوم على ممر السنة وطول النهار. وقد نقل مولانا الحسن الأول إلى الزاوية الأولى ماء (غبولة) الذي كانت قنواته تمر من الجانع الأعظم إلى الجامع العتيق بقصبة الأوداية وقد تم ذلك منذ تأسيس سيدي العربي بن السائح لهذه الزاوية التي تداول على الإمامة بها أفذاذ أمثال العلامة سيدي محمد بن الحسني عم الحافظ محمد المدني بن الحسني وقد أسست الزاوية التجانية بالرباط وكذلك بسلا على يد أبي المواهب سيدي العربي بن السائح وهو أحد كبار مقدمي الطريق المتوفى (عام 1309هـ) وقد وهم الأستاذ (ميرسيى Mercier) الذي ذكر في (مذكراته حول الرباط وشالة) (المنشورة في الوثائق المغربية . Archives Mar ج 5 ص 15) أنها أسست (عام 1320هـ).

ـ **الزاوية التلمسانية :** أحمد بن القاضي دفين الزاوية التلمسانية قرب الجامع الأعظم وهو علامة الرباط ومفتيه (1128هـ/1768م).

وكان الكتانيون قد اتخذوها مقرا لهم طوال خمس سنوات قبل بناء زاويتهم.

ـ **الزاوية التهامية :** كانت ملجأ آوى إليه محتسب الرباط المكي بن العربي فرج عندما انهزم جيش مولاي (مسلمة) وانتصر أخوه عليه فانصاعت له مدينة رباط الفتح وهي من الزوايا المرموقة في الرباط.

ـ **الزاوية الدرقاوية :** نسبة إلى الشيخ مولاي العربي الدرقاوي في زنقة (وزهرة) ومن توابعها الزاوية الحراقية قرب الزاوية التجانية) بالحرارين وكان كلاهما مقرا للعبادة والزهادة والمديح النبوي

ـ **زاوية سيدي الشيخ :** سيدي الشيخ هو القطب سيدي عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ يوجد ضريحه بالبلد الأبيض في الصحراء الشرقية له زاويته هناك حيث ضريحه. وقد ذكر أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في (إفادات وإنشادات) وهي استجوابات صنفها تلميذه السيد (بلامينو) (مخطوط في خع ص 166) أنه «ليس بالمغرب زاوية تنسب لسيدي الشيخ الصحراوي وإنما الزوايا التي بالمغرب تنسب لسيدي الشيخ بن أحمد الذي هو من أدرى (درعة).

- **زاوية العايديين** : بالرباط هي زاوية سيدي أحمد بن موسى أو الزاوية الأحمدية.

- **الزاوية العيسوية** : أي زاوية الشيخ محمد بن عيسى (بسيدي فاتح) ومثلها الزاوية الحمدوشية وهي زاوية الشيخ سيدي علي بن حمدوش الكائنة قرب سوق الغزل بمدخل القناصل ومنهما كانت تنطلق جموع عيساوة وحمادشة في موسمهم السنوي الذي تخلخل قوامه وتهلهل نظامه خاصة في عهد الحماية حيث كنا نشاهد مناظر مزرية من شدخ الرؤوس والتهام الزجاج وأكل اللحوم النيئة وهي مشاهد منافية لطهارة التصوف السني الذي يستنكر ذلك. والشيخان الجليلان منزهان عما ينسب إليهما من ترهات.

- **الزاوية الغازية بالرباط** : (راجع الدرة المضيئة في التعلق بالسلسلة الناصرية الغازية) للعربي بن محمد المساعدي (توفي في القرن الرابع الهجري). (خع 2286 د/ طبع بالدار البيضاء عام 1380هـ/ 1960 م). وضريح سيدي محمد الغازي عبارة عن مارستان للمجانين على غرار سيدي أحمد بن عاشر بسلا وقد بناه السلطان المولى عبد الرحمن.

- **الزاوية الغربية** : قرب ضريح مولاي إبراهيم وبها مدفن قاضي الرباط العلامة محمد بن أحمد الغربي ووالده وقد شيد قبتها الرئيس المعطي بريطل وصارت مكتبا للقرآن (الإغتباط ص 136). والعلامة الغربي هذا أستاذ الشيخين العلامة الشيخ التاودي بنسودة والحافظ العراقي الفاسي وتوجد بشالة زاوية غربية منسوبة للشيخ محمد اليابوري الأندلسي أسسها بعد هجرته من الأندلس ومن تلامذته سيدي أحمد بن عاشر بسلا وقد توفي في القرن الثامن الهجري وهو دفين (لعلو) بالرباط.

- **الزاوية الفتحية** : بالسويقة هي فرع من الطريقة الدرقاوية تنتمي إلى الشيخ سيدي فتح الله بناني.

- **الزاوية القادرية** : بحي البحيرة وهي تنتمي إلى الشيخ الأكبر مولانا عبد القادر الجيلاني دفين العراق والذي أشاد بعلمه وزهده وتقواه الإمام ابن تيمية في فتاواه التي لا يكاد يخلو منها نحو ثلاثين مجلدا (طبعت بالحجاز مرتين) وتوجد بالقرب منها زاوية قادرية أخرى على أن هذه الزوايا قد أصبحت خالية تتجمع أحيانا للذكر بها فلول

قليلة في بعض الجمع وقد صار جانب منها مقبرتين للشرفاء القادريين (مجالس الإنبساط ص 324).

ـ **الزاوية القاسمية** : أو جامع سيدي قاسم بحي بوقرون تجدد بناؤه

ـ **الزاوية الكتانية** : في الطريق المؤدية إلى (درب الفاسي) قرب ضريح مولاي إبراهيم وتوجد بالقرب منها الزاوية الغربية وكان مقرها الأول في مسجد سيدي التلمساني قرب الجامع الأعظم ثم مسجد الجنائز أو مسجد سيدي بلعباس

ـ **الزاوية المباركية** : توجد خلف الزاوية القادرية وكانت كتابا لتعليم القرآن ومدرسة على رأسها العلامة محمد الرغاي أستاذ جيل من العلماء وكانت قبل ذلك أول مدرسة حرة بالرباط أسسها عام 1921 ابن خالنا محمد بن القاضي أحمد بناني

ـ **الزاوية المختارية** : كانت تنسب إلى المريد السيد (محمد بن القادر لزارو) الذي أخذ عن السيد الغازي بن العربي بالصحراء طريقته ولقنها لأتباعه أمثال الحاج أحمد بلافريج (قديما) ومحمد السويسي والوزير بن إدريس وكان أتباعه يعمرون (أي يقيمون الحضرة والمديح) بالزاوية المختارية التي لم تنتسب للمختاريين إلا بعد وفاته بالزاوية وهو ساجد (عام 1207هـ) ودفن بها وتقع هذه الزاوية أمام حمام القصري بالبحيرة وكان العلامة محمد الرغاي يدرس بها القرآن الكريم ويلقي بها دروسا كتوسعة لكتابه بالزاوية المباركية.

ـ **الزاوية المعطاوية** : نسبة إلى الشيخ المعطي بن صالح الشرقي بها قبر العلامة الصالح سيدي محمد بن الحفيان وكانت في طليعة معاهد التعليم الحر تخرج منها رجال أفذاذ وكان مديرها العلامة الصديق الشدادي ومنها انطلقت مدارس محمد الخامس كما انطلقت هي من ضريح سيدي علي بن حمران قرب زاوية تلميذه سيدي عبد الله الحويشي

ـ **زاوية مولاي المكي** : وهو الشيخ المكي بن محمد بن عبد الله العلمي وهي الزاوية التهامية نسبة إلى مولى التهامي بن مولاي محمد بن مولاي عبد الله الشريف.

ـ **الزاوية الناصرية** : المنسوبة للشيخ الإمام سيدي محمد بن ناصر الدرعي الذي تتلمذ له الحافظ أبو علي اليوسي ومدحه بقصيدة غراء وكان نموذجا للعالم التقي الذي نشر

العلم في ربوع درعة على غرار الدلائيين في زاويتهم بالأطلس الأوسط وكانت هذه الزاوية التي تجدد بناؤها في عهد مولانا الحسن الثاني حفظه الله مسرحا حيا لدروس علمية تزعمها شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي وكنت أحضر دروسه في التفسير وأنا شاب واع لا يزيد عمري على عقد ونصف من السنين بين ثلة من كبار العلماء ينحدرون من العدوتين. وهنالك زوايا أخرى مثل زاوية الحنصالي ببوقرون والزاوية الرحمانية ولعلها هي زاوية الشيخ علي بن عبد الرحمن وكانت كتابا قرآنيا يدرس به الفقيه محمد ابن عبد الله.

ولا توجد بالرباط زاوية دلائية رغم مكانة أهل الدلاء بالمنطقة ومعلوم أن زاوية الدلاء الأصلية كانت بالأطلس قد هدمت (عام 1079هـ/1668م) ومن الشيوخ الكبار أمثال أبي يعزى يلنور لم يكن ضريحهم مقرا لزاويتهم أو طريقتهم وقد ذكر الشيخ (مرتضى الزبيدي) في (معجمه) لدى ترجمة الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عاشر نزيل الرباط أنه كان مقدم طريقة أبي يعزى ورد مصر حاجا (عام 1202 هـ) وذكر (أبو جندار) أن المقصود أنه مقدم زاوية أبي يعزى الذي ليست له طريقة قائمة بالمغرب (وتوجد نسخة من هذا المعجم هي الجزء الأول من مجلد ضخم إلى حرف الميم في مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني انتسخه مؤلفه بالمدينة المنورة (الإغتباط ص 242).

أما في سبتة فإن عدد الربط والزوايا يبلغ (47) محاذية للبحر داخل المدينة والأرباض (اختصار الأخبار) لمحمد بن القاسم الأنصاري (هسبيرس م. 12 عام 1931 ص 155)

وتحفل مراكش وناحيتها بعشرات الزوايا منها :

- **زاوية أبي بكر الفلالي** التابعة لآل المعطي العباسي بحوز مراكش

- **الزاوية المختارية** كانت مدرسة تنسب ل (لحم يحة) مضافة للأوقاف ثم حولها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في خلافته الصغرى بمراكش إلى (زاوية للكتبيين) (الإعلام ج 8 ص 34 ط. الرباط)

- **زاوية الشيخ ماء العينين :** أسسها المولى عبد العزيز عام (1314هـ/1896)

- **الزاوية التجانية المنسوبة للفقيه أكنسوس**

- **الزاوية التجانية المنسوبة للنظيفي**

- **الزاوية الكنتية**

- **الزاوية القادرية**

- **زوايا** سبعة رجال (وهي مزارات وأضرحة مصطفة بحومة الوقف بمراكش

وفي المغرب الشرقي والمناطق المحاذية له في الصحراء الشرقية التي كانت تنتمي قبل عصر الشيخ سيدي أحمد التجاني بأكثر من قرن ونصف وتوجد عشرات الزوايا المنتمية لمختلف لمختلف شيوخ الشادلية أو القادرية أو التباعية الجزولية

وقد تأسست بهذه المناطق في حياة الشيخ سيدي أحمد التجاني على يد تلامذته المباشرين مثل السادة عبد الوهاب التازي (ت 1277هـ) (كشف الحجاب لأحمد سكيرج) ص 238)

- **محمد بن حسون الفجيجي** الذي كان الشيخ ينزل عنده كلما طرق الواحة التي كان من جملة صلحائها أصحاب الأصرحة بها الشيخ عمر بالحبل وسيدي المهلهل (قرب سيدي الشاذلي) وسيدي رحو بعقبة المعيز وهو باني صومعة قصر المعيز بفجيج

- **المقدم محمد بن قادري** المعيزي الفجيجي

- **محمد بن دحو السمغوني** الصحراوي أخذ مباشرة عن الشيخ وكانت له صلة وثيقة بتلميذ آخر للشيخ التجاني هو سيدي محمد بن العربي الدمراوي التازي

- **محمد بن رحمون الشلالي** (بالشلالة قرب أبي سمغون)

- **محمد بن زيان السمغوني**

- **محمد بن طاجين** الشلالي الظهراني

- **محمد بن الطالب التلمساني** ومثله محمد المازري التلمساني

- **محمد بن عمر البوشيخي** (وهو من مهاجري تلمسان إلى وجدة) (رفع النقاب بعد كشف الحجاب - أحمد سكيرج ص 51 و 77 و 124) (راجع كتابنا المسار الألفي في وجدة (ط. 1996)

ويظهران عدد الزوايا الصوفية في الشمال الإفريقي حسب إحصاء تقريبي عندما كانت فرنسا مستولية على الصحراء الشرقية ضمن الجزائر عام 1930 بلغ حوالي مليونين ونصف مليون بالجزائر ومليونين بالمغرب وستمائة ألف بتونس

Bousquet, G.H : Introduction à l'étude générale de l'Islam, 4e éd, Alger, 1954.

وهذه الأعداد الناتجة عن الإحصاء باهضة ولعل في هذا الإحصاء إدراج الأضرحة والقباب التي ليست زوايا-كما أشرنا إلى ذلك بخصوص أبي يعزى يلنور - فتكون الحقيقة أقل من ذلك بكثير إذ لو قارنا بخصوص رباط الفتح مثلا بين عدد الزوايا والأضرحة لا تضح أن الزوايا ربما كانت أقل من الأضرحة ونفس الملاحظة تصرف على مجموع المغرب إذ توجد كثير من الأضرحة ليست لأصحابها زوايا في الأطلس والريف وسهول المغرب.

وننشر فيما يلي لائحة الأضرحة بالرباط والتي لم يؤسس أصحابها زوايا منهم :

- **سيدي إدريس** : صاحب الضريح في حي (لعلو) لا تعرف له ترجمة (الاغتباط ص 274)

- **سيدي برزوق** قرب باب الجديد (لا تعرف له ترجمة (ورقات .. عبد الله الجراري ص 19) ويوجد قبر برزوق محمد في أصيلا وهو أستاذ سيدي السعيدي صاحب الضريح لحي لعلو) قرب (برج الصراط).

- **سيدي بوقنادل** : على بعد نحو (15 كلم) شمال شرقي الرباط تحتوي مناجمه على حصيات متنوعة الحجم يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الرابع.

Jacques Bourcart. Notice sur un essai de carte géologique du Quaternaire de la zone atlantique du Maroc, Paris, 1931, Congrès international de géographie, T.3.

راجع سيدي بوقنادل وهو سي علي بوبركات.

- **سيدي الخطاب** : يوجد ضريحه خارج باب لعلو بعد ساحة الشهداء بالمقبرة المنسوبة إليه ويقال بأنه أحد أجداد سيدي الشاذلي وهو من آل سيدي الشرقي (الاغتباط ص 298).

- **سيدي زيتون** : دفين عرصة (للاهنو) لا تعرف له ترجمة. كان خديم هذه السيدة ووارث سرها (الاغتباط ص 298).

- **سيدي السعيدي** : صاحب الضريح في حي (العلو) قرب برج الصراط وهو مجذوب من تلامذه سيدي محمد برزرق دفين أصيلا بنيت قبته بإشارة من الأمير مولاي أحمد بن المولى عبد الرحمن بن هشام خليفة والده بالرباط (الاغتباط ص 458) ويقال أنه من موالي آل الحساني الرباطيين.

- **سيدي الشاذلي** بن بلقاسم الرقي الغزاوني من رجال القرن الثاني عشر لم يعقب وهو صاحب الضريح بمحج الجزاء من حفدة سيدي محمد أبي عبيد الشرقي ولعله المذكور في فهرسة علامة الرباط وشاعره (بنعمرو) من جملة تلامذة الشيخ أحمد الحكمي حلاه بالعلامة الزاهد الصالح وقيل اسمه المكي بن المفضل الشاذلي فيحتمل أنه المكي الشاذلي الذي كان قائد للرباط عام (1156هـ) أيام تمسك الرباطيين ببيعة المولى عبد الله بن المولى إسماعيل ضد المستضيء وأهل سلا وكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث بين سلا والرباط (تاريخ الضعيف ـ حوادث عام 1156هـ/ الاغتباط ص 459) وقد ذكر دينية في (مجالس الانبساط ص 85) أن هذا الشخص هو الذي تولى قيادة الرباط بل هو ويد المكي الشاذلي كما سماه (الضعيف)

- **سيدي الضاوي** سيدي محمد الدرعي دفين إحدى أبواب (لعلو) قرب سوق الغزل.

- **سيدي عبد الرفيع** يوجد ضريحه في سوق الغزل.

- **سيدي عبد العزيز** لا تعرف له ترجمة (الاغتباط ص 398).

- **سيدي علال أو علي** بن المهيدي العيساوي المتوفى عام 1304هـ/1886) وهو صاحب الضريح بزاوية جده بالرباط (الاغتباط لأبي جندار ص 446)

سيدي علي بن أيوب الخطيب المتوفى حوالي (770هـ) معلم كتاب الله ترجمه الحضرمي في تاريخه زاره في (حضار المتعلمين بين يديه) «فأمتعه بإفادته العلمية» له كلمات تدل على تمكن وتنوير علمه حيث يقول : «من لم يفتح له من القرآن مشربه لا يروي أبدا » ويقول: «بالرحمة والرفق أدركت الأشياء العالية لا بالعنف والمشقة»وقد ترجمه أيضا ابن الخطيب القسمطيني في (أنس الفقير) لقيه بسلا وذكر عنه كرامات بعد عام (770 هـ) حيث توفي حواليها (الاغتباط ص 433).

- **سيدي علي بوبركات** المعروف بسيدي أبي قنادل صاحب الضريح بحومة (تحت الحمام) (الاغتباط ص 444).

- **سيدي علي بورحى** يوجد ضريحه بباب شالة وقد ذكر الفقيه بلغازي الكبير صاحب المدونة في أضرحة الرباط أنه من سلالة واحدة هو وسيدي الحسن الإمام بشالة وسيدي أحمد الشريف بوقاصة ولهم حفدة بالرباط وبعضهم بمراكش يتصرفون في «فتوحات«الأضرحة الثلاثة (الاغتباط ص 443).

وقد دفن بهذا الضريح العلامة الشيخ المكي الناصري.

- **سيدي عمران** صاحب الضريح أمام المسجد الأعظم لا تعرف له ترجمة (الاغتباط ص 448).

- **سيدي الغندور** لعله أندلسي اشتهر بالغندور والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة والإباء (راجع الاستقصا في فصل مقتل عبد الحق المريني) (الاغتباط ص 453).

- **سيدي فاتح** تسمية بعض التقاييد بفتح الله أقانيا الأندلسي من قدماء أولياء الرباط جدد ضريحه ووسع قرب (العلو) أيام ناظر الرباط محمد غنام ويقال بأنه من موالي آل ملين (الاغتباط ص 456).

- **سيدي فرج** صاحب الضريح قرب باب القنانط لا تعرف له ترجمة ولعله ـ حسب أبي جندار ـ من آل فرج (الاغتباط ص 457).

- **سيدي مخلوف** يقال بأنه يهودي أسلم وقد ولد في الملاح الكائن بالقرب من ضريحه الذي يبيت فيه الحجاج عادة ليلة سفرهم ويدفن بمقبرته البحارة الذين يموتون في البحر أو من يموت خارج السور.

- **سيدي مكدور** دفين شاطئ الوادي بالحافة المشهورة به قرب جامع حسان اندثر ضريحه ولعله أقدم أولياء الرباط (مجالس الانبساط ص 71).



الفهــرس

الجزء الأول
(التصوف المغربي: خواص ومميزات)



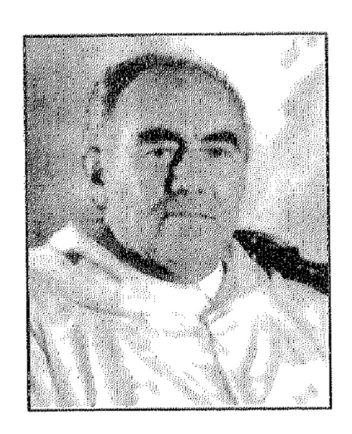
تم التصفيف الإلكتروني والتصميم للكتاب
بـ «دار نشر المعرفة»
10 شارع الفضيلة ـ الحي الصناعي ـ الرباط
الهاتف : 14-69-79 / 02-57-79 037





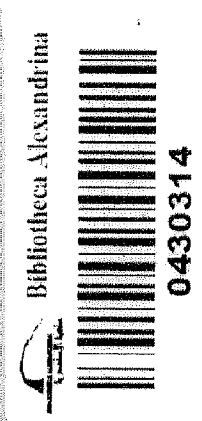






عبد العزيز بنعبد الله

- حاصل على الليسانس في الحقوق والآداب *(1946)*
- أستاذ الحضارة والتاريخ في كلية الآداب *(1959 ـ 1965)*
- أستاذ دار الحديث الحسنية *(1960 ـ 1985)*
- أستاذ زائر في عشرين جامعة في القارات الثلاث.
- عضو في أكاديمية المملكة المغربية والمجامع العربية ومجمع الهند.
- مدير عام المحافظة العقارية والمصالح الهندسية *(1957)*
- مدير التعليم العالي والبحث العلمي *(1958 ـ 1961)*
- مدير عام مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي *(1962 ـ 1984)*
- عضو مراسل بالمنظمة الدولية لحقوق الإنسان بواشنطن له نحو المائة مؤلف منها :
  - نحو الأربعين معجما في ثلاث لغات (العربية والفرنسية والإنجليزية).
  - حول العلوم التجريبية والكونية والحضارة.
  - الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية (صدر منها أربعة أعداد).
  - نحو الثلاثين معلمة (*Monographies*) حول المدن والقبائل صدر منها ـ معلمة الفقه المالكي بالمغرب ـ معلمة المفسرين والمحدثين بالمغرب.
  - معلمات حضارية : معلمة الرباط ـ معلمة سلا ـ معلمة الصحراء ـ معلمة المد. ـ معلمة فاس ـ معلمة وجدة.
  - مصنفات عشرة بالفرنسية حول الإسلام والحضارة العربية والصحراء ال



45 د

